بلاغة التراكيب
دراسة في علم المغازلي

كتبت
أ.د. توفيق الجنيل
أستاذ النقد والبحث الأدبي
جامعة قطر
بلاغة التراكيب
كثير استمر في علم اللغة

تأليف
أ.د. توفيق الفيصل
منشأ اللغة والشريعة الإسلامية
جامعة قطر

كتابات الأرواب
25 سبيل الفردوس - القاهرة
ت: 2907 - 2977
المقدمة

أحمد الله، واستعين بك، واستهديك، وأصل وأسلم على نبيك الذي
أوقى جوامع الكلم، وكانت معجزته ذلك الكتاب العظيم، الذي أعج البرغاء،
وأفحج الشعراء، وأنفق المعاندون بفضلهم، وجعلهم يقررون برؤيته. وسمو
أسلوبه، وقوة معانيه.

وبعد:

فإن علم البلاغة من العلوم التي وقع عليها ضعف شديد، كما أنه لم يبقى
ما تقيمه علوم العربية الأخرى من توارد العلماء عليها طبقة بعد أخرى وكانت نشأة
هذا العلم متاخرة عن غيره، فلم يبق له الوقت الكافي في فترة التقدم والازدهار
التي شهدتها الحضارة العربية.

وقد نشأ علم البلاغة في ظل الدراسات القرآنية، وخدمة قضاياها،
وعخصة قضية الإعجاز. وهذا فهو من العلوم القرآنية. وربما كان ذلك من بين
الأمور التي جعلت بعض الدارسين يحملون عليه، ويجهزونه بالقصور ويدعون إلى
طرحه والتحرص منه. وساعد على ذلك الطرق العقيدة التي تناولت هذا العلم
فأسست في التطور منه، والبعد عنه.

ويضاف إلى هذا ما يميزه علم البلاغة من دقة المباحث، وضرورة
التنبؤ من علوم العربية الأخرى، وآدابها.

وإذا كان العصر الحديث قد شهد بدايات جديدة للكشف عن قيمة هذا
العلم ومن ثم محاولة تقديمه في صورة تفيد من الدراسات الحديثة، والمعارف
المختلفة فإن الارتقاء على الأصول يحافظ على جوهر هذا العلم ويجعل بينه وبين
التتبع الذي يريدته بعض الباحثين، جربا وراء ما يطلقون عليه الخداعته وهم في الحقيقة يسعون جاهدين إلى تنفيذ ما دعا إليه سلامة مرسى وخدمة الغرض ذاته الذي كان يسعى إليه.

وإذا كانت محاولتي السابقة في مجال البحث البلاغي قد لقيت التشجيع والمؤازرة من الباحثين، فإن أقدم لهم هذه الدراسة في بلاغة التراكيب أدرس من خلالها مسائل علم المعاني، الذي يعد إسهاماً قوياً وأصيلاً في دراسة الأسلوب، بدأها عبد القاهر الجراح، وأكثر من التطبيقات عليها جار الله الرحمن رضوان وابن الأثير. ووضع قواعد وأعمال ضبطها أبو يعقوب السكاكى.

وقد درست في هذا الكتاب مفهوم علم المعاني، ومجالات البحث فيه ودرس أنواع الأسلوب، وكيف تتحقق البلاغة حين يلجأ المبدع إلى هذه الطريقة أو تلك، كما درست فيه أبواب المعاني الأخرى معتمداً على النماذج الجيدة والأساليب الرفيعة، وقامت بشرح الكثير منها وبينت ما تضمنته من قيمة ثمينة.

وقد وقفت عند كثير من الأمور التي تكشف عن عمقية هذه اللغة، وما تضمنته من الدقائق واللطائف والأسرار.

وقد سلكت في هذا الكتاب مساركاً مختلفاً في بعض المسائل عن القدماء، فتحدثت في الأشياء التي لها علاقة بناء الأسلوب وإن لم بعدها القدماء من مباحث علم المعاني، كما جمعت الأشياء المتناظرة على نحو ما قمت به في موضع الحذف، الذي تأثرت فيه بلاغة الحذف بدلاً من حذف الخرف في النداء أو الترقيق، وانتهاء بحذف الجمل.

كذلك قمت بدراسة التقدم والتأخير وما لهما من أثر في بلاغة الكلام، وكان التحول في الأسلوب والانتقال من أسلوب إلى آخر على خلاف ما يقتضي 4.
النازح من الأمور التي توقفت عنها، وأطلت القول بها لما لها من أثر نصي على المحتاج كله إليه القدماء، وتحديدًا فيه.

ولست أزعم أنني قدمت كل ما يجب القيام به في هذا العلم الجليل، لكن أزعم أنني خطوت خطوة في تعمد على صلة حمة بلغة هذه الأمة وكتابها وأدبها... وقد أفلت من كثير من الباحثين في القديم والحديث. وأسأل الله أن يجزيهم على... كما أسأله سبحانه حسن القصد، وتسديد الخطي، وأن يهدني سواء السبيل.

المؤلف
علَم المعاني هو الأساس الأول في علوم البلاغة، ذلك لأنه العلم الذي يراد به بناء الجملة على نحو يؤدي إلى وفاءمعنى وقامته طبقا لما يقتضيه الحال، وحين يزيد المتحدث أن يقوم بذلك بارمه أن يسلك طرقا في القول لا يتحم عليه أن يشكلها عندما يزيد أن يؤدي بكلامه المعنى الذي وضعته الألفاظ لندل عليه.

ولعل هذا القول يسلمنا إلى الحديث عن أن اللغة التي نستخدمها ليست في الاستخدام على نحو واحد. فهذه اللغة تستخدم في أحاديث الناس العادية، وحين يريدون قضاء حاجاتهم اليومية، ومصالحهم التي ترتبط بغيرهم من الناس، لكن هذه اللغة نفسها تستخدم لنقل المعارف والأفكار. أنتا نستخدما اللغة في نقل العلوم إلى غيرنا من الناس؟ يتحدث ويعضو بها، أو نكتب في هذا العلم أو ذلك؟

ولن يقف استخدام اللغة عند هذين الآثرين، فقد استخدمت اللغة منذ القدم التعبير عن المشاعر والأحاسيس، والى حد منها الأدباء والشعراء وسيلة جمالية.

وإذا كنا نسلم بأن اللغة في مفرداتها وترامها ونظمها ثابتة لا تغير، فاللغة المفرد لا بد أن يوافق قوانين اللغة في الاستعمال، بأن يكون مما وضعه العرب في تغذئهم، وحين يكون مأخوذة من غيره يلزم أن يكون على الطريقة التي
أقرها علماء اللغة في التصريف والاشتقاق والمجموع. وإذا انضم إلى غيره تحتم أن تكون هناك علاقة لهذا الضم، كالفاعلية أو المفعولة أو الزمانية أو المكانية أو غيرها من العلاقات التي تحدثت في علم النحو.

لقد قسم العلماء الكلام إلى ثلاثة أقسام: الأسم، والفعل، والحرف، أي أن الكلام لا يخرج عن هذه الأقسام الثلاثة. وأن الجمل إذا أن تكون من الأسماء، أو من الأفعال والأسماء، وتقوم الحروف بوظائف الربط وغيرها من الأمور للحددها علماء اللغة.

واعلم هذا القدر من متطلبات اللغة بستوى - في مقدار تحقيقه - أي مستوى من المتطلبات التي سبقت الإشارة إليها. فلا بد أن تكون لكلماك الذي يدخل في نطاق اللغة الفصيحة هذه الأمور الأولية.

وقد قرر ذلك علماء اللغة، القدماء، كما قرر البلاغون، وإذا كانت اللغة تستخدم على هذا النحو كيف مختلف في مبادئها على نحو ما أشار إلى ذلك علماء اللغة والبلاغون في القدم والحديث؟

إن اللغة التي تستخدم لنقل حقائق العلوم والمعارف لا يطلب منها بعد تحقيق الصحفة سوى أن تكون دقيقة ومحددة - وتعبر عن معانيها الذي جاءت للتعبر عنه دون لبس أو غموض. وقد كان تحقيق شرطها من الليسه من الأمور التي اشترطها اللغويون في كثير من الأحوال.

لكن لغة الأدب والفن مختلف عن ذلك، إذما ستكون وسيلة جمالية، يطلب منها أكثر من دلالتها إلى وضعتها، وبراد لها أن تعبر عن أمور لا تتضمنها المعاجم ولا تشير إليها.
ومن المشهور عند النقاد ودارسي الأدب أن الشعر إنجاء، أي أنه يعطي بتراكيبه ونظمه، ما لا تعطيه اللغة.

ويتفق على هذا الأمر علماء اللغة في القديم والحديث. وقد أدرك ابن فارس ما تتمتع به لغة القرآن الكريم من استخدام خاص للإيوسائل الفنية، وذهب إلى القول بأن هذه اللغة لا يمكن ترجمتها ونقلها إلى لغة أخرى. يقول ابن فارس: وقد قال بعض علمائنا حين ذكر ما للعرب من الاستعارة والتثيل والقلب، والتقديم والتأخير وغيرها من منجع العرب في القرآن الكريم فقال: وللذالك لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقل إلى شيء من الأسماء، كما نقل غيره من الكتب السماوية، لأن العجم لم تنسى في المجاز لساع العرب. وضرب ابن فارس أمثلة ببعض آيات القرآن الكريم، ويقر أن أحدًا لا يمكن أن يأتي بكل ما تضمته دون بسط للعبارة، وزيادة في القول. كما أن الشعراء يضمنون شعرهم ببعضا من الإنجاء - وإن لم يصل إلى ما وصل إليه القرآن الكريم - وهذا يحتاج شرح شعرهم إلى كثير من الألفاظ والعبارات حتى تتوصل إلى قرب مما جاءوا بهً.

وإلى مثل هذا، يذهب أحد اللغويين الحديثين فيقول: إن لغة الشعرية طبيعة خاصة، إذ تعتمد اعتيادا كبيرا على الظلال والألوان المختلفة التي تغيرها الكلمات، كما أن الأدباء بوجه عام، والشعراء بوجه خاص، يستعملون اللغة على نحو مختلف، وقد يجريون عن النواهد المعروفة، والتفايل المبطعة. وهم يعتمدون كل الأعتدال ما في الألفاظ والتراكيب من قوة الإنجاء، ولما كانوا مختلفين من حيث القدرة والموهبة والإحساس بما تضمن الألفاظ والتراكيب من

(1) ابن فارس: البصاحي 441-1244م.
قوة إخبار وهم ليسوا على درجة واحدة من السيطرة على اللغة وتركيبها، فإن البون يتعين بينهم في إثارة المشاعر ونقل الأحوال.

ولما كانت التراكيب تختلف من أدب آخر، ومن معنى لمغنى، طبقاً فتفتت حالنا، ويجري تكون التراكيب المستخدمة قد جاءت على وجه من وجه النحو. كان وجود ما أطلق عليه "علم المعاني" من الأمور الضرورية التي تكشف عن مدى مطابقة الوجه المستخدم في التراكيب الفنتط الحالة.

إن الأديب حين يستخدم اللغة، يقدم ويوخز، يعرف وينكر، ويدرك ويدفع، ويستعمل تلك الأداة من أدوات الربط دون غيرها. وهذه الوجه من الكثرة والتعدد كما هو معروف، وهو يرتوي الوجه المناسب للمعنى الذي يعبر عنه. وتتوقف البلاحة أو عدمها على إصابته الوجه المناسب، أو وقوعه دونه.

مفهوم علم المعاني وحالات بحث:

قلنا إن الأحافير بأصل وضعها قد لا تأتي بالمعاني التي يريد التكلم أن يعبر عنها، ولذا يلجأ إلى التحويل في العبارة بالتقدم والتأخير، والخنف أو الذكر، وغير ذلك من الأمور التي تجعل العبارة تتمتع وتزيد معاني ودلالات ليست لها.

وحين تعود إلى قوله تعالى في دعاء زكريا عليه السلام: "رب إلى وحن العظم مني وأشعل الرأس شيا وآمن بدعائك ربك شقياً" تجد ما يحدث في الآية من تأثير المضجع عن المضجع إليه، وتبادل الموضوعتين بينما قد جعل الآية الكريم تكشف عن الضعف الشديد الذي يعاني منه زكريا عليه السلام، وكيف أن الشيب قد انتشر في رأسه وعم جملته، وهذا ما لا يتحقق لو جاهات الآية على نحو: "أشعل شيب الرأس."
وعلم المعاني هو العلم الذي يبحث في أحوال التراكيب، وما يكون فيها من اختلاف، أو ما تأتي عليه من صور تؤدي معنىً ما يناسب حالة بينها.

يقول السكاكي في تعريفه لعلم المعاني: هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإقادة، وما يصل بها من الاستحسان وغيره. يحترز بالإفرط على الحرف، في تطبيق الكلام على ما يقتضى الحال ذكره.

والترابيبي كما مبيت تتبع وتنشج. وقد شرح ذلك عبد الفاهر الجزري. فإذا كان كلام العرب لا يخرج عن ثلاثة أمور هي: الاسم والفاعل والحرف. وأن النظم هو تطبيق بعضها بعض، وجعل بعضها بحسب من بعض، وأن وجه التعلق معروفة، فهي إن تكون بين اسمين، أو بين فعل واحد، وأن الحرف يكون للربط بينهما. ولا يتعلق الحرف بالاسم وحده في غير النداء، وفي تقييم فعله، كما لا يتعلق الحرف بالفعل وحده، ولا يبد في صحة الكلام من أن يكون مكوناً من مسند ومسند إليه. فلا يأتي كلام من جزء واحد.

وإذا كان من المعقول في تعلق الاسم بالاسم، أن يكون أحدهما مبداً والآخر خيرا عنه، أو حالا منه أو عطلا أو تركينا أو عطفا أو بدلاً، أو أن يكون الأول مضافاً والثاني مضافا إليه، أو عاملا فيه عمل الفعل، وأن هذه الأمور صوراً خلقياً فأخير قد يكون مفرداً، وقد يكون نكرة أو معرفة وقد يكون جملة في عمل، أو اسمية، وقد يكون شبه جملة. وحراً أو جاراً وحراً. وقد يتقيد على المبتدأ أو يتباخر. وبعض أى هذه الحالات أليق بالمقام وأحق بالتعبير عنه، وأولًا تتأديه هي مجال علم المعاني، ونلاحظ أن الوجه السابقة كلها والوجه إلى

(1) دلائل الإيجاز: 47.

11
تأتي في تعلق الفعل بالاسم وتعلق الخرف بما في معاني النحو وأحكامه(1) ومن هنا أكسب علم المعاني تسميته، فهو علم معاني النحو التي يقع عليها المشيء.

وبصفب يما يجب لكل مقام من المقال ومعرفة الحال، وما يجب لها من الكلام من الأمور الدقيقة التي تحتاج إلى المعرفة والتصدير. وقد وفر فيها غير واحد من العلماء، فالمكنى فيسوف العرب ذهب إلى أن الناس البرد قائل: إن لأجد في كلام العرب حشوا. قال أبو العباس في أى شيء... قال: يقولون عبد الله قائم، وإن عبد الله قائم، وإن عبد الله قائم، والمعني فيما واحد.. فأجابه أبو العباس أما الأول فهي إخبار، وأما الثانية نجوم سائل، وأما الثالثة فور منكر: لقد بين أبو العباس البرد للكندي الأحوال التي سوحت جمع الجملة على هذا النحو، أو ذاك، أو كما سئرف ما يجب لكل مقام من المقال.

والاعتبار في سوق الكلام على هذه الصورة أو غيرها. إنه هو للتلميح، ومن له فضل تتميز بين صور الكلام... وأن يكون متلبى من ذوى الفطر السليمة، والذوق الذي يفرق بين الذين والثمين ويفقه على موضع الخصومة، ويملص مكان الجودة.

ومن خلال ما سبقت الإشارة إليه تكون مباحث علم المعاني كما حددها العلماء كما يلي:

(2) السابق : ٤٧١.
في الأخبر والإنشاء:

كلما يصدر عن الناس من كلام لا يخرج عن واحد من أثنين، هما الخير والأنشطة، وعلماء البلاغة يعرفون الحكراً بأنه الكلام الذي يكون له مضمون يمكن أن يتحقق أو لا يتحقق عندما نقول: قطط الولد الزهرة تكون الجملة قد تضمنت حكماً هو القطط محسوحاً إلى الولد وقد وقع أولاً ... كذلك حين نقول: السماء صافية تتضمن الجملة حكماً هو نسبة الصفاء إلى السماء. ويمكن أن يكون هذا الكلام صدقاً إذا صدقه الواقع أولاً يكون... وهذا يقولون إن الخير هو الكلام الذي يعبر النص والكذب لذاته... أي بصرف النظر عن قائله ... فإن صدقه الواقع كان صادقاً وإن لم يصدقه كان كاذباً.

أما أسلوب الإنشاء، فليس فيه مثل هذا المضمون الذي يمكن الحكم عليه، فقدما طلب من الولد أن يقطع الزهرة قائلاً: اقطع الزهرة ... أو عندما تستفهم قائلان: هل قطعت الزهرة؟ لا يضمن الكلام شيئاً يمكن الحكم عليه إنه مجرد إنشاء شيء.

ولذا يقولون إن الإنشاء هو الكلام الذي لا يمكن الحكم عليه بالصدق أو الكذب.

أي أنه ليس له مضمون خارجي يعكس الحكم عليه ...

13
الإسناد الحيرى
ويشمل على أعراض الحير – أضرب الحير – التجوز في الإسناد

أولاً: الخبر.

تعريفه: تقدم القول بأن الخبر هو كل كلام يحمل الصدق والكذب.

ثانياً، أي بغض النظر عن قائله. والحقيقة في التعريف ليبعد فيه الأخبار الواجبة.

التصديق ككل الأخبار التي وردت عن الله تعالى وعن رسوله عليهم الصلاة والسلام، كما يدخل فيه الأخبار الكاذبة أيضاً كأخبار المبتدين في إدعائهم النيه.

والبيانيات المفتركة بصدقها، كقولنا الواحد نصف الاثنين. فكل هذه الأمور.

إذا نظر إليها ذاتها، ودون اعتبار لما صدرت عنه، أو أي اعتبار آخر كذلك.

أبوه صح إلى الصدق أو الكذب، أما إذا نظر إليها بما فيها من خصوصية في الخبر.

فإنها تنسب إلى الصدق أو الكذب.

صدق الخبر وكذبه:

أما صدق الخبر أو كذبه فثبت حين ينظر إلى مطابقة ما يدل عليه الكلام.

بما يكون للخبر من نسبة خارجية، فمن المعروف أن لكل كلام نسبتين، تعرف

إحداهما من الملفظ، ومن النسب المقداري، وتعرف الثانية من الخارج وتسمى

نسبة الخارجية، فإن تطابقت النسبتان كان الخبر صادقاً، وإن اختلافها كان الخبر

كاذباً، فنحن حين نقول الجر معتدل، ويكون الجو كذلك في الواقع نحكم بصدق

الخبر، أما حين يكون الجو غير معتدل فإننا نحكم بغير ذلك.
ثانيًا: الغرض من إلقاء الخبر:

حين يلقى المتكلم خيراً من الأخبار يقصد إلى واحد من أمرين:

الأول: أن يقيد السامع شيئاً لم يكن له بعلم من قبل، كما أننا لو لا يعرف شيئاً عن نشأة البلاغة: نشأت البلاغة في ظل الدراسات القرآنية. وأن نقول أن لم يخرج من بيته ويعرف حالة الجو. الجو بارد. ويسمى الكلام في مثل هذه الحالة فائدة الخبر. أي أن فائدة الخبر تكون حين نعطي للسامع خيراً لم يكن على علم به.

وقد يلقى الخبر لشيء آخر. قد يكون السامع على علم يضمون الخبر، لكن المتكلم يريد أن يخبره بأنه يعرف الأمر مثلما. كان نقول من زار صديقه بالأمس وأفقع عليك ذلك. ورأت صديقنا فلنا أمس، أو نقول من أخفي سفره: وسافرت إلى القاهرة يوم الجمعة الماضي، وسمى ذلك لأزمة الفائدة. والخلاصية أن الخبر قد يلقى من لا يعرف شيئاً عن مضمونه. وسمى فائدة الخبر، أو يلقى من يعرف المضمون، وسمى لأزمة الفائدة.

لكن الخبر - وتخصص في الأدب - لا يتوفر على هذين الأمرين. بل يساك لأراض أخرى بلاغية - يكشف عنها السياق الذي وردت فيه. فحين يخاطب ابن الرومي عليه قائلًا:

فجأً فجأً قد آوى نظركم وما عجب،

بُكَارُكَمَا يَشْفِيُونَ وَلَا يَجْدِيُونَ
لا يسوق إليهما فائدة الخير أو لازم الفائدة، لكنه يكشف عن حزنه وألمه وتوجهه لفقد ولده. وعندما يقول أبو فراس الحمداني:

لا يسوق الكلام من أجل فائدة الخير أو لازم الفائدة لكنه يتعمج من تلك القوة والمجدد والصرح على ما أصابه.

وحين نستمع إلى قول أبي الطيب المتنبي:

لا يبحث عن فائدة الخير أو لازم الفائدة، فма هذا أو ذاك أراد أبو الطيب. لكنه يريد أن يفاخر بشعره، فيه الذي يجاب الأفاق، وتداركه الأبدى والأمام، وطيرت له القلوب والنفوس، وأصبح هو وصاحب معامل معروفة، وعوالم معلومة، وأعلاها على الشجاعة والبلاغة والغطة.

وحين نستمع إلى ضرازات الشاعر في قوله:

إلى عبلك الفاضي أتاك. مُقَّرَّ بالذُّلوب وقُدَّ ذَهَان

نعم بالحوض والضعف الذين ساقي الشاعر من أجلهما قول. فهو لا يريد أن يعرفنا فائدة الخير أو لازمها.

وفي قوله تعالى: فَرَبِّ إِلَى وَهِبِ العَظِمَ مِنَ واشْتَعَلَ الرَّأس شَيَا، وَلَنْ أَكْنَ بَدَعَالَكَ رَبٌّ شَفِيعًا لَّمْ يَكُن زِكَّارًا عَلَى السَّلَام يَظَهَّر إِلَى الضعف والجاءة.
المعين ، وهو يعلم أن الله سبحانه وتعالى يعلم مضمون الخير ، وحاشى أن يقع في
وهم الرسول عليه السلام غير هذا ، كما يعلم أن الله يعلم ما يعلمه عن نفسه . ومن
هنا لا يكون المقصود بالخير فائدة الخير أو لزوم الفائدة في نصيحة الشاعر الأعمى
التي تظمها حامد طاهر . وفيها يقول :

طَلَقْتُ مِنْ سِيْرِهَا سَلَمْتُ .. فَقَالَتْ إِنِّي أُعْمِى
ضَيْهَرُ لا يَرَى الأَشْوَاقِ فِي عَيْنِيٍّ وَالْحَلْمَاء
وَرَأَيْتُ فِي إِبْرَاهٰٰبِ الْحَسَنِ ثَهْجُمُ عَلَيْهِ نَحْلَمَا
وَتَطْوِي أَمْنِيَاتِ الحُبِّ مِنْ أَعْمَاقِهِ أَهْنَمَا

أَجَلَّ أُعْمِى ! ! وَلَكَنّ هَيْنِي ذَبَي الْمَوَارِيْ ضَفَّاءُ
وَمِنْ جَوَازِيْ فَجَرُّ مِنْ الثَّحْنَانِ وَضَيّاءَ
وَنِيرُ الشَّعْرِ يِبْضًا .. لَمْ يَكُنْ يُهِيَّرَ بِهِ اللَّمَاءُ
وَدِينَا مِنْ أَغْدُرِها بَالْقُلْبِ لَا لَّاَضَاءَ

أَجَلَّ أُعْمِى .. إِذَا مَا ضَلَّ فِي الْطِّرَقَاتِ أُرَكَّأَ
وَمَّدَّ عَصَاهَا فِي لِحْطَةٍ ثُمّ عَزَاذَ مَجِرَّهَا
وَلَكِنَّ إِنْ رَأَى فِي الكُونِ الْوَجِيدِانِ الْقَاهِرَا
وَجَابَرَ أَغْمَقَ الْأَسْوَى .. رَاحَ يَغَاطُ اللَّهُ

أَجَلَّ أُعْمِي كَأَا قَالَتْ .. أُعْمِي لَا يُرَى السَّحْرَا
وَكَيفْ يَعْقُبُ هَذَا الْحَسَنٌ إِنْ تُادِهَ أوْ أُعْرِي
أَنَا يَا غَادِقَ قَلْبِي بِإِخْصَاصِهِ أَذْرَى
يُجَادِلُ يُبْنِي هِمْ السَّرَّةِ الْعَدُرُّ أَذَرَى

١٧
ففي الأيات الأولى يتحدث الشاعر عن لسان تلك الحبكة التي لعب
الجمال بعقلها فأحبها، وجعلها لا تنظر في الشاعر الذي أحبتها سوى فقد بصره،
ومن ثم سوف لا يرى جمالها الساحر، ولا يشعر الأشواق والأحلام التي تسبح في
عينها، وهي بهذا الصنف حلمت قلبها، وقتلت أمانيه، وطوت أميات الحب في
قلب الذي هام بها.

وهينَ، نظر في أساليب الخير لا تقده الشاعر بسونتها لعلماً فائدتها أولازم
الفائدة، لكن لا يكشف عن غرورها من جهة وله يجيء من جهة أخرى.
فإذا انتقلنا إلى المقطوعة الثانية: وجدنا الشاعر يقر بما فيه من قدر الصرى،
لكنه يكشف عما يعم به من نور الصيرة، وما تمثله به نفسه من أضواء في
كوه الموار أضواء، وفي جوانجه الفجر الرضاء.. وفي مشاعره البيضاء نهرا ..
ويجتمع الشاعر في هذه المقطوعة عداً من الألفاظ المشعة بالضوء، والتي
تبدد كل ظلمة فضح نلحس فيها ألفاظ مثل: ظباء - وضاء - فجر -
البيضاء - ألاء ..

وعلى آية حال يخرج الشاعر بالخير عن وظيفته في فائدة الخير أو لازم
الفائدة، بل بكشف عن قدراته ومكاناته، وما أخطيء الله سبحانه وتعالى من
مناقب لا يكافد يشتم بها غيره، والتي تصبح مجازوها عامة فقد البصر شيء هينا .

18
ولعله يشير إلى أنه بقوله تعالى: "فَإِنها لا تعني الأبصار ولكن تعني القلوب التي في الصدور".

والخلصاء أن الخير في الشعر بصفة خاصة والأدب بصورة عامة لا يرد به إقادة المخاطب ما يسمى فائدة الخير أو لازم الفائدة. بل يكون المراذ شريحاً آخر، كإظهار الضعف، أو الخير أو الفاخر أو أى شيء آخر يكشف عنه السياق ويجدده. وليس صحيحًا ما ذهب إليه أحد الباحثين المحدثين حين قال: "وقصائد المدح في الأدب العربي، وال별غة الذي يتعلق لوصف حيوات القلوب، وقصائد الحث واللوم والهجاء، وما يشبهها من المباني تتضمن جميعاً تحت لواء سماء البلاغون: ولازم الفائدة في الكلام الخيري". (1)

ثالثاً: أضرب الخير وما يجب لكل منها:

يجب أن نضع في اعتبارنا دائماً ذلك الشرط الذي وضعه البلاغيون لجودة الكلام واستحقاقه لأن يسلك في الكلام البلغ، ويجرح صاحبه بن البلغاء وذلك الشرط هو مرااته لمقتضى الحال، وما يجب لكل مقام من الحال.

وقد نقسم البلاغيون الخير إلى ثلاثة أضرب. فالنظر إلى حال المخاطب. فإذا كان المخاطب لا يعرف شيئاً عن مضمون الخبر، وليس له موقف منه، فإنه الكلام أن يأتي على نحو معين أما إذا كان لديه علم بمضمون الخبر وهو يتردد في قبوله. فإن الكلام يحتاج إلى أن يتخذ مساراً مختلفاً عن الحالة السابقة. وإذا كان المتكلم يعرف مضمون الخبر ويذكره فحالة تحتاج ما لا تقضيه في الحالين السابقين.

(1) البلاغة في نوبيها الجديد: 20.
الضرب الأول يسمى الضرب الابتدائي، ويكون المتلقي فيها خال مدهن عن مضمون الخبر ويساق له الكلام خالياً من أي تركيز. كأن تقول مثلاً يجد الدارس النفع في دراسة البلاغة، أو تقول له البلاغة توقفنا على أحسن السبل في سوق العباره. ومثل هذا أيضاً أن تقول مثلاً لا يتخذ موقفاً، أو يشك رأياً حول رسالة الجامعة، الجامعة مركز إشاع في الوطن.

والضرب الثاني هو الطليع. ويساق للمردد في أمر من الأمور، كأن تقول مثلاً يتردد حول سفر صديقه. إن صديقك سافر، والتوقيع في هذا الضرب يكون على سبيل الاستحسان، وذلك ليزرل الترد من نفس المتلقي، ويصل إلى اليقين.

ومثل ذلك تقوله مثلاً يتردد في فائدة البلاغة بالنسبة له فنقول له: إن البلاغة علم نافع.

الضرب الثالث: هو الإنكار. وهو يساق في حالة من ينكر مضمون الخبر، وهذا الضرب يجب توكيد الكلام فيه. والتوقيع يخرج ويراد كلما زادت حالة الإنكار.

وكما يروى في أضرب الخبر، ويكشف عن وجه معينة الحالات التي بلغي فيها الكلام، والكيفية التي. يلقي بها ما ورد عن الكيني الفيلسوف حين ذهب إلى أبى العباس المرد فلاشة: إلى أجد في كلام العرب حشواً، فقال له المورد في أي شيء؟ قال: تقولون عبد الله قالم وتقولون إن عبد الله قام، وتقولون إن عبد الله قالم، وكان جواب المورد أن الحالة الأولى في الكلام مجرد إخبار لا موقف للسامع منها، فذهنه خال من مضمون الخبر. أما الحالة الثانية
في جواب عن سؤال... أي أنها تكفي في حالة الشك والتردد، أما الثالثة فهي رد إنكار منك... 

وفي القرآن الكريم ملاحظة لأحوال المخطئين، وإلغاء للكلام بحسب هذه الحالات. ففي سورة يس يقول الله سبحانه وتعالى: "وليضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون، إذ أرسلنا إليهم الدين فكذبوا فعزنا بثلاث، فقالوا: إنما إلينا يلتمسون; فقلوا ما أنت إلا بشر مثنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنت إلا تكذبون".

فالآيات القرآنية تبكي لنا موقف أصحاب القرية من رسلهم، وكيف لم يستجيبوا لدعوة الحق. وكدروا رسلهم، والله سبحانه وتعالى يعلل برسالتهم في بآدي الأمر. رسلون فيجدون من هؤلاء الكذابين والأنكاد، فيعزز الله سبحانه رسوله بالثقل، ويوصي الرسول كلامهم إلى هؤلاء مؤكداً: "إن ما إلينا مرسولون، فقد أكنوا الجملة: إن إذا نصبت الرسالة عليهم، أياً أن هؤلاء الرسل أرسلوا إليهم وليس إلى غيرهم. لين الكفر يبدون من درجة تكذيبهم وإنكارهم. فقولون: "ما أنت إلا بشر مثنا، وما أنزل الرحمن من شيء إن أنت إلا تكذبون"، إن المؤكد مما يختلف فيها لا يتصرفون أن يكون الرسول منهم في بشريتهم، وكيف يستجيب عقلهم أن يكون الرسول أناً بأكلون الطعام ويشعرون في الأسرة ؟ كيف لا يكون الرسول ملائكة. لقد قَضِيَّوا الرسول على البشرية وما داموا كذلك فإنهم مثلهم، لا يميزون عبدهم في شيء. ثم يبدون بالإنكار فيقولون أن يكون الرحمن قد أنزل شيئاً، أو أرسل رسلاً. ثم يخطبون قولهم بذلك العبارة التي تقول: "إن أنت إلا تكذبون". إنها تصورهم وضيهم على الكدب وحدة. لقد بلغ الإنكار ذروته، ولا يناسبه إلا أن يصل التأكيد ذروته، وكذلك...
تأتي قوله تعالى: "فقالوا: رَبّنَا إِذَا إِلَيْكُمْ مُّرَسَّلٌ فَهُمْ يَبَيِّنُونَ التَّوْكِيدَ" بإسناد الأمر إلى عالم الله، فربما يكون التوكيد بإعجاز الجملة، وإن، ولم الابتداء، وقصر الرسالة عليهم، ومن المعروف أن أسلوب القصر فيه توكيد للكلام، كما سنرى ذلك فيما بعد. وإذا جاء الكلام خالق الدهن بغير توكيد، ولمبتدئ الشاك مؤكداً بمؤكد على سبيل الاستحسان، ولمكن مؤكداً بأكثر من مؤكد على سبيل الوجوب، وبسبب حالة الإنكار خالق الكلام جاء على حسب مقتضى الظاهرة، وتكون بلاغته في مواهبه هذه الحالة فقط. لكن البليغ قد يأتي بالكلام على غير ما يقتضى الظاهرة مشياً إلى نكتة بلاغية يوصل إليها برغم الحس، دقة اللاحظة، وعمق النظرة. فإذا كان هناك من يتكرر وجود الله مثالاً، فإننا حين نخطاه بحسب ما يقتضيه الظاهرة سنقول له (إن الله موجود). كنا قد ننزل منزلة خالق الدهن، ونسوق له الكلام من غير توكيد البينة. فقال (الله موجود). وكنا بذلك نويم إلى أن كل شيء في الكون يدل على وجوده سبحانه، فالكون التي يعطي كل منها في مسام، والأخلاك التي يحكم بها الكون، والإنسان وما سالبه للأصح من أجهزة في داخله، والبحار والمحيطات، و كل شيء يراه أو يسمعه، أو يسمع عنه كلها دليل على وجوده سبحانه، فلا مكان إذا الإنكار وعكاسته. وقد ينزل منزلة الدهن منزلة المنكر أو المتعدد كأن يرى في حالة وراءها حالة من ينكير الأمر ولا يصفحه، وذلك كان نقول للمسلم الذي يعرف ما حرم الإسلام وما أحل، إن الخمر محزوماً بنص الكتاب، وقد نزلنا منزلة الشاك أو المنكر لأنه يتعاطى.
الحمر، وكأنه في حال شبه بخلالهما. أو نقول له إن الصلاة فرضة، فنزله منزلة النزول الشاذ مع أنه ليس كذلك، وإذا اتبعنا منه هذا الموقف لأنه ترك الصلاة، أو أهل في أدائها.

وجين يحكي الخبر على هذا النحو: نقول إن الخروج قد جاء على خلاف مقتضى الظاهر. وعليها أن نبحث عن الكنيسة التي اقتضت ذلك، يذهب أن نذهب إلى أن ذلك لا يتألق لغير الأدباء والبلاغاء الذين يضعون الكلام موضعه، ولا يجوزون به هذه الموضع إلا لما يبينه بعرفها أنهم. ويرفضون من يلقون له القول ثانيا. أما الذين حمروا صفة البلاقة فلا يتألق منهم مثل ذلك، لأن وضع الكلام في غير موضعه قد يكون نتيجة الجهل وعدم المعرفة.

ومن اللائمة التي نزل فيها خالي الفنون منزلة المرتدد قوله تعالى: {كنا أياها الناس أنوا ركتم إن زارئ الساعة شيء عظيم} والنكرة التي اقتضت هذا، وحيلت الكلام يأتي على خلاف مقتضى الظاهر ما تضمنه الكلام السابق لها من إشارة إلزام السائل. قال الله سبحانه وتعالى في الآية الأولي يطلب من الناس أن يتقوا الله وخشونه. وهي في بداية السورة وتفتحها. وهنا قد يقول المستمع: لماذا هذا الطلب، فإن التكيد لإزالة هذا التردد من جهة، وقوى ما تصف به القيادة من قوة عبر كيان الحق، وتدعى في نقوسهم الهلع والفرع.

وعلى هذا النحو جاء قوله تعالى أيضا على لسان - رسول الله ﷺ - حين كان في الغار مع صاحبه، والكفار يجدون في طلبهما، ويسبون النسيق الأذى بهما، والخوف يخطبهما بما من كل جوانب، حتى في الغار لم يكن الأنس متحفظا في كل الأحوال والظروف إلا إن تصرحو فقد نصروه إلا أخرجه الذين كفروا ذائتين إذ هما في الغار. إذ يقول لصاحبه لا تخزه إن الله معنا فأنزل الله
مسكينة عليه، وأبدها يجوز لم تروها، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى،
وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم 

فالآيات الكريمة تحيط بالحال من جوانبه، وتعبر عنه في أحيى صور التعبير،
رحين يأتي الكلام موقفاً يكون بالنظر إلى ما كان عليه الصديق من حال الخوف لا على نفسه، ولكن على رسول الله ﷺ. هذا الخوف الذي نلمسه من صغر الصديق،
رضي الله عنه تارة عن جبين رسول الله ﷺ، وأخرى عن يساره، وثالثة أمامه،
ورابعة خلفه، لأن الصديق كان يخشى أن يصاب رسول الله ﷺ بأي جهة، وحتى في الغار كان فيه ما فيه من الهواء التي لا نقبل خبرًا عن كفار قريش،
هذا نزل منزلة من بشك في النجاة ... فقال له ﷺ: لا تجرون إن الله معنا،
وقد نزلت ( السكاكى ) جالبة من التعليق للجمال القول في مثل هذه الأحوال. وهو
أن ينتمم في الكلام ما يلوج له رجوع الخير، فستشرف له استشراف التردد الطالب، كقوله تعالى: ( ولا تخاطبوني في الذين ظلموا إني مغقوقن) فقد
تقدم في الآية ما يجعل الخاطب يسامي: لماذا لا يخاطب نوح ره في أمر هؤلاء
الظلمين المعادين، وحتى يقضي الجواب على هذا التردد جاء التوقيد في الآية
الكريمة: ( إنهم مغقوقن ).

وأما جاء في التزيز على هذا المقتضى من تزليحل خلال الدهن منزلة التردد،
ولنفس السبب قوله تعالى على لسان مروة العزيز: ( وما أبرياء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم روى) لأنه لما تقدم في الكلام قوله:
( وما أبرياء نفسى ) تولد في نفس المستمع لقولها تساؤل: ولم هذا؟ فجاء
التوكيد لزيز من نفسهم هذا الاستشراف والتساؤل.

(1) دلائل الإعجاز : 289
وسلوك هذه الطريقة - كما سابق - شعبة من البلاغة فيها دقة وغموض، وهي قد تغمض على غير البليغ الذي يعرف مداخل الكلام وأوضاعه. وما يناسب كل مقام من المقال. وقد روي أن أبا عمرو بن العلاء وخلفا الأخر كانا يقدران بشار بن برد ويفعلانه بغية التعظيم والإكبار. وحين أنشد بشار قوله:

"بكرا صاحب قبل المجرق إن ذلك النجاح في التبكي" 


ولم يحدث ذلك إلا لأن بشارة كان أدرى بموقع القول وما يناسبه. وقد خفي ذلك على صاحبنا، فأرسلناه إلى أن يربط بالفداء. بما كان أولى. لكنه تلقى هما مقصده من الكلام وأوقفهما على مكان اللطف فيه، وأزال بذلك ما كان عليه من الخفاء.

وينزل غير المنكر مرتلا المنكر إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار.

وذلك كقول: حبلة بن نضلة الباهلي:

"جاء شقيق عارضا زرعحة إن شاء أعمل فيهم رشا" 

لقد جاء شقيق هذا واضحا رامه على نفسه، بحيث يكون عرضا ناحيا.

هؤلاء القول مفتاح هذه الجائزة فيها عدّة أكثرا بالقلم، وكأنهم ليسوا أعلا المعراب، أو كانوا لا يملكون عدة الحرف. ومن هذا جاء بقوله: "فإن بني عمك فهم رماح، وهي مما يكون من نكر الشيء والجاحد له.

20
وفي قول الله حماعة وتمال: «فَإِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لِمَيْتُونَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَبْعَونَ»

لمثل الجزء الأول ينزل فيه غير المنكر منزلة المنكر، ويؤكد له مؤكدين. فلا يكون إلا برتب في فيه أحدث لأنه ما يعت للناس في كل وقت. وقد جاء هذا الجزء من الآية ليقرر أن الناس على الرغم من عدم تكرارهم للموت يجدون في غفلتهم، ويعرضون عن العمل الصالح، ويزيدون الذنوب والآثام وهذا جاء التزكيد على نحو ما أسفلنا، وجاء الخير اسما لبدل على الثواب.

لكن الجزء الثاني وهو الخاص بالبعث. وهو ما ينكره الكافر ولا يؤمن به فيه مؤكد واحد، أي أن المحاسبي ينزل منزلة مرتدية بها هو جاحد منكر. وذلك إما إلى الدعاء التي تشير إلى البعث. ومن روعة القرآن الكريم، بلاغته أن يأتي الحق هنا فعلا ليقيد التجدد والجدوث على خلاف ما حدث في الجزء الأول من الآية الكرمة.

رابعاً: الجزاء العقل أو التجوز في الإنسان.

كان عبد القادر الجرجان أول من نبه إلى هذا النوع من الجزا... فقد براه أن الإنسان قد يأتي على حقيقته أو يقع من يوقع أن يقع منه، وهذا هو الإنسان الحقيقي، وقد براه إلى من لا يفسد وقوعه منه بحسب العادة أو الاعتقاد.

وقد عرفنا في علم البيان نوعا من الجذاز يكون بنقل الكلمة من معناها إلى معنى آخر، وقنا عادة أن هذا الجذاز هو الجذاز اللغوي لأنه يكون في حق اللفظ لكن النوع الذي تم بصدده لا يكون في اللفظ وإنما يكون في إنسان اللفظ إلى غير ما هو له.

(1) المؤتمرون: 16
يقول عبد الناصر: اعلم أن طريق المجاز والاتساع في الذي ذكرناه قبل،
أنك ذكرت الكلمة، وأنذ لا تريد معناها، ولكن تريد معنيًا ما هو رفض له،
أو شيء، فتجوزت بذلك في ذات الكلمة، وفي اللفظ نفسه،
وإذا قد عرفت ذلك، فالعلم أن في الكلام جزاء على غير هذا السبيل،
وهو أن يكون النجوز في حكم يجري على الكلمة فقط، وتكون الكلمة متروكة
على ظاهرها، ويكون معناها مقصودا في نفسه،
إن وجود معنى اللفظ فيه يبعد القول بالمجاز.

يضرب عبد الناصر الجرجاني مثلا لذلك يقول الشاعر:
وصيئي هو ما، وبيحيلي يضرب المثل.
وقول الشاعر:
يريدك وجهة حنا إذا ما ذذكه تنظراآ
معنى الفعل: صيئ في البيت الأول موجود فيه، ومعنى الفعل يريد كذلک.

وإذا كان معنى اللفظ موجودا على الحقيقة لم يكن المجاز في نفسه، وإذا
لم يكن المجاز في نفس اللفظ كان لا مثالة في الحكم.

وقد مثل على ذلك قوله: تبارك صائم، وليلك قائم، ففي الجملة الأولى
جاء التهاب على أصل وضعه، والصيام كذلك. لكن النجوز جاء في نسبة الصيام
إلى التهاب ووضعه خيرا له، ومع ذلك ليلك قائم للفعل جاء على حقيقةه،
وذلك القيم لكن النجوز جاء في الإسناد.

(1) دلال الإجابة: 289-291.
ومع ذلك قول تعالى: "لم أؤلفكم الذين اشتروا الضلالاً بالهداى، فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين في الظلامية لم تتجاوز أصل وضعاً ومعداً، وكذلك الربح، لكن التجوز جاء في إسغاد الربيع إلى التجارة.
ومقابل المغاز العقلي الحقيقي العقلي فيها يعرف إذا ما يقول الفاصل:
وبضدها تميز الأشياء.
وما دام الأمر كذلك، فمن المناسب أن نذكر شيئاً يحدد لنا مفهوم الحقيقة العقلي ثمة نتبعه بما بين مفهوم المغاز العقلي...
وقد عرف الخطيب الذهري الحقيقة العقلي بقوله: هي إسغاد الفعل
أو ما في معناه إلى ما هو له عند التكلم في الظاهر.
والتصريف يحدث عن إسغاد الفعل وما في معناه، وما يكون في معنى الفعل هو اسم الفاعل واسم المفعول، والرمان والمكان، واسم الفضيل...
والقيد بما هو له... يعني أن إسغاد الفعل إلى الفاعل الذي قام به فعله حقيقة، كقولنا: إن الله الزرع، فالله هو فاعل الفعل، ومثل ذلك: قام محمد فقد أصدق إليه الفعل وإن كان الفاعل الحقيقي هو الله.
وقد حدث جدل طويل حول أفعال العباد، وهل هي لهم، أم أنها الله سبحانه، وأن ما لم فيها هو الكسب والاختيار - كما يذهب إلى ذلك أهل السنة والجماعة.
ولسنا نريد الخوض في هذه القضية لأنها ليست مما يعنيها في هذا المجال.
لكننا نؤكد على مجموعة من الأمور:

28
أوها: أتى نرى ما يراه أهل السنة من أن الأعمال كلها مخلوقة الله سبحانه.
وعندماقول: إن محمدًا قام.. فإن كسيه وتحصيله واعتباره يكفي لأن تقول إنه فاعل الفعل، ومن ثم يكون إسناد القيام إليه حقيقة.

المعبرة في التعريف بما يعتقد المتكلم... وهو الذي يحدد ما إذا كان الكلام حقيقة أو مجازاً. فعندما يقول الموجود: أثبت الله الزرع يكون الإسناد إسناداً حقيقياً. وعندما يقول الكافر: موت وتخبها وما يلحنها إلا الله.. يكون الإسناد على الحقيقة بحسب اعتقاده، وإن كان غير ذلك بحسب اعتقاداتنا.

أثر المجاز المقل في الأداء الفني:

وكان بين عبد القاهر الأثار الفنية التي ترتيب على الاستخدام المجاز في اللفظ وأن ذلك من السبب التي توظيف الفعل للأدب، وتتضح له سبيل الإبداع، وتكسب الكلام جماله وجلاله. يجب أن الكلام في هذا النوع أيضاً يفخمه عليه المعنى، وتحذره النباهة.

ويتضح الفرق حين ننظر في مثل قول الشعر:

فتأم لقله وتجلي هوى

ما فيه من حسن، ونقارنه بقولاً فنست في لب، وتجلي حمى فيتهي عبد القاهر الجراح إلى قوله: "أن هذا الضرب من المجاز كنز مكنن كنز البلاغة، ومادة الشاعر الملفق، والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان، والانتشار.

ويطرق على هذا النوع من المجاز اسم المجاز الحكيم، وبين أن من أسباب حسنه - كما كان من أسباب حسن المجاز اللقوى - نبيهة التنظيم وإعداده.
لنقبل المجاز، وأعلم أن من أسباب اللطف في ذلك أنه ليس كل شيء يصلح لأن يتعاطى فيه هذا المجاز الحكمي بسهولة، بل تجده في كثير من الأمر وأنت تحتاج إلى أن تعلم الشيء وتصلحه لذلك بشيء توخاه في النظم. وإن أردت مثلا على ذلك، فانظر إلى قوله:

"فِينَ حِينَ عِمَّي الرُّبَيْقِ ضَرِّ عَلَيْهِمَا ضَرِّ نَفْسِي ضَرِّ البَيْتِ نَفْسِي ضَرِّنَا ضَرِّنَا ضَرِّنَا ضَرِّنَا ضَرِّنَا".

أناشئ طلاب العريمة إذ تأت شواذ الأفاعي متعبثت تجوب للظلماء عين كأنها نحن في الأيام أمام صورة من صور الحزن والأمم التي تحاول الشعراء الهروب بسببا عن مكانه، فلم يعد له في هذا المكان إقامة طالما رحلت له عنه ووسبته في هذا الارتداء جملة سريع العدو الذي ضمر جسمه من طول سره حتى أصبح الحزام لا يستقر عليه، وقد تلمت أذفاته لطول السور عليه، حين تخس به الأفاعي تقبض جلودها.

وهو الجمل معود على سرى الليل والسير فيه، ويساعد عليه ذلك عيان غائرتان يشق بينهما سدول الليل، ويخترق بهما حجبه، ويشبه الشاعر هذين العينين بالزجاجة التي ذهب نصف شرابا، وبقى نصفه الآخر.

ثم بين عبد القاهر سبب الجمال في البيت الأخير، وأنه كان بسبب مهمة النظم وإعداد الكلام وقد على الجار واجورر [له] بالخيل [تجوب] ولا هذا ما صلحت العين لأن تكون فالا لفعل [تجوب] كما أن جهة النجوز ما كانت لنظهر، ويفتقر الأمر كثيرا لو أنه قال مثلا: تجوب للظلماء عينه، (1)"

(1) خلال الإنجاز: 286-291.
هل لابد من حقيقة لكل مجاز؟

يذهب بعض البلاغيين إلى أن أي مجاز لابد له من حقيقة يمكن الرجوع إليها.

وفي مثل ما نحن فيه من المجاز العقلي أو مجاز الإسناد مثلا نجد في مثل قول الله سبحانه وتعالى: "فما رجحنا في تجاربهم" أنه يمكن الرجوع إلى الفاعل الحقيقي فقوله: "فما رجحوا في تجاربهم" كما يمكننا في قول الشاعر:

يا ممسى إذا اختلط السيوت نسائينا ضرب تطير له السواعد أرعل

أن تقول نحمى نسائنا بضرب.

لكن عبد القاهر الجرجاني لا يذهب مذهب هؤلاء ... وقد بين لنا في حديثه عن الاستعارة أنه ليس بلازم أن ترد كل استعارة إلى أصلها من التشبيه.

وهو هذا بين لنا أن من الأفعال ما يسند إلى ما ليس له. ولا يكون له فاعل حقيقى يمكن أن يرجع إليه. فلا يمكن الزعم بأن لصبرى في قول الشاعر:

وصبرى هـضواك وبي يميني بضرب المشل.

فأفعال قد تقلت عنه الفعل فجعل للهواء.

وذلك ليس للفعل ويريد فاعل يمكن الرجوع إليه في قول الشاعر:

يريدك وجهه حسنا إذا ما زدت نظرا.

31
العلاقة في المجاز العقل:

سبق أن عرفت أن المجاز لا يصح إلا بشرطين:

1- أن يوجد في الكلام قرينة متين من أن يكون الكلام على حقيقته.

وهي إما لفظية أو حالية، والقرينة اللفظية وجود لفظ بدل على ما أراد المتكلم وما بعثه في إسناد الفعل، وذلك على نحو ما جاء في قوله:

قد أصبحت أم الحباير تدعوني على ذنيا كله لم أصنع من أن رأت رأس كرس الأصم يزيز عنه قرها عن قرع جذب الليل أبطؤ أو أسرع.

فقال: فقد جاء بعده قوله:

أناه قبل الله للشمس أطلعه حتى ذا داراك أفق فارجعي.

فقال بين في هذا البيت اعتقاده، وأنه موحد، وأن الفاعل الحقيقي هو الله، وعلى ذلك فالإسناد في جذب الليل جاء على غير حقيقته.

وفي هذه الآيات نحو إنسانية، وضرورة من صور التقبل عند بعض النساء، يصورها لنا الشاعر، فهذه المرأة تغير حالتها بعد أن وجدت الرجل قد تقدم به العمر، ونالت منه الليلاء والأمام. وذهب منه ماء الشاب وورونه. لقد سقط شعره، وأصبحت خصلاته مباعدة، وقرب من الصنع و هنا أخذت المرأة تستند إليه النقص والعيوب، وتحاسبه على ما لم يقدر من الذنوب. ولم لا تفعل هذا؟ أليس الشباب رغبة النساء؟ أو كما يصور الشاعر:

رأين الغوانى الشيب لاح بعارضي فأعرض عن بالحدود والنوارض.
أما القرنة الحالية ... فإن يقول المورد: أبت الربع البقل. فإن المعروف من حاله نسبة الفعل إلى الله سبحانه، ومن النوع الأخير من القرنة [الحالية] قولنا: عبلت جاءت إليك. فالفعل يجعل أن الحياة لا تأتي
بالإنسان.

الشرط الثاني لتحقق الصور المجازية أن توجد علاقة تجوز هذا الجنوح بالكلام عن أصل وضعه. وهذه العلاقات حضرها بعضهم من خلال تعريفه السابق، إسناد الفعل أو ملابسه إلى غير ما هو له. وقد بين الخطيب القرني ملابسات الفعل في قوله، والفعل ملابسات شيء. يلامع الفاعل والمفعول به، والمصدر والزمان والمكان والسبب.

لكن التجوز في الإسناد قد يضم ملابسات أخرى غير السابقة. وذلك
كإضافة الشيء إلى غير ما هو له، أو وصف به على غير ما مستمث للذك.
فمثل إسناد الفعل المبني للمعلوم إلى المفعول قوله تعالى: (فهو في عيشة راضية). فالعيشة لا تكون راضية إلاما تكون مرضى عنها. ومثله قوله تعالى: (من ماء دافق). إذ الماء لا يكون دافقاً في الحقيقة، بل يكون مدهقاً.

وقد جاء على هذه الصورة أيضاً قول الخطيبة:
دع المكارم لا ترحل إليتيها. وقد فأثت الطاعم الكافي.
فقد أُسند راضية، إلى ضمير العيشة، وهي في الحقيقة مرضى عنها،
وذلك طعام وكاس، ودقيق، أو مطعوم ومكسور، ومدهق.
أو إسناد المبني للمفعول إلى الفاعل. وذلك في مثل قوله تعالى:
(فلحجاب يكون ساتراً، وفمleh القول تعالي: فإنه كان وعد مأتي، فوالعده
يكون أي).
ثالثاً: إسناد الفعل إلى المصدر كقولنا: و الآن جد الجد، و عليه جاء قول
أبي فراس:
سيذكرني قومي إذا جد جدهم، وفي الليلِ الظلماء يُفقدُ البدل.
فالجد لا يفعل نفسه، ولكن يفعله الجد، وقد أسنده إليه كما نرى على سبيل
المجاز.
رابعاً: من ملاليات الفعل التي يسنده إليها: الزمان والمكان، فمثال
الإسناد إلى الزمان قولهنا:نهار صام، وليل قائم. فالنهار لا يصوم والليل لا يقوم
ونما يصوم ويقام فيما.
ومن الإسناد للزمان قول أبي البقاء الرمدي في رثاء الأندلس:
هي الأمور كأنها شاهدتها دول من سره زمن ساهته أزمان
فالإنسان يسر في الزمان، أو يستأس فيه.
والإسناد إلى المكان مثل قولنا: وبحر جاح، وطريق سافر. فالبحر يجري
في الماء، والطريق يسير فيه المرأة، وعلى ذلك جاء قوله تعالى: وجعلنا الأنهار
تجري من تحتهم.
34
سادسًا: الإسناد إلى السبب: قول الشاعر:

نعم المعين على المرؤية للقتي مال يصون عن التبجذ نفسه
فالمرء يصون نفسه عن التبجذ بسبب المال، لا أن المال هو الذي يصون.

ومن إسناد الفعل إلى ما هو سبب فيه قوله تعالى: "فلأولئك الذين
اشتروا الضلالاً بالهدى فما رحبت تجارتهم وما كانوا مهتمين في التجارة
لا تريع رأيماً سبباً يربح أصحابها. ومن هذا النوع أيضاً: بني الأمر المدينة،
فالذي قام بالبناء هم النساء والمهندسون، ولكنه عاد إلى الأمير لأنه السبب
فيه، والآمر به.

ومن هذا النوع أيضاً ما جاء في قوله تعالى عن عمل فرعون: "فليميح
أبناءهم" فقد تسب إلى فرعون الذبح لأنه آمر به.

أنواع أخرى من الجمر:

إذا تمتع الناس في سبيل لا يشمل كل أنواع الجزاء العقل، ذلك لأن
صاحبه حصره - كما سبق - في إسناد الفعل أو ملاسه. وقد عدنا ملاحظات
الفعل. لذا أنواع أخرى من الجزاء العقل لم تكن في إسناد الفعل إلا كانت في
إسناد الخير على نحو ما جاء به عبد القاهر الجرجاني من قول الخنساء:

فما عجلت لدى يوشع يطيف به فدأ عليه بأن يدوأ،
وأودى به الدهر عنها فهي مريرة،
ولذا ما غفلت حتى إذا اذكرت

١٠
فقد جعلت الجنساء الناقة إقبالا وإداربا، أو بعبارة أخرى أسد الإقبال والإدارب إلى الناقة على طريق الجزار، وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى أن تقدير مضاف يوسف الشعر يخرج به عن الغرض الذي قصدته إليها الجنساء.

ومثل هذا النوع وصف الذات بالمصدر مثل قولنا: رجل عدل، وقوله تعالى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوههم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله ...﴾ (الآية).

وبعد من المجاز أيضا وصف الشيء بصفة غيبه كوصف الضلال في قوله تعالى: ﴿فِي ضلالٍ بعیدٍ﴾ (عبد الليم).

اقسام المجاز بالنظر إلى طرفيه:

إذا كان المعني في هذا النوع من المجاز الذي اصطلح على تسميته بالمجاز العقلي، أو المجاز الإسناد أن يسدد فيه الفعل إلى غير فاعله، أو الخير إلى غير مبدئه، فلم يفعل العلماء على النظر في الطرفين - السند إليه والمسند -.

لقد وجد العلماء أن هذه الطرفين يمكن أن يكونا على حقيقتهما. ويكون التجوز في الإسناد وحده.

وقد يكون التجوز فيما، وفي الإسناد. كما قد يكون أحدهما فيه تقل وتجوز يكون الآخر على أصل وضعه. ومن هنا فقس العلماء هذا المجاز إلى أربعة أقسام:

الأول: ما يكون المسند والمسندي عليه على حقيقتهما، ويكون التجوز في إسناد أحدهما للآخر. مثل قولنا: أثبت الربع البلق. فالإنبات حقيقي في معناه، وكذلك الربع لكن التجوز يكون في إسناد أحدهما للآخر.
ومن هذا النوع الذي تبقى فيه الألفاظ على أصلها ويكون المجاز في الإسناد
قول الفوزدق:
صفقا شروق في السبع لم تكن علامة ولا خروجة في الشيء والفريدق يحدث عن إبل قوم من السادة فيها علامات عرفت بها ولهذا
عندما ضلوا ووجدوا أكنا عرفوا لم تكون فضلا بها وستوها.
فلبس المجاز في النسج ولا في الخروج، لكن في إسناد أحدا للآخر.
ويسوق عبد القاهر الجرجاني أمثلة لهذا قوله تعالى: فما رحت تجاهتهم وقولنا: ليل قام ونهار صائم، وقول pods shooter:
فناص ليلي وتجلي همي
ويعلق على هذا كله يقوله: أنت ترى في هذا كله مجازا ولكن لا في
ذوات الكلام وأنفس الألفاظ، ولكن في أحكام أجريت عليها. (1)
ومن هذا النوع أيضا قول الشاعر:
بًحذي إذا اخترط السيف نسأنا ضرب تطير له السواعد أرعل
فنحن أمام شاعر يحدث عن خماية نسائهم بالقوة حين تسل السيف.
وشهد المعارك وحماية أولئك النساء ستكون بالضرب الشديد الطائر السريع.
وقد أسد الفعل يمتي إلى الضرب، وهذا الإسناد كان سبيا في جمال
التعبير وقوته، وأرجع عبد القاهر الجرجاني لما والرونق، إلى هذا النظم.
وقارن بينه وبين الإسناد الحقيقي في قوله: ونحى إذا اخترط السيف نسأنا
بضرب تطير له السواعد أرعل، حيث يمضى الحسن الذي كان، ويذهب الرونق
(1) دلال الأعجاز: 286.
في غير هذا المكان، ويفقد البيت روعته التي وجدناها عندما أسند الحماية إلى العرض على طريق الججاز العقل.

الثالث: ما يكون فيه المسند إليه والمسند مجازين أيضاً، يعني أن يكون كل منهما قد نقل من أجل وضعه إلى معنى جديد، وذلك مثل قولنا: أحيا الأرض.

شلاب الزمان فالقصود بإحياء الأرض ما تكون عليه من النصرة والجمال، والقصود بشلاب الزمان الريع، فأتت ترى مجازا في المسند إليه، وفي المسند.

Plug إلى هذا التجوز في نسبة الإحياء إلى شلاب الزمان.

وقد يكون التجوز في الإسند إضافة إلى الججاز في المسند إليه، أو المسند، أي أن أحدهما يكون حقيقياً.

فما اجتمع فيها مجاز الإسند مع الججاز في المسند إليه قول الفزدقي.

في الفنفر:

سقاها خروق في المسامع لم تكن علاطا ولا محبطة في الملاحظ.

 وهو يريد أن يلهم لم تكن معلمة. وهذا هو الرائد يقوله: ولم تكن علاطا، كما أنها لم تكن معلمة في أشداها.

وعلى الرغم من هذا كانت تلك الإبل إذا وردت الماء لم يمنعها أحد لقوة أصحابها، وشهرتهم وما كان لهم من ذكر بين الناس.

لقد أسند السقي إلى الخروق، والخروج هو الصوت، والمراد به ذكر أصحابها وما كان لهم من سمعة. والخروج هو مجارى الصوت في الأذن، وقد أطلق على الصوت نفسه من إطلاق المثل على الحال في الججاز الرسل. أي أن ذلك.

1 الخروق: عري الصوت في الأذن، وقد أطلق على الصوت والكلام في البيت، العلاطا، العلامة في الملحم، واللاحم: الأشدا. يريد أنه لا يوجد بها شمة في الأشدا أو الأشدا.  

38
مجز مرسد إذا نظر إليه وحده، أطلق فيه الخلل وأريد الحال. لكن الخروق جعل فاعلا للسقى، والذّي يسقي في الحقيقة يوم الناس.

ومن الواضح قوة التعبير في الاستخدام المجازي، ويضح هذا إذا قلنا:

يسقي الناس إلينا لقرة أصحابنا. ومن هذا النوع قولنا: أنبت البقل شباب الزمان، فقد سبق أن عرفنا المقصود بشباب الزمان وأنه الريع.

وقد يأتي المجاز في المسند بالإضافة إلى المجاز في الإسناد، وذلك كقولك:

أحذى بهتي رؤيثك، فضن أنستري وسرتني، فقد جعلنا السرور والمؤنثة إحياء.

ثم أستندينا الفعل إلى الرؤية. والإسناد على الحقيقة هو الله سبحانه.

ومن هذا النوع من المجاز الذي يجمع فيه المجاز في المسند إلى المجاز في الإسناد قول أي الطيب المتى:

ويقُل له الملل الصوارم والقنا، ويقُل ما تحيي التسمه والبحدة.

قلتني يدح كتابه بصفتين، كما يكمل اللفظ بها، وما الشجاعة والكرم، الذين ينظرون في الدعاء المرى مفين هائتين الصفتين أكثر ديرانا فيه، وسألنا لا يكون اللفظ مدخنا ما لم يكن المفروض شجاعة جودا. وقد تلفت الشعراء في إبراد هائتن الصفتين وغيرها من صفات الدعاء ونوعها فيما، وأشترى عناصر مختلفة في بناء صورها. فناردة محمد ثائر تدخل عاصرنا في بناء صورة الكرم:

منى تأتيه تعبى إلى ضوء ناره، تلج في نارها تجردة تحرير مولود.

وأخرى يكون فيها الحيوان عنصرها، فالكلاب لا تُرى عند قدم الناس لأنها ألفتهم، وهذا تصف بالجبلين:

٣٩
ومهما بِدَ فِي مَن عِيبٍ فَأَلِي جَبَنُ الكَلِب مُهْرِزُ العَطسَل
وأُحِرَّ أَحُرَّهُ إِلَّا حَرُوطُ فِي صُورَ الكَرِم. يَكُونُ فِي تَنْبُعَهَا وَالسُّبُع
لاِسْتِقَافَهَا خُروْجٌ عَنَّ الْفَرْضِ الَّذِي نَرَأَهُ. لَكِنَّا فَقْطَ نَخْرُبُ إِلَّا أَيَا الْطِّب
بِذَلِكَ بِالْشَجَاعَةِ وَالْكَرِمِ فَهُوَ يَجَٰمِعُ الْمَالِ عَن طِرَيقِ الْفُروِّ والْإِغَاثَةِ، أَوْ يُدَافِع
عَنَّ الْمَالِ وَالْحُرُمِ، وَقَدْ جَعَلَ حَفْظَ الْمَالِ وَالْذِّفَاعَ عَنْهُ حَيَاةَ لَهُ عَلَى سِيَلِ الصحَٰرَاه
وَأَسْنَدَ الفَعْلَ إِلَى السَّيَوَفِ وَالْرَّمَاحِ عَلَى غَيْرِ الْحُقَّ. وَجَعَلَ إِنْقَافَ الْمَالِ وَالْجَوْدِ بَيْنَا
فِي النَّارِ عَلَى سِيَلِ السُّيُورِ - ثُمَّ أَسْنَدَ الفَعْلَ إِلَى الْجَوْدِ وَالْإِبْتِسَامِ، وَهُوَ يُمْهِزُ فِي
الْإِسْتِنَادِ.

صور الصحراهة في القرآن الكريم والشعر:

والقيمة الفنية لهذا النوع من الصحراهة، وما يضيفه إلى الأسلاك مِن قوة،
وما يحدث في العبارة من التأثير كثر في القرآن الكريم والشعر. فمن أمثله في
القرآن الكريم قوله تعالى: [فإذا تلبت عليهم آياته زادته إيمانا وعلى رحم
يتكلمون] {1}. والآية تتحدث عن المؤمنين، وما قَلِيلٌ من الإيمان عندما
يظهرون في آيات الله وخلقه. وقد أسندت الزيادة إلى الآيات لقوة تأثيرها.
وعظمها في نفوس المؤمنين كما أن الآيات كانت السبب في تلك الزيادة.

ومنه أيضا قوله تعالى: [وِلَكَمُ ظَلِمْكُمُ الَّذِي ظَنْتُم بِرِيكُم
أَرَادُونَكُمُ الَّذِي ظَنْتُم بِرِيكُم]. لقد كان الظن سبب هلاكهم، وإستناد الفعل إليه - مع أن فاعله هو
الله - لسَيْنَ أن هلاكهم كان بأيديهم، مما انتات علية تفوسهم من ظنٍ سئ
بِرِيكُم.

{1} الآفاق: ٢٣.
{2} لصا: ٣٣.

ولقد كثر المجاز في الشعر كثيراً لافتة، لأنه - كما سبقت الإشارة إليه - ناتب من التوسع في القول، بلجأ إلى الشعراء والأدباء ليحلموا به على الأشياء. صفات ليست لها، فيجعلونها بالأخص ميناً، والإجماع ناطقاً، ونسوق بعض ما جاء من الشعر. فمنه قوله الشاعر:

"ما بينما ما أقتص عيون المهاياشي فيشتاً ولم أقض الليانة من سنيًّ".

ومنه هذا البيت أن صاحبه يشكو مما أصابه من الفراق والقوانين القاتل، لقد وقع تحت تأثير ذوات العيون النجل اللائق أضنه و démarchه، وحديث الغضب واللوعة في الحب مما يكون وروده في الشعر المصري. فالشاعر احتج دائماً يشكو لما يلقاه من قيد و تعذيب وما يتعلقه في قلبه من جري وآلام. وحديث الفراق و آلامه يكثرب هو الآخر، ونحن هنا أمام شاعر يشكو من الأمرين مما أحدثه فيه عيون الغوانى، وما أحدثه الفراق في تلك الغلالة التي بقيت...

لقد تقدم به العمر، أو شاب وهو صغير لم يتجاوز عهد الصبا.

(١) بونس: ٣٤.
(٢) الرؤية: ٢.
(٣) غارف: ٢٨.
(٤) النص: ٢٨.
لقد نسب الإئالة إلى الين - كما نرى - على سبيل المجاز، لأن الهلال كان
بسبب هذا الين وتأثير منه.

ومن قوله الشاعر:

ملكنا فكان الفقر يُنا صبيحة، فلما سلكتم سال بالده أطبخ

وهو يقارن بين كرم قومه، وما جعلوا عليه من الفقر والكسر عندما كان
الأمر لهم والزمان في أديمهم، ولم يكونوا كغيرهم إذ يعرفون للناس طريقا، وهم
عندما أصبح الأمر بيدهم لم يعرفوا غير النجاح والانتقام والفتيل، فشتد قلوب
أولئك وموضع الشاهد - كما يقال - هو أن أسد القول [ سال ] إلى الأطبخ

وإسكند الفعل [ سال إلى الأطبخ ] جاء في الأديب المشهورة:

وأتت قضيئا من يتن ك ل حاجية، ومتص من الأركان من هو ناصية
وشدت على نبض المشاهير، ولها، يعصف الغادي الذي هو رابح
وسلت بإعاقاط الشمالي الأطبخ

وقد أرجع عبد القاهر البرهنة هنا إلى أن الشاعر جعل سال فعلا للأطبخ ثم

عداه بالبلاه ومن هذا النوع أيضا قوم المنتى:

والله يحرم الجسم تحلاته، ويستب ناصية الصيي، ويهيم

والمنتي هنا بين ما تصنع الهوم، إنها تقع عليهم، وتتهيم
على أجواهم، فهي تضحف الجسم، وتجعله نعياً، وتجعل الشيب يصب ناصية
الصغير وتصبه بالشبيحة...

نعم ما أعظم ما تفعل الهوم بالجسم والنفوس، وليس ما يحدث من آثار
الهوم بخلاف على الناس، وانجاز في البيت جاء من خلال إسكند الفعل [ مقام ]

42
إلى اللهم، والعلاقة هي السببية. لأن ما يحدث إلاما يكون بسبب اللهم. ندعو اللهم أن يدفعه عنا، وينجينا من أثره في الجسم والنفس على السواء.

ومن الجائر في الإنسان أيضا قول الشاعر:

"ستبدل لك الأيام ما كنت جاهلاً وتأتيك بالأباء من لم يزود ومنه أيضا هذه الأبيات التي تحدثت فيها صاحبها عن عاطفة الأب، وما يتحمل الأباء من أجل أبنائهم، وما يحسونه من عاطفة نحوهم.

أنتِ الدهر على حكيم، بين شامخ عالي إلى تخفيض وغالب الدهر، فيفس على مسألة ضي عرضي لولا بنيات كرب القطا لكان في مضطرب، واسع. في الأرض ذات الطول والعرض، وإذا أرادنا صناعة أكباً ما تمشى على الأرض لو هيّت الريخ على بعضهم، لانفتقت عن بعضهم.

فما يجد ما أصابه من الفقر والفقاهة، وما أجرته الأيام عليه من الإقامة في مكان لا يجد فيه حاجته ومتغنا، إننا نحس بالله وزنات نفسه، وعوجزه عن الحركة بسبب تلك القيود التي تكبل يديه ورجله. لقد أنزله الدهر من المكانة الفضيلة التي يستحقها، وحويته في قرار سحيق. ولم يبق له من المال شيئا سوى عرضه الذي يحمي عليه أن يدافع عنه، وقد سلب منه نوع أمضى أسلحة الدفاع وكان كله أن يجوز المكان الذي جفاه. لكنه من ذلك بسبب

هـ ذبائه الضعاف اللامي، يحذن إلى الراحة والحماية، وتوفير سبل الحياة، وقد تطول بنا الحديث إذا رحنا نستفيض الرفقات النفسية، وتمحس الآلام والأوراج عند هذا الشاعر، وقد تضع بدننا على شيء منها، وقد تقرر لنا الوسائل والغابات، و
ولذلك حسبنا أن نبين أنه سلك في البيتين الأولين سبيل المجاز في الإسناد. وذلك حين أسند إلى الدهر الإزوال في البيت الأول [ أنزلنا الدهر على حكمه ] .

وأسند إليه أيضاً الاغتيال في قوله: [ وغالت الدهر ]

المجاز يحتاج إلى ميزة وإعداد:

أشارنا في غير هذا الموضوع إلى أن المجاز النحو بأسلوب عن الأصل لتفتيت غايات قنية وتوسيع العبارة حتى تكون قادرة على حمل المشاعر والأحاسيس ونقلها إلى المتلقى، وتستوعب من المعاني ما لا تستوعبه بأصل وضمه. لكن هذا تحول بأسلوب الأشراق لا يأت فيه ما يشير إلى هذا القتل والتحول حتى لا يؤدي إلى البلس والغموض والتعقيد، وتضيع الغاية الأساسية من الكلام وهي الفهم والإفهام، وقد بنيت لذلك عبد القاهر الجرجان حين قال: واعلم أن من سبب اللطف في ذلك أنه ليس كل شيء يصلح لأن يتماطى فيه هذا المجاز المحلي بسهولة، بل تجد في كثير من الأمر وآية تحتاج إلى أن تبنى الشيء وتصبحه لذلك بشيء توضاه في النظم. وإن أردت مثلاً على ذلك فانظر إلى قوله:

تاس طلب العابرة إذ نابت شواة الأفاعي من هملاً سمر تجوب له الظلماء عين كأتها فالمشاعر بصف جمال، وبين أنه يتبدى بزور عينيه في الظلمة، ولولا ما كانت تلك الظلمة سدا وحاجزاً تحل بيني وبين سبلته. فأنت الآن تعلم أن لولا أنه قال: تجوب له، فقلت [ له ] بجواب لما صلت عليه لأن يسدض إليها تجوب ، ولكن لا تبين وجهة التجوز في جمل [ تجوب ] فعلا للعين كما ينبغي.
ولذلك تعلم أنه لو قال مثلاً: تجربة الله الظلماء عينه: لم يكن له هذا الموقع، ولا يستطيع عليه معناه، وإنقطع السلك من حيث كان يعييه حيث بأن يصف العين بما وصف به الآن (1). وعبد القاهر يرى ضرورة تزامن المبادئ وإعداده في كل جزء لا في هذا المجزء المحكم وحده، ونصير على هذا أن المجاز له مقاسمة لأدب من ملاحظاتها حتى تكون الصورة المجازية دقيقة، وتؤدي الغاية المرجوة منها في التعبير، وإنها تتحول إلى نوع من القيح، وتصبح عبء على المعنى وقد شرحنا ذلك بالمفصل في غير هذا الموضوع فلا حاجة لإعادة القول فيه (2) إذا كان عبد القاهر قد منع إلى مسألة أخرى في هذا النوع من المجاز، فليس من الضروري أن يكون للفعل الذي أسند إلى غير فاعله. فعلى حقيقه إذا أرجمنا العبارة إليه عينا به إلى الخفيفة. فقد يتحقق ذلك في بعض الصور في مثل قوله تعالى: فإنما يربك تجاربهم. إذ يمكن القول فيما رحبوا في تجاربهم. وقول الشاعر:

بمعنى إذا اختبر السيوف نساءنا ضرب تطير له السواعد أرعد.

إذا يمكن القول فيه ونحن نساءنا بضرب.(3)

لكن لا يمكن أن يتحقق في صور أخرى دون أن يفسد الغرض، ويخرج الكلام عن المعنى الذي جاء صاحبه عليه. فنحن مثلاً لا نستطيع في قوله:

وأقدمي بلذك حك في على إنسان أن نجعل فاعلاً غير حق.

(1) دلائل الإصبار: 113.
(2) انظر مقال: ن Seats البحث بعنوان: موضفات الفرع في صور المجزء، حولية كلية الإنسانية جامعة قطر المدد 1989/12.

45
كذلك لا تستطيع في قول الشاعر:
وصيئه هو وى برى حينئ tissues المثل
وقوله أبي نواس:
يريدك وجهه حسناً إذا ما زدته نظراً
و أن تزعم لهصيره فاعلاً قد تقل عنه الفعل وجعل للهوي. كما فعل ذلك
في ذريته تجارتهم، ومجيء نساءنا ضرب. ولا تستطيع أن تقول [ليزيد] في
قوله يزيدك وجهه فاعلاً غير الوجه(1).

خامساً: القول في المسند إليه:

بعد الحديث عن الخبر وسبب إلقائه، ومقتضاته وما يجب لكل منها في
بناء العبارة والإسناد وما يكون عليه. يأتي القول على أطراف الإسناد ومستمائه
والذي يتناول الحديث عن المسند إليه والمسند، وما يتعلق عليه متعلقات الفعل.

ومن المعروف أن المسند إليه والمسند يعنيهما حالات، أو يأتي كل منهما
على صورة من الصور التي يجوزها علم النحو، ويفتضمها موقف الخطاب. وقد
يرجع الحسن أو الفيّج في صورة من صور الكلام إلى إصابة الوجه، ومراعاة
المقنع.

وقد درس البلاغيون حالات المسند إليه والمسند، وقالوا إنها الخذف
والذكر والتقديم والتأخير، والتعريف والتكثير وغير ذلك من الأمور التي تكشف
عنها الدراسة التفصيلية لهذين الركيزين.

(1) كلام الإعجاز: 291.
لكنا نشير هنا إلى بعض الأمور التي تفضّل سلوكي في دراستنا لها.

وأول هذه الأمور أن بعض الأسباب التي ذكرها البلاغيون في حذف المسند إلى نفسه الأسباب أو أكثرها التي ذكرت في حذف المسند، وأن الأسباب التي أقتضاها الذكر هنا هي نفسها أو بعض منها الأسباب الذي اقتضاها الذكر هناك.

ومن ثم يكون التكرار تزيدا في القول لا سبب له ولا مفصّل.

ثانياً: أن بعض القضايا لا يتوقف الأمر فيها عند ورودها في المسند والمتن إلا، بل تبعدها إلى غيّرها من الأمور، وقد يكون من المناسب الحديث عنها عند ذكر الحالة التي تشبهها في هذا الموضع. وعلى سبيل المثال، الحذف في العربية لا يقتصر أمره عن حذف المسند إلى إليه أو المسند، فقد يكون في الحرف، وقد يكون في بعض الجملة (المتن إليه أو المسند) وقد يكون في حذف التكلمة بالفعلون به مثلًا. وقد يكون في حذف الجملة. وما دمنا نتحدث في بلاغة التراكيب فلفقر الشبه إلى الشبه.

لكن يُجدر بنا أن نقرر أن الأمور التي أشارنا إليها لم تكون مهملة عند القدماء، أو أنهم لم يدرسواها وأننا نشأنا فيها أمرًا لم يكن، وذهبنا جديداً غاب عن القوم، فالأمر على خلاف ذلك، لكننا نحاولنا إجابة أمهان مترتكبة، ومواطن مختلفة ولئست محاولة إلا كما هذا المتفرق، ووضعنا بين يدي الدارس تسهيل الإفادة منه.

أولاً: الحذف:

حين أراد عبد القاهر الجرجاني الحديث في حذف لم يقتصر على حذف المسند إليه والمتن، بل توسع في ذلك، وحدث عن حذف المعقول به، وقدم عدد
القاهر للقول في الحذف بما يفيد قيمةه في اللغة، وأهميته في إحكام العبارة فقال:
وعلى دقيق المسكوك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى، يركذ الشعر، أنصح من الذكر، والسهم على الإفتاء، وأذين الذكرو أن تكون إذا لم تتقن، وآمن ما تكون بيانا إذا لم يكون (1) ثم يسوق عددًا من الأمثلة بين من خلالها صدق ما ذهب إليه من قيمة الحذف وأهميته وهو - كما سابق - لا يوقف عند حذف المند إلى المند، بل يتحدث عن الحذف بصورة عامة وهو على سبيل المثال يسوق ما جاء به سبيوهج:

اعتاد قليل من ليلي عوائدة، وهاج أهواك المكنونة الطالب
روع قوى، أذاع المعصرات به، وكل حيران سار مأواه خضيلة.
فاللغوف هذا هو المبدأ والمسند إليه، والتقدير هو ريب.

والشاعر يتحدث عن الهموم التي تعاود تلبث حين يبيبح ذكرى ليلي إليه، فإن الطالب الذي لم تبقى منه العادات شيئا - وأصبح حالياً قوماء. ويشير عبد القاهر إلى مثل هذا النوع من الحذف، وكأنه عادة متينة عندهم حين يذكرن الدبارة، كما يشير إلى فائدة لغوية أفادها من شيخه. وهي أن كلمة [ربع] لا تقرب بدلاً من الطالب، فإن الربع أكثر من الطالب، والشيء يبدل ما هو شينة أو أكثر منه، فامرأ الشيء من أقل منه فإذا لا يتصور، وكما يذكرون المبدأ أو يضمنونه، فقد يضمنون الفعل فيصفون - كيت الكتبة:

دبيار ميا إذ مال نساهتنا، ولا ترى يالها عرب ولا عجمُ.

(1) دلائل الإيجار: 289-288.
فالذي نصب كلمه في ديار هو فعل مضموم كأنه قال: ذكر ديار مية (1).

وقبل أن نذكر المواضع التي يعذف فيها المسمد إليه والمسند، وما يكون هذا الحذف من تأثير في بناء الجمل والعبارات تشير إلى حذف الحرف. لم يقتصر الحذف في المرية على حذف الكلمة فإن المرية تناول الحرف عرفناه من الأمور التي نتصادفها ما يقوله النحاة في بعض الكلمات إذ يقولون إن الاسم منصوب على نوع الحائض أو ما تجده في النداء حين يعذف حرف النداء أو الترقيم. وهو كما نعلم حذف الحرف الأخير من الكلمة في النداء أيضاً. ولا شك أن هذا الحذف غابات يعدها السياق، وبخوضها المقام.

ففي قوله تعالى: ؟ يوسف أعرض عن هذا، واستغفري لذئبك إنك كنت من الخاطفين ؟ نجد في حذف حرف النداء من تقرير يوسف إلى العزيز، وإشعاره بالملل الذي يختلها في نفسه إذ كان عنه بمثلة الولد، وحين جاء به من السيارة، وذهب به إلى أمته وقال لها: ؟ أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو يتخذه ولدا ؟ وقد أصبح العزيز في موقف يحتاج فيه إلى تفع يوسف ومساعدته، ففي حديثه عن الواقعة وفسكه بها ما ينتمي عرض الرجل.

(1) دلال الإعجاز: 170.
(2) المخصص ج: 33-1-36.
49
ويقضي على مكانته، إهبو يذكر يوسف بالرعاية والحب اللذين لم يغفل يوسف عنهما، بل كانا من الدوافع التي حالت بينه وبين الاستجابة لنزوات المرأة. لقد أجابا بقوله: "فمثلك الله... إنه روى أحسن مثواي إنه لا يفمح الطالون".

إن في حذف حرف النداء هنا إزالة أي حاجز بينه وبين العزير، بل في الحذف إظهار للنظام بينهما، وأن ما يصيب العزير سوف يمتد إلى يوسف وثمة بلاغة أخرى في العبارة وهو التعبير عن الواقعة بالإبهام حيث يعبر عنه باسم الإشارة. وهذا هو غير معرف إلا هنا. وقد يكون الحذف مراعة لجلال العبارة، وتحقيقا على النسق، على نحو ما جاء في قوله تعالى: ﴿والفجر وليل الماعز» فإذا يسير فقد حذف حرف العلة من آخر الفعل المضارع غير جازم. ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَن يَردَدَ أَنَّ هَذَا الحِذْفَ بِالْبَيْنِ المُفَصَّلِ» فقد حذفت ياء الاسم المنقوص، والاسم بالآلف واللام. وقد أشارنا في غير هذا الموضع إلى أن ذلك الحذف كان مراعة للناسب بين أواخر الأيات.

والمما جاء في حذف الحرف وأشار القدماء إلى علت قولة تعالى: ﴿وَنَادِواً ﻛَيْلَاءً إِنْكُمْ مَائِئَةَ مَاَكِنَّونَ وَالْقُرْآنَ.» وقد حذفها جاهز الله الزاهري حديثاً واعياً علماً به هذه القراءة. فقال كأنهم لفظاً ما هم فيه من العذاب عجزوا عن تلامك الكلمة، وعندما دعيت عن جاهز الله، يفسها من جهة في القيام نجد، أو كان في نزال شديد إنه لا يستطيع إكال اللطف لما هو عليه من التعب والإجهاد. ولعل هذا ما اهتدى إليه صاحب.

(1) راجع في هذا، الفصاحة، مهه، فيهما الجمالية، حولية كلية الآداب الكويت، حولية السادسة رسالة 27، 50.
القصيدة المنسوقة لبشر بن عوانة في صراعه مع الأسد. فقد قبل إن بشرا كان يحب ابنته فاطمة، وأنه رعب الزواج منها، لكن أباها أراد أن يوقعه في ال паكرة فطلب مهرا لابنته مالا كافيا من نقود النعمان. وكان يتحم على بشر أن يعبر المفاوض، ويقابله أسد يقضي عليه، ويربح عنه من هذا الطبض. لكن بشر يلقى الأسد وينزله في معركة قوية يقضي عليه فيها. وحتى تظهر شجاعة بشر وقوته لا بد أن يكون الأسد قويا ضخما مدفعا إلى افتراض من يقابله. وحين تنجل الموتى من قتل الأسد، يكتب بشر بابه قصيدة يرسلها إلى ابنته عمه. وهي قصيدة فريدة في باباها، يظهر فيها تنظيف اللغة تتزلفا جميلها وياها مياسكما قويا، وأبرز الشاعر من خلالها شجاعةه. وقد قمنا بدراسة هذه القصيدة في موضوع آخر (1). لكن حينما منها ما جاء عليه المطلع إذ يقول:

أعطتم أثر شهيد بطن خبيث. وقد لاقى الغريب أحزان برثا إذا رأيت ليناما، أي، ليسا هزر أعلم أن قلي في وردوا

لقد حذف الحرف الأخير من قلامة، وهذا يدل على شدة تعب ومعاناته في تلك المعركة الضارية التي خاضها.

لكن الحذف متفاوت في موقف آخر، ريدل على شيء غير الذي أراد بشر ابن عوانة أن يدل عليه، وذلك في قول آخر captivity:

أعطتم مهلا بعد هاذا التدخل وإن كنت قد أصرعت بسمى فأجبل

إن التدخل، وإظهار الملاحقة قد تكون أقرب إلى هذا الموضوع من أي شيء آخر يفسر حذف الحرف الأخير.

---

(1) نصوص أدبية: دراسة تحليلية.
ومن هذا الحذف، أو عبارة أخرى الحذف الذي يجمع في حذف حرف
النداء، وحذف الحرف الأخير للرفع ما تجد في قول الحارث الجرمي يجيب
امرأته أسماء التي تطالب بالتأثر لأنها من قومه الذين قتلوا. ويخس الحارث بأزمة
شديدة. لأن القتل أخوه، والقاتل قومه. والمصاب بصيبه على أي حال. إنه
حين يتأثر منهم يعمر جرحه ويريد مصيره، ويبعث إلى الأم الماضي ألما آخر.
يقول:
قوبي هم قتلوا أنيم أخى فإذا رميت يصيبني سهيمي
فإذا عقوت لأعترف جللا، سكن ربي لأوهي سهيمي.

وهذان البيتان يذكران بقول الآخر:
أقول للنفس تأمل وتعزى إحدى بدي أصابتي ولم تزد
كلاهما عوض عن فقد صاحبي. هذا أخي حين أدعه وذا ولدى
وكان أخوه قد قتل إله - ووجد نفسه في حيرة ماذا يفعل. على أي حال
في قول الحارث نجد حذف حرف النداء، وحذف الحرف الأخير. وحذف
حرف النداء يدل على قربها من نفسه. وحذف الحرف الأخير يكشف عن
معاناته وألهه حتى كأنه لا يريد أو لا يستطيع أن يكمل الكلمة.

حذف المسند إليه والمسند:

وهذا الحذف يشمل أحد جزأي الجملة، والأسباب التي يذكرونها في
حذف المسند إليه يذكرون قريبا منها في حذف المسند. وله في أهم الأمور في
هذا الحذف ما ينتمي إلى الجملة من حيكة حيث يبعدها عن الطول، ويجربها
عن ذكر الشيء ما دام عدم ذكره لا يحدث لبسكا.
إن البلاطين يجلون ذكر المند إليه والمسند هو الأصل، ولا يترك الأصل إلى غيره دون وجود ما يقنض ذلك. وهم قد حددوا المقتضيات التي يخفف من أجلها المند إليه أو المسند. ثم إن الذكر في بعض المواضع يكون أفضل من الذكر، ويشير ذلك من خلال المقارنة وأول ما نجد في ميارات الحذف أن لمجرد الاعتصار، وكأنهم بذلك يجلون حذف الرواية والتوافق من الجملة من الأمور التي لا دخل في قوة العبارة وشدة تماستها وما دام في الكلام من القرائن، أو المعنى يدل على المخوف فذكره يعد نوعًا من الترديد لا فائدة منه. فمثلًا عندما نقول: أهل وسيلة. بجيء الأهل والسهل مصنوعة يدل على أن شيئاً ما عمل فيها النصب.

وفي حذف المسند إليه نجد ما اعداد عليه العرب من حذفه حين يتحدثون عن الدبار والأطلال. وذلك على نحو قول الشاعر:

اعتاد ليلك من ليلي عرائسة
وهاج أهواه المكتونة الطلسل
ربع قواع أذاع المعصرات به
وكل حيران سار سلم كحضيار

وقول الآخر:

هل تعرف اليوم رسم ألدان والطلالا
دارلما إذ أهلها وأهلههم
لما عرفت بجنين الصيقل الجشلا
بالكاتبة نرى اللهو والعلا

ومن المواضع التي يضمنون فيها المسند إليه أن يقولن فيها المبدأ القطع والاستثناء. وهذه الحالة أنهم يأخذون في الحديث عن الشخص، ويتحدثون في بعض الأمور التي تخصه، ثم يتركون هذا الكلام، ويأخذون في كلام آخر.

وذلك على نحو ما نجد في قوله:

53
وعملت أن يسوم ذا قوم إذا ليسوا الحدب، وعمرنا كفينا، ونعد فادخا، خلفا، وقادة فال考える يتحدث عن منزله هؤلاء الناس، لكنه يترك هذا الكلام، وأخذ في وصفه بالشجاعة حين يلبسون عدد الحرب، وقد حذف المسلمون إليه في البيت الثاني، وتقدير الكلام هم قوم، لكن لا يخلو ضعف التعبير عند إظهار المسلم إليه.

ومثل ذلك قول الأخر:

هم حلووا من الشرف المعلوم ومن حب العشيرة حيث شاهدوا بائدة مكارم وأساة كليم ومن الكف保护 الشفاء والشاعر في البيتين يمدح جماعة من الناس، ويعنى أنهم وصلوا في الشرف إلى المكانة العالية كما بلغوا في الحسب، إلى حيث أرادوا، لقد أقاموا الجد وشقوا من الجراح، ودماؤهم يتناول بها من الكليب، حسب معتقدات العرب، وموضع الشاهدة في البيتين أنه حين تحدث عنهم في البيت الأول، وأطلق عليهم بعض الصفات، قطع هذا القول، واستثناف قولا آخر، ولذا حذف المسلم إليه، وتقدير الكلام هم بائدة مكارم، وأساة كليم إنك لكن ليس يخلو الفرق بين الكلامين.

ومثل هذا أيضا قول أسيد بن عنيفة الفرازي يمدح رجلا من قومه هو عميلة:

رأني على ما يعميلة، فاستنكاري إلى ما لي حال،... أسرر كأجهر غلام رماة الله الجليل، مُقديلا، له سيماء لا تُنشئ على البصر

04
والبيتان يقدمان في سياق جديد صورة من صور الكرم التي تكثر في الشعر العربي، لكن الشاعر يجعل مدوحه يشكر إلى ماله ما رآه من حال الشاعر، وهذا المدوح يستوي سو ووجهه. وبعد البيت الأول تأتي عدة أيات أخرى يتحدث فيها عما قام به عميله في وقت يضر فيه المساعد والمعين، ولا يجد فيه إغاثة من يقف إلى جواره. وكان على أن أشاره على هذا السعي الذي كلهاء حمد الحامد، ذمّه القلم. وبهذا الحديث يأتي بالبيتان الثاني الذي حذف فيه المستند إليه.

ومن الشواهد على هذا النوع من الحذف ما يسقوه عبد القاهر من قول الشاعر:

"أبادي لم تمنى وإن هي جليلة لا مظهر الشكوى إذا الن هل زلبت فكافأن قديم عنيه حتى تجلبت"  

والشاعر الذي قال هذه الأيات على خلاف، فهي تنسب لأكثر من شاعر، فهنالك من ينسبها إلى إبراهيم بن الصبان الصولي الكاتب الشاعر المغني المتوفي ٣٢٠ هـ، ومن ينسبها إلى محمد بن سعود وفي حماسة أت ثماء تنسب إلى عمر بن كميل، كما أنها تنسب إلى غير هؤلاء.

وصاحبها يذكر أنه يظل شاكرا تلك الأبادى الكثيرة التي كانت لعمرو عليه، وسوف يظل عمره يذكر هذه النعم الجليلة التي سيفها عليه. لقد كان رجلاً عظيماً لقاب الفكر، عميق النظر، رأى حاجته وقفره إلى جهد إخفائها عن الأعين. فأصبحت قديم في عينيه حتى أزاه. فإن عمرو يصف بصفتين عظيمتين: الأولى أن ما له متاح لأصدقائه، وطالب رفده، والثانية أنه لا يشك و
أو يترمز إذا ما تغيرت حاله. وهذا دليل على الكرم والحنم وقوة النفس. وموضع الاستشهاد بهذه الأبيات أنه حذف المسند إليه، لأنه تحدث عن المدح أو لا، ثم قطع هذا الحديث واستأنف. وتقدير الكلام هو في، لكن ليس يخيّل قوة العبارة مع الحذف.

وكا ورد ذلك في المدح ورد في الغزل. فهذا جميل يحدث عن بنيته، ويسأل عما إذا كانت فاضية دينية، أو فاعلة خيرا به، فيجليها عن هذه الأعمال، أم أنها مستقل على ما هي عليه من قناع والدلالة. لقد فككت به بالأخلاص، تلك التي تقول إلى سهام فاصحب قلبه لكنه يقطع هذا الكلام. ويستأنف غيرة على نحو ما نجد في قوله:

وهل بيئة يا للناس قاضيتي ديني وفاعل خيرا قُلْتِ بهما تزعم بعين مقابلون أقصدت بهما هيا فمقبلا، عجزت مدَّرَبة ريا الطعام بلين العيش غاذيها.

وتصدر الإشارة إلى موقع الاستفهام في الأبيات، وحسن التفسير فيها:

ومثل هذا الحذف أيضا في حسن وإصابته لموقعه قول جميل أيضا:

إلى عشبة رحت وهي حزينة تشوّك إلى صباية صباوُر وتقول: بت عدوى - قديتك - ليلة غرارة مَسَام، كان حديثها مراداً ذراً نحتر منشور مطوية المبين مضمرة المشا ريا الرواف حلقها مكرور.

وإذا صنفا النظر عن هذا الجمال العسري الذي يلبسه على بنيته، وهو الجمال الذي لها الشاعر المدهم واستمرى انتباهه. وجدنا الأبيات تشمل على بعض نواحي الجمال في الصرير منها تلك الضراعة التي نحسها في البيت الثاني.
والتي تطلب منه من خلالها أن يبقى معها ليلة تشكل له. ولعل هذا ما يكشف عنه الجملة الإعجازية [فدينك] ومنها ذلك التشبيه لحيده بالدر المنثور. وبعد هذا حذف المسند إليه في البيت الثالث.

ومن الأمور التي تكشف بسببها المسند إليه، ظهوره بدلائل القرآن عليه، وحيث تكون ذكره عيا على العبارة وذلك كقوله تعالى حكية عن زوج سيدنا إبراهيم حين سمعت الملائكة يشرون له بثوب، وقيل ساعدتها أحسنت المرأة - على الرغم من كراها - بما تخض المرأة في الفترة التي يمكن فيها الحمل بقول الله تعالى: «فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم» (1) لقد علّت المرأة فحنة، وملكت عليها تفكيرها، وذلك لا يظهر ما لم تتصور تلك الحركة المصاحبة للقول: «فصكت وجهها». وقالت عجوز عقيم، لقد حذفت المسند إليه لأن قرينة الكلام تكشف عن ذلك، كما أن حذفه يساعد في إظهار الدهشة والاستغراب ومن مواضيع حذف المسند إليه ضيق المقام، وذلك على نحو ما يجد في قول الشاعر:

قال لي: كيف أنت؟ قلت: عليّ سهر دائم وحزن طويل.
فحال المريض الذي يعاني آلام العلة، وبئله الكلام لا ينتظر منه أن يعلّه فيه، وكان من يذهب للطبابة مريض ويسأل عن حالتته يقول: «بخير» إن الموقف يستدعي الاحترام وعمل الإلهام.

ومن مواضيع الحذف في المسند إليه... الخوف من فوات الفرصة، كقولك لآخر: ثعبان / أو قول من رأى طيارا مقتولاً: طيار، فذكر المسند إليه ربما أدى إلى أن يعكر الثواب من تعدده، أو لم يلحق بهذا الطيار المقتول عليه.

(1) الملاحظات: 29.
ومنها تزويجه عن الابن، وإخفاء اسمه حتى لا يشيع بين الناس كقولك في
الأول مـُر في المدينة تردد الأمير، أو تقول كما قال عروة بن أذينة(1) :
بيضاء باكرها النعم فصاغها بياقة فألقها وأجليها
ومن مواضع الحذف تشريف اللسان عن ذكره، وذلك كقول الأقیمر في
أبى عم له موسى، كان يعطي المال فيفقه على نزواته، وذات يوم طلب منه وآلا
ظلم يعطه، فذهب الأقیمر إلى نادي تومه وشكن ابن عمه، فلم أكن عليه :
قال الأقیمر :
سريع إلى ابن العم ينعلم خذة وليس إلى داعي الندى بسریع
حرص على الدنيا ضعیب لدينه وليست لما في يده بضیع
ومن الأسباب التي تدعو إلى حذف المسند إليه، تعنيه وعدم احتال
غيره، إما بحسب الواقع. كقولك الخالق - الزقا - فليس يضع على أحد أن
اللّه هو الله سبحانه وتعالی، وإما أن يكون تعنيه بحسب الأدعیة والمباغتة.
كقولك: «و هّب الألف ْ أَو ْ الشاعر المفق ْ وقوله تعالى: في عالم
الغيب والشهادة الكبير المتعال ْ(2).»

وقد يحذف المسند إليه لعَرض ضي. ككماحة على التناسب في السجع، أو
الموسيقى في الشعر وذلك كقولك: «من طابت سيرته حمدت سيرته»، أو حمد
الناس سيرته.

وأما جاء الحذف فيه للمحافظة على الوزن في الشعر قول الشاعر :

(1) فـُت بتحليل هذه النصيدة وأخذنا منها رسلة لتطبيق على بحافة الحذف.
(2) الرعد : ٩٤.
٥٨
وما المال والأهلون إلا وداعٍ ولا بد لى يوماً أن يرتدُّ الوداع
فظل أظهر الشاعر المسند إليه، وقال ولابد لى يوماً أن يرد الناس الوداع
لاختلت موسيقى البيت.

ومن المواضع التي ذكرت لحذف المسند إليه تأكي الإنكار عند الحاجة،
كقولنا مثلاً عن شخص ما... حمام مشاء بنفيف أو قولنا مثلاً: [ظلم جبار]
إذ يمكن لقاتل هذا أو ذلك أن يتراجع عنه، أو يوعز أن المقصود به شخص آخر.

ومن مواضع الحذف في المسند إليه ما يؤدى إلى الحذف من زيادة
الاحتيالات والتقدير، وفي هذا ما فيه من تأثير على المعنى، وذلك على نحو ما نجد
في قوله تعالى: [فصب يحيى واو الله المستعان على ما تصفون] (1)
إذ يمكن القول: أمر صبي جميل ويكون القول: صبي جميل أجدري بي وأجمل،
وحين يكون المسند فعلاً وحذف المسند إليه تكون هناك اعتبارات كثيرة
أيضاً، يختلف السياق، ويكشف عن الغياء من الحذف فيها.

ولا يقتصر الأمر عند حذف الفاعل وإقامة نائيه مقامه، بل إن البلاعين
ارتضوا أن يحذف الفاعل وضعوه مبنيًّا للمعلوم، وذلك كقوله تعالى: [إلى
أحبث حب الحير عن ذكر رأحت توارت بالحجاب] (2) والتقدر والله
أعلم حتى توارت الشمس، وربما كان في الحذف إمامة إلى توارى الشمس حتى
تحدث المصاغة بينهما.

ومع أنه أياً قوله تعالى: [ولقد جئتكم فرداً كما خلقناكم أول
مرة]، وترككم ما خولناكم وراء ظهوركم، وما نرى معكم شفاعتكم الذين

---

(1) يوسف: 18 (2) سب: 31
زعم أنهم فيكم شركاء ، لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنت تزعمون (1).

والآية الكريمة تأتي في سياق يتحدث عن أشد أنواع الظلم الذي يقع من الكافرين الجاهليين الذين يفتركون على الله الكذب تارة بالرغم أنه تعالى لم ينزل على بشر كتابا ، كما أنه بطبيعة الحال لم يرسل رسول. وهذا يسحب على محمد ﷺ ، والله سبحانه وبرع على هؤلاء أنهم يزعمون هذا لم يقدرروا ببرهم حق قدره . وإذا كان قولهم صحيحًا ، فمن أنزل الكتاب على موسى هدى ونورا . وقد أنزل عليه بأيمنه هو أصحب هذا الكتاب العظيم المبارك ، لتذكر أم القرى ومن حولها ، وسوف يؤمن به الذين يؤمنون بالآخرة . أما الذين يكفرون به فسوف ينضوون إلى الفقاع الظالمة الأخرى كأولئك الذين أخروا الكذب على الله ، والذين زعموا كذبًا وفيتنا أن الله أوحى إليهم ، والذين تطاولوا على مقام الربوية ، وادعوا أن هم قدرة مثل قدرته ، ومشيئة مثل مشيئته. وقالوا سوف ننزل مثل ما أنزل الله . ثم تبين الآية مصير الظلمين جميعًا حين يأت أجلهم . وتتضاءل غمرات الموت ، والملائكة يبسطون أيديهم ، لكنهم لا يقبضون هذه الأرواح التي تختلط بأجسام ملونة حقيقة تطأوا على مقام ربي وعصمت رسله . بل يقول الملائكة هؤلاء الظلمين : (نخرجوا أنفسكم ) فلا يملك الظلمون إلا الإذعان والاستجابة ، وهنا يشرون بالعذاب الذين يستحقون وهو عذاب المشاكل . وبعد هذا السياق تأتي الآية التي تضمن الشاهد . وهي تتحدث في مجال تنذيب هؤلاء ، وبين ما هم عليه من الضعفة والهوان .. فهم يشخصون في العذاب فرادي مجرد من المال الذي ظروا فيه وقائية لهم ، مجرد من الأنصار والآتباع الذين زينوا لهم الكفر ، وأغوروهم على الطغيان ، مجرد من الأهل والولد الذين ظروا

(11) الأسلام : 94.
أثناهن تخفظونهم من مصيرهم الأليم، لقد أصبحتم وحدهم، وليس معكم الشفاء الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء، لقد تقطعت بينكم، لقد تقطعت بينكم الأسباب والروابط، وتقع الأمر الذي كتب تظلونه يجعلكم، لقد كنتم لضعف إدراككم وطغائكم، وما ضرب على بصركم من الغشاوة تظلون تلك الروابط متيحة، والأسباب قوية، وهذا ما تقطع وتهز، وفي الخذف ما فيه من إعراض إلى ضعف هذه الروابط، وما هي عليه من الوهن. حتى كانت تقطعت ودتها، وما جاء في القرآن الكريم من حذف الفاعل مع بناء الفعل للمعلوم قوله تعالى: "كلا إذا بلغت النراقى لا يرى الروح. وقوله: تعالى في شأون يوسف عليه السلام: "فلم بدأ لهم من بعد ما رأوا الآيات ليبسجهن حتى حين". أي ثم بدأ لهم رأى أمر وحذف الفاعل إشارة إلى أن هذا الأمر تاقه لا يبعد به إلى جوار البراهين الساطعة على براءة يوسف عليه السلام وطهارة ذله من تلك التهمة العظام، التي دجى بها مَلَِّة امرأة مريضة سيطرت الشهوة على عقلها، وملكت حواسها، فتتشاق تفكيرها، وتمكن من نفسها الانفصال من الرسل الذي عَت نفسه عن الوثوق في عرض رجل أكرم مثاءه. ومن هذا النوع من حذف الفاعل قول الشاعر:

أمَّا أي ما يغني البار، عن الفتى إذا حشره يوما وضاقت بها الصدر، والشاعر يصف لحظات شدة وضيق، فيها يظهر الضعف، وتقع الآنفاس، ولا يستطيع المرء أن يكمل الكلمة، وما يساعد على تصوير الموقف وبيانه هذا الحذف الذي لا يلنس به غيره فالمراد: حشرت الروح، وقًّب حذف آخر يساعد في تصوير الموقف هو حذف الحرف الأخير من " ع" مارية في الفتحة وقد يكون الحذف من بين الفعل للمجهول. وقد ذكر

(1) القيامة : 26. (2) يوسف : 35.
النحوة أسبابا في حذف الفاعل من بينه الخوف منه أو الخوف عليه أو غير ذلك من الأسباب التي تظهر من خلال الموقف الذي كررده فيه.

وقد وردت أمثلة لهذا في القرآن الكريم نحو قوله تعالى: "وَقَيلَ يَا أَرْض
ابنلي ملائكة وها جماعة آلهتي وغضب الله وغضب الأمر واستوت على الجوادي، وقيل
بعدا للفقه الظالمين (1) لا ثمرالانج الزرين حديث ضابط في رواية هذه الآية
بسبب نظمها، يقول ملائكة عليها: وحين كل ما إليها الإعجاز، وبرك الذي ترى
وتسمع، أنك ما وجدت من الدقة الظاهرة، والفضيلة القاهرة إلا لأمر يرجع إلى
ارتباط هذه الكلمة ببعضها بعض، وأن لم يعرض لما الآله والشرف إلا من حيث
لاقته الأولى بالثانية، والثانية بالرابعة، ويلبغي في بيان جمال هذا النظام وروعة
هذا الكثير بالثانية، وله هيئة بالرابعة، ويبقى فيه أنه جاء على
هذه الصيغة الدالة على أنه لم يغش أبآ بأمر، وقودة قادر، ثم تأكد ذلك
وتقرر، يقول تعالى: "فَمَنْ فَشَكَّ فِي الْعَفَاءِ الْأَمْرِ" ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمو، وهو
استوت على الجوادي، ثم إضمار السفينة قبل الذكر كما هو شرط الفحامة،
على عظم الشأن، ثم مقابلة قبل: فقيل: في الفائقة: أخبر
من هذه الخصائص التي تملؤها بالإعجاز روعة، وتكرر عند تصورها
هيئة تحيط بالنفس من أقطارها تعطى بالنظر من حيث هو صوت مسموع,
وحرفون توارى في النطق، أم كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الأناشك
المعجب بها (2).

مثال خذف المسمد إليه للجهل به، يقول المرشح الأول:
إن تبتغي غاية يوماً لمكرمة تلق السوابق يثناً والمصلين

---
(1) هود: 44.
(2) دلائل الإعجاز: 89-90.
ومثال الحذف للخوف عليه قول النابغة الذي قال:

نبذ أن أبا قايين أوعدتي ولا تراه على زائري من الأسد.

كما حذف المند إليه لاحقًا في قول النابغة أيضًا:

 لن كنت قد بلغت على حياتي لمثلك الرأسي أغلى وأكذب،
ولا تأتي أثقلة حذف المند إليه بصورة فيما ذكرنا. فهناك أوجه أخرى.

وأسباب للحذف يمكن الوقوف عليها في مواجهتها.

حذف المند (1)

وأما حذف المند إليه للأسباب التي ذكرناه، يحذف المند، ولا يخرج
غذف المند عن الأغراض العامة التي ذكرت للحذف كالاختصار، والاعتبار
على القرآن.

وتخليص العبارة من التردد الذي لا يضيف شيئا إلى المتن.

وأما ذكرنا فيما يتعلق بالمند إليه تكون مضمونات للحذف محدثة
السياق والوقوف وما يصلح فيه الحذف في عبارة قد لا يصلح في عبارة أخرى.
وقد تكون راءة العبارة يكون فيها حذف هذه الجزء أو ذلك، وفي عبارة أخرى
يكون رد البلاغة إلى وجود هذا الجزء في الكلام.

وقد ذكر البلاغيون بعض الأسباب التي تتوفر للعبارات نتيجة حذف
المند في الأمور التي ذكرها البلاغيون حذف المند، ما يضفيه المقام من

(1) أفرد أن أن حذف المند مع الحذف بصورة عامه. وخاصة أن الأسباب التي يذكرها
البلاغيون حذف المند لا يخرج عن الأسباب التي يذكرونها حذف المند إليه.

٦٣
النحو والتوجه مع الضيق الذي لا تناسب مع الإفاضة في القول. وقد مثلوا
لذلك بقول ضاء، الراجحي:
ومن يك أسرى بالمدينة رحله، فإن ويقار بها غريب,
وحتى نفث على الغرض من البيت، وتعرف السياق الذي ورد فيه،
والغرض الذي يعبر عنه نسق الأيات الأخرى وهي قوله:
وناعجلات الطير نددي من القفي، نباح، ولا: عن يبهن يجيب
ورب أمور لا تضحك: ضيورة، ولقلب من مخشن وجب
ولا خير فين لا يوطن نفسه، على نايفان: النفر حين ثوب
وفي الشك تفرط وليحرر: توأ، ويصيب
والشاعر يتحدث عن الغيرة وما يتبدى المرء فيها من أحساس، وما يشعر
من الضعف حتى ولو كان قويّا، لكن الشاعر لا يترك نفسه للمشاعر تمرقته،
ويعمل ضيّق هذه المشاعر والسيطرة عليها، فليس المحلة بالتي هي النباح
للفرد في كل وقت، كأن النبريث لا يجيب له المستن. والمرء قد يضحك أمورا
ويضطرب لها، لكنه لا يجد لها أثير ضمار عليه. إن عليه أن ينiali نفسه بالفيين،
ولا تستسلم للجزر والقلق بالشك، كما يجب عليه أن يوطن نفسه لما ينزل الداهر
وتوايل.
أما محل الشاهد في هذه الأيات ففي قوله: فإن ويقار بها غريب،
وتقدير الكلام فإن غريب بها، ويقار غريب بها أيضا. وليس يخفى ما في المباركة
من طول وترهل، وبعد عن الإحكام الذي نبده في البيت. وفي البيت لنفته فنية
أخرى في تقديم: ويقار، على الخبر ليفيد أن الإحساس بالغيرة لا يقتصر عليه،
وإذا يشمل جمله أيضا. إن إحساس بالغيرة، وما يشعر به من ضيق النفس
14
سوغت حذف الخبر هنا بالإضافة إلى الاختصار، ووجود القرينة الدالة على هذا الحذف.

وأما جاء فيه الحذف عن هذا النحو قوله تعالى: "وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحْقَانْتَهُمْ". واللّه أحق أن يرضوه، ورسوله كذلك. لكنه حذف من الثاني لدلالة الأول عليه، كما أن تقديم المعلوم عن الحبر أفاد التصرية.

ومن مسوعات حذف المندد ما سبقت الإشارة إليه في الحديث عن حذف المندد إليه وهو التحويل على شهادة المقل، دون الاعتدال على اللغة. وفي هذا ما فيه من الإيماء إلى فتحة السامع والثقة بنبهه. وعلى مثل هذا النوع من حذف المندد جاء قول الأعشى:

إن متخسلاً، وإن مرتختلاً.
إن في السفر إذ مضوا مهلاً.
بريد إن لنا خلا في الدنيا، وإن لنا متخلا عنها في الآخرة.

وقد يكون من هذا النوع حذف الفعل في قول القائل:
علقتها تنا وفاء بارداً حتى غدت همالة عيناها.
إذ التقدير وسقيتها ماء.

ومثل هذا جوابك لن سألك قالتا: هل لك أحد؟ إن الناس إلبيك، فأجيبه إن محمدًا... وإن عليًا، أو إن لي محمدًا وإن لي عليًا.
ومن أسباب حنف المسنود ومزايده ما يؤدى إليه من التكرر وزيادة الأحوالات. وذلك على نحو ما نجد في قوله تعالى: "واعلموا أنمما غنمنا من شيء فإن الله خمسه" (1) قوله: "فإنا الله خمسه" مبداً. وعيبه محدود تقديره: "حق: إراقب."

وقد أشار جار الله الوهابي إلى الكتة في هذا الحذف، وبين أن هذا الحذف يؤكد ثبات الخمس، وأنه لا يمكن الإخلال به. يقول: "كأنه قد لا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل إلى الإخلال أو التفرط فيه من حيث إنه إذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك: ثابت - واجب - حق، لازم، وما أشبه ذلك كان أقوى للإجاب في النص على واحد.

وقد يكون الحذف استناداً به، واحتماراً لشأنه في مقابلة المسنود إليه.

وذلك كقوله تعالى: "لأفهم هو قائم على كل نفس بما كسبت" (2). فالاسم الموصول: "من" مبداً خبره محدود. تقديره كذلك. وإذا علمنا أن هذا الموصول الذي هو قائم على كل نفس بما كسبت هو الله تعالى، أصبح هينا وضيلاً أي شيء بذكراك بعده.

ومن هذا النوع أيضاً قوله تعالى: "لأفهم هو قائم أثناء الليل ساجداً". وقال: "بغير الآخرة" ويرجو رحمة الله (3) والقدير غير رحمة الله من ليس كذلك. ومنه أيضا: "لأفهم شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه, قول

للقاسمية قلبي من ذكر الله، وإني على هذا الأسول في الكتاب الكريم.

ويذكر هذا الأسول في الكتاب الكريم.

---

(1) الآية: 41. (2) الزمر: 23. (3) الأحقاف: 158. (4) الكافرون: 2.
وقد يكون الحذف مفيداً للاختصاص على نحو ما جاء في قوله تعالى:
في كل لو أنتم تملكون خزائن رحمة وإذا أمسكم خشية الإنتفاء في قال تعالى: لو أنتم تملكون تملكون بالتكير للتوثيق ثم حذف الفعل فافصل الضمير، وأفاد ال Nicholson، وأن الناس هم اختصون بالشع المتاحى و

حلف المفعول به:

لأب أن أقرر دقة اللغة في استخدام الكلمات والحرف، والذين خبروا هذه اللغة الشرفية واطلعوا على عجائب التحري في كتاب الله سبحانه وتعالى، وأصل البلاغ يذكر أن إلى أي مدى وصلت هذه اللغة من رواية الحسن ودقة التصوير، وتضمنت من عجائب الأسمار ما جعى الله علما نغيا كبيرا كابن جنى بديء من الدهشة والصدب ما يذهب إلى الامل إلى أنها من عند الله. وكأنه يذهب إلى أن هذه الطاقات والإمكانات لا يمكن أن تكون من عمل البشر.

وقد تقضينا عن جوانب من الحذف وما يكون لها من البلاغة، وليس الحذف إلا حالة من الحالات التي تثور الكلمات، وهناك حالات أخرى سنشير إليها. ونسوق الآن حالة أخرى من حالات الحذف، وهي حذف المفعول به والمفعول به واحد من متعلقات الفعل، أي أنه يفصل بالمسند إذا كان فعلاً. وهذه المتعلقات - سواء كانت المفعول به أو غيره - ليست زيادة في الجملة، أو أنه لا فائدة لها. فعلى المكس من ذلك تفيد هذه المتعلقات زيادة لا توفر للجملة بذاتها.

(1) علم البلاغة: 82-88
وإذا أردنا أن نعبر عن وقوع الفعل من فعل شيء، فلنا ضرب محمد، وأكل على وحين يتحدث عبد القاهر الجرجاني عن حذف الفعل، بين قيمة ذلك في بناء العبارة، ويرى أن الحاجة إلى ذكر الحذف فيما أيس، لأن فيه لطائف كثيرة، وما يظهر بسببه من الحسن والرونق أكثر (1).

وكل أعداء التي سار عليها عبد القاهر يعتمد إلى ضبط أصول المسائل، ووضع القواعد لها، وأول هذه الأصول التي بقيرها: هو أن حال الفعل مع المصدر الذي يتعدى إليه حاله مع الفاعل، فهناك نسبي الفعل إلى الفاعل يكون غريبًا بيان من وقوع الفعل، وليس وقوع الفعل نفسه، وإذا عدنا الفعل إلى الفعل كان غرينا أن نبين من وقوع عليه الفعل، ومن هنا يكون عمل الفعل في الفاعل والمفعول عند اجتياهما، من أجل أن يعلم أن عالمه فيها إذا كان من أجل أن علم الفاعل المفعول الذي اشتقت منه، فعلى الرفع في الفاعل لعلم الفاعل به من جهة وقوعه منه، والتصب في الفاعل لعلم التبادل به من جهة وقوع عليه.

ويضيء عبد القاهر في بيان الأمور وتعليلها، وقرر أن الناس حين يستخدمون الأفعال المتعددة، فهم أحيانًا يستخدمونها وغربهم أن يقصروا.

(1) دلائل الإمضاء: 177.
الفعل المeğي كاللازم في أنك لا ترى له مفعولا لا لفظا ولا تقديرا. وحال ذلك
قول الناس: فلان يحل ويعد، ويأمر وينبى وبضرا وينفع (1) إلى غير ذلك.
وعلى هذا النحو جاء قوله تعالى: «قل هل يسوى الذين يعلمون والذين لا
يعلمون» فالمصنى هل يسوى من له علم، من ليس له علم. وذلك دون نظر
إلى نوع هذا العلم. كما أن منه قوله تعالى: «وأنه هو أضحك وأبكي، وأنه
هو أمات وأحقي» قوله تعالى: «وأنه هو أغنى وأبقى» فالصدى في كل
ذلك: هو الله، من له النعمة والإخلاص والإيمان، والإحسان والإنكار. وهكذا في كل
موضوع كان القصد فيه أن يثبت المتعى في نفسه فعلا للشيء، وأن يعبر بأن من
هؤلاء أن يكون منه، أو لا يكون إلا منه، أو لا يكون منه، ففى مثل هذه
الحالات لا يعدل الفعل، لأن تعيته - كي يقول عبد القادر - تقضى الغرض،
ونغير المعنى (2) فحين تقول مثلا هو يعني الدنار يكون المتعى أنك تدخل
الدنار في نوع عطاءه. ولا يكون قصدك وقنا على مجرد الإعطاء.
إن عبد القادر يبين لنا أن مثل هذا النوع من الأفعال التي تخلو عن
المفعول - رغم تعديته - لا يكون لها مفعول يمكن النص عليه. وذلك لسما
يقصد إليه بالحديث في الحذف، إنما المقصود بذل ذلك نوع آخر من المفعول يكون
مقصودا، لكنه يأخذ. وهذا ما يعبر عنه بقوله: ونقم قنان، وهو أن يكون
له مفعول مقصود قصد معلوم إلا أنه يخلذ من المفعول لدلالة الحال عليه.
وو هذا النوع يتقسم إلى تسمين: قسم واضح جلى لاصنمة فيه، وقسم
إلى تدخل الصنمة. ويظل - عبد القادر - للراضي الجلي بمقام قسم
أصغى إليه، يريدون إذن، وأغضب عليه - أي جلفي، ويدبو أن مثل هذا

---

(1) الباق: 177-177
(2) الباق: 177
النوع يمكن إدراكه، ومن ثم لا يستحق إطالة الوقوف عنه. أما الذي يستحق ذلك فهو النوع الثاني، الذي يكون خفايا تدخله الصنعة ويحتاج إلى الفناء. وهو كما يقول: «تدخله الصنعة فيفتد ويتوع».

وأول نوع منه: أن تذكر الفعل في نفسك مفعول مخصوص له. قد علم مكانه. إما تقدم ذكر له. أو وجود دليل يدل عليه، لكنك تسبين وتفضله، وتجنبيه. وتجنبيه، وتنمو أنك لم تذكر ذلك الفعل إلا لأنك تشت فنفس معنائه من غير أن تعليه إلى شيء أو تعرض فيه للفعل، وإنه قول البحرى:

«متجو عطاء وغيظ عيانه أن يرى مصير ويسمع واع».

فقد يقبل الكلام: أن يرى مصير معاسسه، ويسمع واع أحباه ومنافيهم.
والذي حمل على ذلك المهذب إرادته لمعنى شريف. فالبحرى يمد الحليفة المعتر، ويعرض بالحليفة الجنسين.

وهو يقول إن عناصمعي المعتر ومناني كثيرة، وهي التي تؤثر إلى الحليفة والإمامة، فإنها ظاهرة إلى يرى ويسمع، وهذا يعني أعداده آلي يكون هناك من يرى أو يسمع. وليس معا ما يفيض الحساس ويغرهم إلا أن يعلموا يوجد من يرى ويسمع. لأنه سيكون على أفضلا المعتر ومناني ويرى أحبه بالحليفة.

النوع الثاني: أن يكون هناك مفعول معلوم، وقد علم أنه ليس للفعل مفعول غيره، ولكن المتكلم يطرح هذا المفعول، حتى يوفر المناية للفاعل.

وذلك على نحو ما نجد في قول عمرو بن صديق كرب:

فلو أن توصلت ازنك، رماحهم نطق، ولكن الرماح أجرى.
فالعنف، وأجرت، مععد. ولو عداه لمععد إلى غير ضمير المتكلم، نحو

ولكن الرماح أجرتى.

ولو ذكر المفعول به لأوهم خلاف الفرض، إذ الفرض أن يثبت أنه كان
من الرماح إجراء، حين ذكر المفعول بهوهم أنه لم يعن بأن يثبت للرماح
إجراء، بل الذي عليه أنو أجرته. (1)

ومن هذا النوع ما قال طفل العنرى لبني جعفر بن كلاب:

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت با نعما في الواجبين أزليت
أبوا أن يمثلونا، ولو أن أمتا كلثي الذي لا قوه منا أزليت
هم خالطونا بالنفس واجدوا إلى حجارات أدفأت وأطلت

وطفيل العنرى يدح بني جعفر بن كلاب. ويقول إذا حين احتجنا
ونزلت لنا الحلال لنا إليهم فوجدنا عندهم العون والمساعدة، وهم تحملوا علينا ما
لا يتحمله الأئم عن أبنائها لقد جعلنا جزيا منهم، وضمنا بيوتهم حيث وجدنا
فيها الطمانينة والذفاء.

وقد تمثل هذه الآيات الصادقة رضى الله عناه حين استبطاله الأنصار.
لأنشغالهم بحروب الردة. وقد أجبرهمصديق بأنه مودتهم في القلب، ولكنهم
يريدون أن يكون في مثل حال رسول الله ﷺ فيهم، ونكل حال لا يمكنه أن
يصل إليها.

وقد تضمنت الأيات حذف المفعول به في أربعة موضع هي قوله:

لا ملتها، وأثنا وأدفنت، وأطلت، لأن الأصل فيها ملتها، وأثنا،
وأدفنتا، وأطلت، وقد أفاض هذا الحذف توفير المثلة على إثبات الفعل

(1) دلائل الإعجاز : 179.
وعبد القاهر يضيف(1) فائدة أخرى للحذف في هذه الآيات وفي البيت السابق فهذا الحذف يفيد العموم، ففي قول عمر بن معد نكر. يتيح لنا الحذف أن نقول إن سوء بلاء هؤلاء في الحرب، ونكونهم عن القتال ما يجر مثله، ومثل هذا الموقف لا يحق لقوم إذ خسر شاعرهم فلم يستطع نظفا، ولو ذكر المفعول لأقصر الأمر عليه وعلى قومه.

ومثل هذا يقال في أبيات الطفل. فعند الحذف يخصب القول ويصبح عاماً يضم كل أمر أمن أو أن أي أم لاقت ما لقيه هؤلاء في دخل نفسها الملل والسمام من أبائنها وذكر المفعول يجعل الأمر محبباً لهم وبماهم. ولا يخفى أن ذلك هو ما يحدث في بقية المواضيع التي حذف فيها المفعول.

ومما يكون فيه حذف المفعول لتوفير العناية للفاعل قول جبرير: أَمْثِلْ الْمُتَّى، وَخُلُبْ حَتَى تَرَكْتُ ضِمْرٍ قَلِبَ مُسْتَهْماً

وذكر يتحدث عن الأماني والوعود التي تعدها بها الحبيبة وتهنيه، ثم لا يقى بها وهي في ذلك كالبرق الحليب الذي لا يعقب مطر. وهذا يعني قوله أميت المثلى وخليبت. وقد حذف المفعول من الفعل وخلبت، وذلك ليبين أنه كان منها الشمعة والخلابة وأن هذا يكون منها دائما معه ومع غيره، لكنه لذكر المفعول ما يحقق له ذلك.

وحذف الفعل به لتوفير العناية للفاعل مما ورد كثيرا في القرآن على نحو ما تجد في قوله تعالى: فَوَلَوْ رَأَيْتَ مَا رَأَيْتُهُمَا مَدِينَاءَ وَجَدْ عِلْمَهُ أَهْمَهُ مِنَ النَّاس يسقون، ووجد من دونهم امرأيتين تنذوان، قال ما خطبكما، قالا لا.

(1) دلالrections : 180-281.
الى أبى حنيفة، اسناد الرعاه، وأبوت، الشيخ كبير، فسنة لهم ثم تولى إلى البغل، فقال رب إلى ما أنزلت إلى من خير فقير (1)، فهذا حذف المفعول به في خمسة مواضع - كما يقول صاحب البرهان (2). وتقدير الكلام والله أعلم ولا ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس بسكون ؛ غنمهم أو إبلهم، ووجد من دونهم أمورين تلدون غنمهم، وقال: ما كانتكما قالتا لا ننسى غنمنا، حتى يصدون الرعا، غنمهم أو إبلهم. فسنة لما غنمهم، ولكن عبد القاهر يرى الحذف في أربع مواضع. ومن الواضح أن الغرض في هذه الآية إنما كان لبيان أنه كان من الناس سقى ومن المرأتين ذروت. وأن موسى عليه السلام سقى لهم، أيا كانت الشكيمة التي تم سقيها. لكي عبد القاهر يرى الحذف في أربع مواضع، إذ المعني: وجد عليه أمة من الناس بسكون أغنمهم أو مواشيهم، ومرأتين تلدون غنمهم، وقالتا لا ننسى غنمنا، فسنة لما غنمهم.

و نوع آخر من حذف المفعول كأنه غير النوع السابق - ذلك لأن الغرض منه ليس توفير عناية الفعل الفاعل - بل للكشف عن لطفاته، لا يم الكشف عنها بغير حذف المفعول. وقد مثل عبد القاهر هذا النوع يقول البحرى: إذا بعثت أبنتك، وإن قربت شفت، فهجرنها تبلى ولقيائها يشيى، والبيت كما هو واضح يتحدث عن بعد الحبب تقدرها عليه. ففي بعدها تكون عليه وف قربها يكون برع وشفاؤه، والبيت - كما يراه عبد القاهر: إذا بعدت عليه أبنتك وإن قربت مني شفتى، إلا أن جمال الشعر يأتي ذكر المفعول، ويغتن حذفه. ففي هذا الحذف تصنع الأمور التي أسندها إليها كأنها لطيفة فيها.

(1) القسم: 24 - 24
(2) البرهان: البرهان في وجه البيان: 164 - 165
إذا كأنه قال: أتدرى ما بعدها؟ هو الداء المرضي، وما قربها؟ هو الشفاء والبراء من كل داء! ولا سبيل لك إلى هذه اللطيفة وهذه النكتة إلا تحذف المعول البينة فاعرفه(1).

ومن الحذف في المعول به ما يم أولا لأنه سبائل بعده ما يظهره، أو حسب عبارة عبد القادر الإمام على شريطة التفسير، وذلك مثل قولهم أكرمني وأكرمت عبد الله. يريدون أكرمني عبد الله وآكرمت عبد الله. فهم يتركون الأول استغناه بالثاني. وبين عبد القادر الجرخاني(2) أن الحذف في هذا الموضع ليس ظاهرا، أو أنه يخلو من الجمال الفنى كما يظهر في مثل المعاله السابق، بل يوجد في كلام المعول، وقد اشتمل على دقيق الصنعة، وجليل القائمة. ومن هذا الجليل النادر قول البكترى:

لو شئت لم تنسد سماحة حاتم كرمًا ولم تهديم ما شهد لؤلؤة.

فإن التقدير في مثل هذا البيت: لو شئت عدم إفساد سماحة حاتم لم تفسدها. لكن حذف المعول من الأول اكتفاء بدلالة الثاني عليه، ثم هو على ما نراه وتعلمه من الحسن والفرقان وهو على ما ذكرت لك من أن الواجب في حكم البلاغة ألا ينطاق بالحذف، ولا يظهر إلى النظير فليس يخفى أنك لو رجعت فيه إلى ما هو أصل قلت: لو شئت أن لا تنسد سماحة حاتم لم تفسدها: صرت إلى كلام غث، وإلى شيء يجهج السمع، وتعده النفس(3).

ثم يمضي عبد القادر في بيان ما يكون في البيان بعد الإبهام من الحسن، وذلك لأن الإبهام حين يأتي أولا يحرك النفس، ويدفعها إلى التطلع، والبحث عن

(1) دلال الأبعاد: 183.
(2) الساق: 184-185.
(3) 74.
المجهول. وذلك ما يقلل لما اللطف والنقل. ويتوفر مثل هذا الأمر كثيرًا في أفعال
المشيئة. لأنك حين تقدم فعل المشيئة توجي إلى النفس أن تمه أكرأ يقتضى هذه
المشيئة.

ويلبظ دائماً القاهر كثرة بعض المشيئة بعد ؛ لو ؛ وبعد حروف الجرّاء
موقعة غير معداة(1). في كتاب الله تعالى ويعذب المفعول بعدها. وذلك كقوله
تعال : { ولو شاء الله لجسِحهم على الهدى }، وقاله تعالى : { لو شاء
لهذاك أجمعين }، والقدر في هذا قول شاء الله أن يجعلهم على الهدى لجسِحهم
و لو شاء البدائة لكسِح لهاذاك }، ومن هذا النوع الذي يحسن فيه الحذف أيضاً
قوله تعالى : { لو نشاء لقلنا مثل هذا }، وقال الشاعر:

{ لو شئت كنت كُكرّرُ في عبادته } أو { كان طارق حول البيت والحرم
فلم يعبأ أنه يقول لو أردت أن أكون مثل كرز } في عبادته لكتبت، ولو
أردت أن أكون مثل طرق في طوافه حول البيت لكتبت، لكن كوفأ لهم ثم
ذكر فأزال هذا الإيحاء وضمن لمبارة الحسن والمثلجة والتأثير. }

وتذكر الأمثلة التي وردتها عبد القاهر الجرجاني على حذف المفعول، وبين
ما يكون لهذا الحذف من أثر في جمل الأسملوب ومنتهئه، كما بين ما يصيب هذا
الأسلوب من الضعف حين يقدم هذا الحذف. يقول : { وما يعلم أن ليس فيه
غير الحذف وجهه }، قول طرفة:

{ وإن شئت لم ترقل وإن شئت أوقلت } عناية ملوي من القلم مخصص.

وهو يتحدث عن تأليفه، وكيف أنها طيعة في يده، تنفذ مشيئته، ولا

(1) دلائل الإعجاز : 184.
لا يوجد نص يمكن قراءته بشكل طبيعي من الصورة المقدمة.
وكم ذدت عني من تحامل حادثة وثورة أيام خزّرن إلى العظم فأتصل الكلام وحزان اللحم إلى العظم، إلا أن في جبهه عينفها، وإسقاطه له من النطق، وتركه في الضمير مزية عجبية، وفاءة جميلة، وذلك أن من حقّ الشاعر أن يوقع المعني في نفس العام إيقاعًا ينبعه من أن يتوهم فيبدء الأمر شيئا غير المراد، ثم يصرف إلى المراد (1)، وبيان هذا أنه لو أظهر الفعل فقال : حزون اللحم إلى العظم، لجاز أن يتوهم السامع أن الحز كان في بعض اللحم وليس في جميعه، وحتى يدفع هذا التوهم كان إسقاط الفعل من اللطش حتى يقع المعني في أول الفهم. يعترّ منذ البداية أن الحز مضى في اللحم حتى لم يرد إلا العظم. أيكون دليل أوضح من هذا وأبين، وأجل في صحة ما ذكرت لك من أنك قد ترى ترك الذكر أقصى من الذكر، والامتناع من أن يبرز اللطف من الضمير أحسن للفصور (2).

وإذا كان عبد القاهر الجرجاني قد أوقفنا على بعض الممارسات التي تكون لحذف الفعل، كما أوقفنا على أثرها في الأسلوب، وكشفها عن الغرض المراد من الكلام، إذا كان عبد القاهر قد فعل هذا، فإن صاحب إعراب القران (3) يبتعد عن ألوان أخرى من حذف الفعل والمفعولين وغير ذلك، وبين أن مثل هذه الأمور يدق فيها النظر، ولا ينسى للناظر فيها الإحاطة بها ولا أريد تكرار ذكر حذف الفعل، لكنه يضيف إلى ما سبق ما ساهم الرجاء من حذف أحد الفعلين من الفعل الذي يعده لمفعولين، وذلك على نحو ما نجد في قوله تعالى: {ثم انتظروا العجل} أي إنا، وكذلك قوله : {فبالتذاكر} (4).

(1) دلال الإحصاء: 190.
(2) الساق: 191.
(3) حسب إلى الزجاج.
الحالف: {أى باتجاهم الحالف إلما فنى المثالين حذف للمفعول الثاني. يقول الزجاج: ولايد من إضمار المفعول الثاني لأنهم عوتوا بذلك، ولا يعيب أحد باتجاه صورة الجالف.} ومنه أيضا قوله تعالى: في كل دعاء الله أو دعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى {إذا كان الدعاء يعمى التسمية} {أى حذف له} {أنا رحمون} {أنا رحمون} {أنا رحمون} {أنا رحمون}. وإذا كان دعاء يعمى هما كان متعلقا إلى مفعولين، ووضوح أنه قد تم حذف المفعول الأول. ول قوله تعالى: {وإن كنا دولهم أو وزننا} {بخصرون} {لأنا كنا دولهم} {بخصرون} {لأنا كنا دولهم}. {والخبرون} {هنا هو المفعول الثاني} {وقد لأند الحالف} {في هذه الآية التصريح}. {وهل هناك ألوان أخرى من الحالف يؤدي استقصاؤها إلى الإطالة والأعراض التي تعيقها لا تخرج عن تلك الأمور التي أشار إليها النقاد والبلاغيون وعلماء اللغة، وبعضها يعد من متخلقات الفعل، وهذا يكون ارتباطه بقضية الإسناد وثيقا ولذا نذكره.}. {يهم يمذعون الحال} {ولا يختلف علماء اللغة على ذلك}. {فقد نقل الزركشي عن أبي علي قوله: {و لا خلاف بين سيويه وأني العباس في الحال المذكور منصوب به، وإنما الخلاف بينهما في القياس، فسيويه يذهب إلى السماة ولا يقيس، والأخش وال歩ر يقيسان.} {وقد قال ابن أبي الريح: {إعلم أن العرب قد تخذف الحال إذا كانت بالفعل لدلالة مصدر الفعل عليه.} {وذلك كقوله تعالى: {فلملاقكة يدخلون عليها من كل باب سلام عليكم} {أي قائلين سلام عليكم}}.

(1) إعراب القرآن ج2: 213.
الحذف في أجزاء الشرط:

وأما يقع الحذف في أسلوب الشرط. وقد يأتي الحذف في الجواب على نحو ما تجد في قوله تعالى: "إن كان من عند الله كفرتم به، وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فأمن واستكبرتم إن الله لا يهدى القوم الظالمين" (1). وقد قدر البحوث الحذوف: "من الحق منا ومن المبطل، وقدره غيره: "أقسم ظالمين". بدل التنبيه بقوله تعالى: "إن الله لا يهدى القوم الظالمين".


ويعلل صاحب "البرهان للحذف" في مثل تلك المواقفة تعليماً لا يخلو من الطرافة ويدخل في بلاغة الأسلوب وما يكون عليه من التامك والإضجاع، والبعد عن الترهل والتردد. يقول البرهانى: "والسر في حذفه في هذه المواضع أنها لما ربطت إحدى الجملتين الأخريات حتى صارا جملة واحدة. أوجب لما ذلك فضلاً

(1) الألف: 10.
(2) الألف: 27.
(3) الألف: 30.
(4) سب: 31.

79
وطولاً فخفف بالخذف خصوصاً مع الدالاة على ذلك وقول بصيغة جملة الشرط كأنها جملة واحدة بعد دخول الأداة عليها مما أشار إلى مثله عبد القاهر الجرجاني، بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك فجعل جملة الشرط كأنها كلمة واحدة في قوة ما ينطأ من الربط. وعلل المهم في ذلك أن الحذف في جواب الشرط حين يدل عليه دليل ما يتفق ومتى هذه اللغة التي تتأتى عن الهذر والزيادة التي لا تكون لما فائدة واضحة.

وإضيف الزرتشتي فائدة أخرى لخذف الجواب في الشرط لما من غير شك دخل في بلاغة الأسلوب وقوته بنائه. يقول: 1 ناقلاً: وخذف الجواب يقع في مواقع التفحيم والتصديق، ويُجاز حذفه لعلم المخاطب به، وإذا لم يخفف لقصد المبالغة، لأن السامع مع أقصى تجاهه يذهب منه المشه كل مذهب، ولو صرح بالجواب لوقف الذهب عند المصدر به فلا يكون له ذلك الواقع وقد ضرب مثلًا على هذا التخيل الذي ذهب فيه التفسير كل مذهب عند الحذف، وقطر المخفوف على أبعاد مختلفة بما قال به النحويون في قوله تعالى: 2 ولو أن قرآنا سيرته بجبال أو قطعت به الأرض أو كمل به المواقف 3 فذهب بعضهم إلى أن التقدير لكان هذا القرآن، لكن بعضهم الآخر نظر إلى ما سبق هذه الآية من الأسلوب، وإلى ما جاء بعدا، كما نظر إلى الفرض الذي سيأتي الآية ليبان، وعلى ضوء هذا كان التقدير مختلفًا. لقد بين هذا الفريق أن الآية لم تسبق لبيان فضل القرآن، وإنما كان سبيلاً للمكر النار. والدليل على ذلك ما جاء قبلها: 4 وهم ينكرون بالرحم يقل هو رفي لا إلا وهو عليه توكل إليه متاح 7 وما جاء بعدا: 5 أعلم يهود الذين آمنوا أن لو بحاشي الله فقد

---

1 البهلوان: ج: 182
2 الرده: 6: 23
الناس جميعًا، ويرى هذا الفريق أن التقدير لو كان: ه لم أكن به، لكان أشد وذهب بعضهم إلى غير هذا، وذلك لا شك أن في هذا ثراء للأسلوب وبيئة للنفس للتفكير في نواح مختلفة.

وقد مثل: الزركشي، هذه الغضب بأكثر من آية من آي الذكر الحكيم، ويمكن الرجوع إليها للوقوف على ما جاء به.

وعلماً ما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالبلاغة، وكان على اعتبار البلاغين هو ذلك الحذف الذي ذكرنه في باب الإيجاز، وأغلب الظن أن كثيراً من ألوان الحذف التي ذكرت، حذف المتعلق عليه مع بقاء المعطوف، أو حذف جواب القسم أو غير ذلك مما هو مذكور يعود إلى ما أطلق عليه البلاغون الإيجاز للحذف. يقول الخطيب: هو الإيجاز ضربان، أحدهما إيجاز القصر، وذلك ما لا حذف فيه، ولكن الألفاظ فيه على قلها تكون ثيبة وتتعلق معان كثير، مثل هذا يشير إليه الجاحظ في كلام رسول الله ﷺ، إذ يقول كلامه ﷺ هو الكلام الذي علَّف الظه، كله معانيه.

وورد عنه ﷺ أنه قال: هو أوجب جوامع الكلم، ويمثل البلاغون هذا النوع من الإيجاز بقوله تعالى: ﴿وكم في القصاص حياة يا أولى الألباب﴾، فالمعنى الذي تكن وراء هذه الألفاظ القليلة كثرة، وقد أشار العلماء الحديث حواها، وقبر نا بينها وبين قول العرب: ﴿والفتى أنفى للقتل﴾، وليس ينبغي علينا إما تضمه الآية من منعي، هو أن من يرد القتل إذا علم أن القصاص واقع عليه، وأنه سوف يقتل، سيكون ذلك رادعاً له عن ارتكاب تلك الجريمة.

(13) المواهب: 3، 184، وما بعدها.

81
والقسم الثاني من الإيجاز وهو ما نحن بصدده، هو ما أطلق عليه إيجاز الخذف. يقول الخطيب: "هو ما يكون يذف، والخذف إما جزء جملة أو جملة، أو أكثر من جملة وهو يذفون لما كان الخذف فيه جزء جملة بقوله تعالى: ﴿واسأل القرية﴾ bekalam marad ba'dal ихلا. وقيل لنا القول بأنه لا حذف في هذه الآية والفعل الواقع على القرية أى أن السؤال يقع عليها جميعًا، لأن ذلك هو الذي يمثّل الموقف الذي وردت الآية للتعبير عنه - وهو نفي نهاية خبيطة بأنباء يعقوب، وتضافير الأدلة والأسواقو على إثباتها على الرغم من أنهم أبرياء منها. وقد فصلنا القول في هذا في موضع آخر.

وما حذف فيه بعض جملة قوله تعالى: ﴿حرم علىكم الميتة﴾ أى تناولها. وقوله تعالى: ﴿حرمنا عليهم طيات أحلتم لهم﴾ أى تناول طيات أحل لهم تناولها. وقوله تعالى: ﴿لم نكن يرجو الله﴾ أى رحمة الله وقوله: ﴿نفترون ربيهم﴾ أى عذابه وقد يكون جزء الجملة هو الموصوف.

كقول الشاعر:

أنا ابن جلا وطلاع الثابا متى أضع العمامة تعرفوني.

إذ التقدير فإنا ابن رجل جلا.

وقد يكون الخذف صفة: بقي موصولها. وذلك كقوله تعالى: ﴿وكان وراهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا﴾ فالتدقيق بأخذ كل سفينة صالحة. وهذا ما دفع الرجل الصالح إلى خرق هذه السفينة ليكون فيها عليه أذي من الملك الطاغية عن الطعام فيها على نحو ما نعرف في سورة الكهف.

(1) خون التصور الباق.
وقد يكون المذكر الشرط أو الجواب على نحو ما أسلفنا القول.

حذف الجملة أو الجمل:

ولا يوقف الحذف في العربية على تلك الأنواع التي ذكرناها، بل يعد الحذف إلى جملة كاملة أو إلى أكثر من جملة، طالما كان هذا الحذف لا يؤدي إلى اللفس أو استخلاص العبارة. ويمكن الوصول إلى المخالب بأمر من الأمور التي توجد في العبارة، أو ببعض النظر العقل. وقد اشتمل الأسلوب الرفيع على هذا الذي تحدث فيه، والربا كان من بعض أسباب رفعه وإعجازه مجيءه على تلك الصور التي ورد عليها.

الجملة المخلوفة: إما أن تكون مسبة عن المذكور، أو تكون سببا فيه، أو تكون أمرا آخر غير هذا وذلك.

فمن النوع الأول الذي تكون الجملة المخلوفة مسبة فيه عن المذكور قوله تعالى: (لِيَلَّهِ الْحَقَّ وَيَعْلَمُ الْبَاطِلَ) (1) فوجود اللام في الفعل لحق. يقتضى أن يكون لما يتعلق يكون سببا عن مدخل اللام، فلما لم يوجد لها متعلق في الظاهر، وجوب تقدره ضرورة في قدر: فعل ما فعل لحق الحق.

فمن النوع الثاني الذي تحذف فيه الجملة وتكون سببا في المذكور قوله تعالى: (فانفجِرْتُ مِنَ الْأَنْفُسِ عِنَّكَ) (2) فإن الذبيحة، إما تدخل على شيء يكون مسببا عن شيء آخر، وما لا يمكن مسببا من غير سبب. وهذا السبب غير موجود في العبارة كان من اللازم تقدير. في قدر: فضبه فانفجر.
والموضوع الثالث: وهو الخارج عن أن يكون المذكور مسببا أو مسبباً للمخالفة. ما جاء في قوله تعالى: "فنعم الماهدون" (1) إذا القدير نحنهم أو هم نحن.

وقد تكرر حذف الجملة في القرآن الكريم. في مثل قوله تعالى: "فإذا قال ربك للملاكاء إلى جاعل في الأرض خليفة، قالوا أطيعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح محمد ونقدس لك" (1) فقد قيل إن المعنى إلى جاعل في الأرض خليفة يفعل فيها كما وكد. وهذا ما دفع الملاكمة إلى السؤال الذي طرحوه. وإلا نحن أن تثور لهم العلم بأن آدم يفسد في الأرض ويسفك الدماء.

ومن حذف الجملة أيضا قوله تعالى: "أحب أحدهم أن يأكل حلم أخيه ميتا فكرهتموه" (2) فلمغف. فكما كرهتموه فاكروهوا الغيبة.

وقد يكون المخالوف أكثر من جملة. على نحو ما جاء في قوله تعالى: "فأنا أبنيكم بنويله فأرسلون يونس أباه الصديق أتتني في سبع بقرات سماح يأكلهن سبع عجاف، وسبع سنابل خضر وأخر بابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون" (3) فمن الواضح أن القدير فأرسلون إلى يوسف استعره الرواية، وإن يليك نفسية فأرسلوه إليه وعند وصوله له، والتألقه به قال له يوسف: "الله.

ومثل ذلك المذكور يتكرر في سورة يوسف عليه السلام. فعلى قوله تعالى: "وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه، قال يا بشرى هذا".

---

(1) اللفظات: 88
(2) البقرة: 40
(3) الشعرات: 12

84
غلام، وأسروه بضاعة، والله علم بما يصنعون في النجم في هذه الآية.

جهل متروكة، ومواقف غير مذكورة، ويمكن أن يكون التقدير - والله أعلم - وجاءت سياحة فأرسلوا وارداهم لتحضر هم الماء، فلما ذهب إلى العين - وأدل دلوا ليخرج الماء خرج مع الدلو غلام عليه سما الجمال ففرح به، وقال يا بشرى هذا غلام، وذهب به فرحا إلى رفقة فسروا به، وأسروه بضاعة، وبعد هذه الآية وما يليها من آيات تطوى مواقف ومواقف، ويغطي عن أحداث وأحداث يمكن لم يرجع إلى السورة فندرنا أن يقف عليها، وعلم أن حذفها كان ضروريا من أجل أن تكون القصة محكمة لا مجال فيها لسرد الأحداث التي لا تفيد السياق، ولا تعمق المجري الأساسي للقصة.

وأما جاء فيه حذف آخر من جملة في القرآن الكريم، قوله تعالى:

(1) يبني حد الكتاب بصيغة وآتيناه الحكم صيغة (2) يقول الزركشي: حذف يبطل تقديره، فلما ولد يبني، ونشأ، وتعرض قلنا: يا يبني حد الكتاب بقوا.

ومنه قوله تعالى حكايته عن قوم موسى: (3) لن تبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى. قال يا هارون ما منك إلا إن تأتيه فسوا، أليس يغلي أن التقدير: فرجع موسى فوجدهم عاكفين على عبادة الضال. فغضب من هارون ووجه إليه اللوم قال: يا هارون ما منك من

(1) انظر في ذلك التصوير التئن ح próIMA LORAN ALCAR LAZARAS HANA 2 3

(2) غريب في البناء اللغوي 5

(3) مريم 12

(4) ته 91-92

85
التصدي لهم وتوجيههم إلى عبادة الله وحده إلى آخر ما يمكن أن يدل عليه السياق في الآيات الكريم.

ولعل تكرار مثل هذا الحذف في القصص القرآني بلغت إلى حقيقة فنية في هذا القصص هو أن اللغة فيه محكمة، وأن هذا القصص لا يذكر فيه من الكلام إلا ما ينبغي الحذف، كما أن هذا القصص ليس من جنس ما يأتي به البشر، وأنه كما قال الله عنه: "إِن هَذَا هُوَ الْقُصْصُ الْحَقِّ".

وأختم الحديث في الحذف بما أشار إليه صاحب البرهان من ظاهرة كثر ورودها في القرآن الكريم، وهي حذف النون، يقول الزركشي: قد كثر في القرآن العظيم حذف النون حتى إنه في الأضلام من涟ة الإظهار. وذلك كقوله تعالى: "وَالذِّينَ أُخِذُوا مِن دُونِهِ إِلَيْهِ مَآءَاتٍ مَّالٍ إِنَّا لَا نَتَّبِعُ الْمَكْتُوبَ" (1) أي يقولون ما نعدهم إلا لقربونا. ومنه أيضاً: "وَنُولِّكُمَا سَلَامًا خُذْنَا مِنَ السُّلَاوِ كَلَّا" (2) أي وئنا حالنا. وقد ذكر الزركشي (3) عددًا من الآيات التي حذف فيها القول. ويمكن الرجوع إليها.

ذكر المسند إليه:

بعد أن فرغنا من دراسة حذف المسند إليه، وما يؤدى إليه من بلاغة في العبارة نذكر الأحوال التي تقتضي ذكر المسند إليه، إذ تكون البلاغة في هذا الذكر، ويلبز المتحدث النكهة الفنية وراءه.

______________________________

(1) الزمر: 102
(2) طه: 80-81
وجين تتحدث عن حالة من حالات المسند إليه، وترجع إليها البلاغة لا
يعني ذلك أن تلك البلاغة لازمة لها في كل حال. لأن من المعلوم أن أحوال
المتكلم، وأحوال المحادث وأحوال الخطب لا تفق دائما. وربما تكون البلاغة في
موقف من الموافق متوقعة على أمر ما. وتكون البلاغة في موقف آخر متوقعة على
تقييم هذا. ومن ثم تكون الأحوال والمقتضيات التي تذكر في المناسبات المختلفة
مجرد إشارات لا تغني عن فطة السامع وحسن إدراكه، ومعرفته بالأحوال
ومقتضياتها. وسوف نذكر ما جاء عن البلاغيين من تعليل للذكر المسند إليه وما
جاء من هذه الأسباب:

1- أنه الأصل، وليس هناك ما يقتضى الحذف. كقولك هذا أخى،
ومنه قوله تعالى: فإن هذا أخى له تسمع وتسمع نعجة.

2- أن يكون في الذكر إشادة وتقيبة على شأنه: كقولك: العاقل من
امتد الباب، فيب في الباب في الطابية. المسلم من سلم المسلمون من لسانه
والله.

و جاء عليه قوله تعالى: أو أؤثر على هدى من رحم وأؤثر هم
المفلحون.

3- أن يذكر في مجال الفخر والاعتداد بالنفس. كقول المتنى:
أنا الذي نظر الأعيى إلى أدمى وأعلم كلماني من به صمم
وقول البرودي:
أنا مصدر الكلام الوردي بين المحاضر والنهائي
فكل الملحمة وثاني
أنا فارس أنا شاعر.
والذكر قد يكون لدواعي النفس، واستجابة لما تطلبه به من أمر، والمقام هو الذي يكشف عن ذلك ويرشد إليه.

فذلك الشاعر الذي امتلأت نفسه بالفخر والاعتزاز بقمعه يريد أن ينسب لهم كل شيء، ويقرر اسمهم بكل ماجد عظيم لا تستغرب عليه أن يقول:

وقد علم القبائل من مُّقدًّا إذا قُبِبٍ بِأَنْطْحَةَ بِنْيَا بَنُو المطعمة إذا قُدِرَّنَا وَأَنَا المهنكتُون إِذَا أَبْتَيْنَا رِجَاءً مِنْ هَذَا الْقِيل فَوَلِ الرَّسُول ﷺ أَنَا الَّذِي لَا كُلِبُهُ أَيْنَ عَبْدُ الْمَطْلَبَةِ).

ومن أسباب الذكر ما يجد المتحدث من اللحمة في ذكر أسماء أحباه، وذلك على نحو ما نجد في قول قيس:

أَلَا لَيْتُ لَبَنِى لَمْ تَكُنْ لْخَلْثَةُ وَلِمْ تَقَتْ لَبَنِى وَلْمُأَرَّ مَا هِيَا مِنْهُ وَلِمْ تَقَتْ لَبَنِى وَلْمُأَرَّ مَا هِيَا مِنْهُ وَلِمْ تَقَتْ لَبَنِى وَلْمُأَرَّ مَا هِيَا مِنْهُ.

ومنه قول الآخر:

مُّتَنَّى إِنْ كَتَبَ تَكُنْ حَقًا لَّكُنْ أَخْطَأْتُ لَمْ تَنْتَي وَلَا أَقْدَ عَشَنَا بِهَا زَمَنًا رَغْدًا أَمَّا مِنْ لَيْلِ جِسَانٍ كَأَنْ تَلاَمَكَ بِهَا لَيْلًا عَلَى عُمَةٍ يَرْدًا وتكرار الأسماء في الغزل، والتلفظ بذكراكما ما يكثر وروده في الشعر العربي، وليس يكفي ما فيه من مهمة ينسى بها كافل الشعر ومنشدته، إن أسماء الحبيبات ما يدخل السعادة على نفس الشاعر، بل ربما ترضى الأمر أسماء الحبيب.

إلى ما أشبه أو كان قريبًا منه، على حد قول الشاعر:

أُحِبَّ مِنْ الأَسْمَاءِ مَا وَاقُفُ إِعْمَاحًا أَوْ أَشْهَبَ أو كان منه مدانيًا.
فقد يكون الاسم لمكان، لكن ترتبط ذكريات الشاعر به، وربما كان المكان
ما يثير الحزن، لكن نفس الشاعر ترتبط به. وتقرأ في هذا قول متعمد بن نويرة
وهو يبيّن أخاه مالكا، ويرى كل قبر تقع عليه وبرًا له.
وقالوا نبتكي كل قبر رأيته في شعب يرى بين اللوى والذكالك،
فلكل هل إن الأسى يبعث الأسى دعوني فهذا كله قبر مالكي.
وقد يكون وجود المسند إليه ضروريا لإضافته إلى الحب وينسب له،
وحتى يكون هذا الخبر له وليس له، وذلك على نحو ما نجد في هذه المقطوعة
التي يخاطب فيها عبد الله بن الدينية صاحبه أمية فهنا تعانيه قائلة:
وانت الذي أخلتني وما عذتني، واتركتني للناس، ثم تركتي
فهم غرضا أرني وأنت سليم بحسبه من قول الوضاء كُلُوْم
فأجبتها:
وانت التي تطغَت قلب وهو كثوم ورقعت قلبه حرارة وسرت القطة بالجهنم جلهم
وانت التي كفتني ذَبَح السرئ بعث الوضاء ذاتي الصعود كِظْم
وجدو الأسلوب توجد كثيرا في القرآن الكريم، وذلك كقوله تعالى:
(1) أولئك على هدى من يبعثه وأولئك هم المفصولون
وقوله تعالى: (أولئك الذين كفروا بربهم، وأولئك الأغلال في
أعناقهم، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون).

(1) البقرة 6
ومن هذا الأسلوب الذي يذكر فيه المسند إليه精选到他的话和插话:

إليه قول عمر بن كاتوم:

وقد علم القبائل من معبد إذا قبِّب بآبِتها بِينا
باكَا العاهيمون إذا أطَعنا وإذا غَارمون وإذا شُعِينا
وأنا المنعمون إذا كُدِّنا وإذا أعدا لنا
وأنا الحاكمون بما أردنا وإذا الزارون بِينا
وأنا التاركون لما سخَّتنا وإذا ما توكلنا
وأنا الطالبون إذا تسرنا وإذا حُرينا
وأنا الاضربون إذا نعمنا وإذا مرتنا
وأنا الزارون بكل شكر وفخáz المتونا.

وقد يذكر المسند إليه حتى لا يم اللجوء إلى الضمير بين جملتين، وذلك
يمكن استقلال الجملة الثانية. ويمكن اختزالها مثلا ... وذلك كقوله تعالى:
فقد ذكَر بِأَنَّ الله يَنْزِع الليل في النهار، ويَنْزِع النهار في الليل، وأن الله جميع
العيان. (فِذَالِكَ بَعْضُ حُكْمِهَا وَأَنَّ ما يَعْقَل من دُونِهِ الباطل وَأَنَّ الله هُو
العالم الكبير) (1).

تعريف المسند إليه:

من الأمور التي تدخل في بلاغة المسند إليه حالته في التعرف والتكرر.

وتذكر هنا تعريف المسند إليه.

ومن العلوم أن التعريف يكون بالضمير، أو العلمية، أو الوضوحية،
أو الإشارة، أو بوجه المعرف بالبديل واللام، أو الإضافة إلى معرفة.

(1) الحج: 91-2-22.
وَلَا كَانَتْ كُلّ حَالَةٍ مِنْ هَذِهِ الْحَالَاتِ تَكُونُ لَهَا مِواقِفٌ نَقْضٍ،
وَلَا يَصِلُّ فِيهَا سَوَاهَا نَسِوقٌ كُلّ حَالَةٍ مِنْهَا،
أَوْلَىٰ: تَعَرِيفُ المَسْنَدِ إِلَيْهِ بِالضَّمْرِ:
فَالَمَسْنَدُ إِلَيْهِ بَقِيَ مَعْرُوفًا بِالضَّمْرِ لِلْقَامِ مَقَامُ كِلَامٍ، عَلَى نَحْوٍ مَا سَبَقَتْ
الإِشَارَةُ إِلَيْهِ فِي قُولِهِ:
أَنَا الَّذِي نَظَّرُ الْأَعْمَى إِلَى أَذْنِي، أَوْسَمَتْ كُلْمَاقُ مِنْهُ بِضَبْضَمٍ
أَوْ يُكُونُ الْقَامِ مَقَامُ خَطَابٍ عَلَى نَحْوٍ مَا نَجَدَ فَبِأَيْنَ اِنْدِمَتْ الدِّينْزِيَةُ السَّابِقَةُ،
كَأَنْ يُكُونَ الْبَلَاغَةُ لِلْغَالِبِ، وَلِلْبَلَاغَةِ فِي كُلّ حَالَةٍ تَكُونُ فِي وَقْعَتِهَا الْمَوْقِعُ
الَّذِي يَقْتَضِيُهُ الْكِلَامُ، لِكَانَ الْضَّمْرُ قَدْ يَخْرُجُ عِنْ وَظُلُفِهِ الْمَقْرَةَ لِيَرَادُ بِهِ أَمْرٍ
أَخْرَىٰ، وَفِي تَلِكَ الْحَالَةِ يَشِيرُ الْكِلَامُ إِلَى أَمْرٍ يَلَاغِي يُكُونُ جَدِيرًا بِالْبَيْنِ،
فَالبَلَاغُوْنْ مِثْلًا يَقُولُونَ إِنَّ الأَمْلِ فِي ضَمْرِ الخَطَابِ أَنَّهُ يُكُونُ لَمْعِينٍ،
كَانَ تَقُولُ لَا لَهَدْثُكَ: إِنَّ غُرْنِي أَكْرَمُكُ. لِكَانَ الخَطَابُ قَدْ يَكُونُ مِرَادًا بِهِ
الْعَمُومِ، وَجِيِّدًا يَكْسِبُ الْكِلَامَ مَوَايًا.
وَقَدْ تَجْزَأَ الْخَطَابُ الْمِرَادُ بِهِ إِلَى الْعَمُومِ فِي قُولِهِ: "لَوْ تَرَى إِذَا
المُجِرَمُ نَاَكْسَوْنَ رَوْعَهُمْ أَنْ بَشَرُّ يَقُولُ "فُلْسَتُ الرَّؤْيَا وَقَفَا عَلَى مِنْ وَجْهِ الْمِلْحَابِ
الْخَطَابِ، بَلْ تَجْزَأُهُمْ إِلَى كُلّ مِنْ تَطَأُّقٍ مِنْهُمْ الرَّؤْيَا. وَفِي هَذَا الْخَطَابِ تَنْبِئُ إِلَى
أَنْ رَؤْيَةُ هَؤُلَاءِ المُجِرَمِينَ أَصْحَبَتْ عَامَّةً لِكُلِّ مِنْهُمْ، لَكِنْ لَيْبَغتْ النَّظَّامَ فِي
الْبَيْنِ.
وَهَنِئَلَكْ يَكُونُ المَسْنَدُ إِلَيْهِ ضَمْرٌ غَيْبٌ لَا يَدُ أَنْ يَسَقِهُ ما يَعْوَرُ عَلَيْهِ لَفَظًا
أَوْ مَعْنَىٰ، وَلَا يَسَرُّ الْكِلَامُ إِلَى الْعَمُومِ، وَالْبَيْنِ، وَخَرَجُ عَنْ حِيْرَ الْكِلَامِ
البلاغ. فمثلاً ما كان العائد عليه الضمير لفظاً قوله تعالى: ﴿وَأَصِبَ حَتَّى يُحَكِّمَ اللهُ بِنَتَا وَهُوَ خَيرُ الْحَاكِمِينَ﴾. وقوله آية ﴿يَتَّمُّ الْعَلَا ﻣَا أنَّ إِسْحَاقَ طَالِبٌ ﻋَلِىَ الْعَلَا فَلَجَّهَهُ الْمُروُّفُ وَالجُوُدُّ سَاجِدًا ﴿. ومثال ما يعود إليه الضمير مثلى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾. أي: الرجوع أزكى لكم، وهو غير مذكور في الكلام، لكنه يفهم من خلاله ويوم الوصول إليه دون عناه.

تعريف المسند إليه بالعلمية:

يشير البلاغيون إلى بعض الأمور التي تتحقق نتيجة تعريف المسند إليه بالعلمية، ومن بين هذه الأمور:

إحضار المسند إليه في ذهن السامع باسمه الخاص به حتى يحبس عن سواه وذلك كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا يَرِفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَّاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلَ رَبِّاٰ تَقَبَّلَ مِنْهُ﴾.

ومنه تصريح المسند إليه إذا كان اسمه مما يذكر بتحليظ الأعمال جليلة قام بها أو فضل له يذكر به. كقولنا: عمر بن الخطاب رفع رابع العدل. وصلاح الدين قاهر الصليبين.

ومنه التحقيق إذا كان لاسم ما يدل على ذلك. كقولنا: أبو الولادة المجوسى اغتال عمر.

وقد يكون ذكر الاسم للطالذ به. كقول فرس: ﴿بِاللَّهِ ۚ بِهِ ۚ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۖ فَلَنَّا كَلِيلًا يَمْتَكِنُّ أَمْ لَيْلَ يَمْتَكِنُّ الْبَشَرُ﴾.
كما يذكر المسند إليه ياصع إذا كان في الأسم ما يدعو إلى التفاوت كالألام التي تشير إلى ذلك مثل سعيد، وفؤد، ونصر، ووجود هذا، أو يكون الأسم ما يدعو إلى التطور والتداول مثل السفاح.

وقد يكون ذكر العلم حتى يغلق عليه باب الإنكار. كأن تقول: إبراهيم هو الذي شهد بذلك، وعبد أختيائه به أو غير ذلك.

التعريف بالوصول:

الموارد من المعارف التي تحتاج إلى الصلة لتعريفها، وهذا يجب أن تكون الصلة معلومة حتى تؤدي إلى تعريف الوصول وبيانه.

وإذا كان تعريف المسند إليه يتضمن إشارات بلاغية، فإن التعريف بالوصول مما تكرر فيه هذه الإشارات، وذلك عن طريق الصلة.

وأول ما نجد في هذا الصدد ما تؤدي إلى الصلة من زيادة تكرير الفرض المسوق للكلام. على نحو ما نذكر ذلك في قوله تعالى: {وَرَأْوَاهُمَا الَّذِينَ بَيْنَ آكِلٍ وَيُومَ الْمَغْتَادِرِ}.

فالفرض المسوق للكلام هو بيان نزاهة يوسف عليه السلام وطهارته والصلة هنا تبين أنه كان في يدي هذه المرأة التي وقعت منها الزوجة، فهو تحت سيطرتها وخاضع لإرادتها، وهي تطارده برغبتها المحمومة في كل وقت، لكنه لا يرضع لذلك، ويستمع. إن الفرض المسوق للكلام لا يقرر على هذا النحو لذكرت المرأة باسمها، أو ضميرها.

فلا أقا: قد يأتي المسند إليه موصولاً حتى لا يذكر صراحةً لما يضمنه التصرف من المجتنا. كأن يكون المسند إليه قبيحاً، أو بما تقرر النفس من ذكره.
وذالك كما يقول الفقهاء عند ذكرهم لواقف الوضوء: ينقض الوضوء ما يخرج من السبيلين، أو كما ذكر حسان بن ثابت في حديثه لأم المؤمنين عائشة.

فإن كنت قد فعلت الذي قد زعمتمو فلا رفعت سوطي إلى يسدي فإن حسان رضي الله عنه يشير إلى ما يعرف بحديث الإفك، وهو لا يزيد أن يعبد ذكره، وهذا يلجم إلى تعريف بالوصول والصلاة، وهي كما نرى تتكون من الفعل وقاعة، مما يدل على أن ذلك لا يعود أن يكون زعماً، ولا سند له من الحقيقة والواقع.

ثالثاً: توسيع الصلاة إلى وجه بناء الخير، وقد تشير التي تحققه. فما أشارت فيه الصلوة إلى وجه بناء الخير قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يَتَّقُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ سَيَخْلُقُونَ جَهَنَّمَ دَارَخِيْنَ" فمن الواضح أن قوله تعالى: "يَتَّقُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ" لن يكون جزاؤهم إلا الخزى والنار. ومن هذا النوع أيضاً وإن كانت إشارات الصلوة إلى ما يدل المؤمنون. قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ سَبِّقْتُم مِّنَا الحسنى أولئك عنها مبعدون" (1) فالصلاة قد بينت أن هؤلاء المؤمنين سبتهم من رحب الحسنى، ومن كان هذا شأنه لا شك أنه بدأ عند النار، لا تمس حسده، لا يناله شيء من عذابها. في هذه الآية أيضاً لون آخر من البلاطة يتعمل في اسم الإشارة: "أولئك" الذي يدل على علو منزلته عند ربه.

والفقران الكريم يشمل على أشلاء عديدة للموصول الذي تدل صلته وشير إلى بناء الخير. مثل قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ مَا اسْتَقْامُوا تَنزُّل

(1) الآية: 101
رواه الملاكمة ألا تختنقوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنت تعودون في
وأقول الخالص: قال السكاني: وربما جعل هذا النوع ذريعة لتحقيق الخير.
أي أن الإشارة التي تكون في الصلة تؤدي إلى تحقيق الخير، وذلك حين تكون
كالسبب له، أو الدليل عليه(1). وذلك مثل قول عبد ابن الطيب:
إذن التي ضربت بيتاً مهجورةً، بكفرة الجُنّين غائث رُدَّها غُنَّل.
والبيت يحدث فيه الشاعر عن تلك المرأة التي تركت المكان الذي قام فيه
من تعب، واتخذت لها بيتا في مكان آخر. وفي هذا إباء إلى زوال حيما من قبله.
هكنا فهم السكاني من البيت. أما الخالص فلا يجد فرقا بين الإباء إلى وجه
بناء الخير وتحقيق الخير. ظلبت الدائرة معلقة في إباء إلى وجه بناء الخير،
هبل لا يعد أن يكون فيه إباء إلى بناء نقيضه عليه.
وربما كان هذا التفسير أسوأ رحا بالغلو إذ بعد بين الأحباب ما يولد
الشوق، ويزكي الصباية.
وقد يكون فيه ما يشير إلى التعمل: كقول الشاعر:
إذن الذي سجل السماء بنى لنا بيتاً دعابه أعز وأطول
رابعاً: يفيد تعريف المنداد إليه بالوصول، والسخيف والناهز، وذلك
لما فيه من الغموض والإيحام. على نحو ما نجد في قوله تعالى: فغشيشهم من اليم
ما غشيشهم(1) فحين تستعيد الموقف ونلم بأطرافه نعلم أن ما غشيشهم أمر عظيم
لا تعرف كنهه، ولا يخفه يخبره. ومنه أيضاً قوله تعالى: إذ يغشي السادة
ما يغشي(2). فما يغشي السادة أمر عظيمة تدل على عظمة الله وجلاله.

---
(1) عصام الركاب: 100
(2) النجم: 28
ومن هذا النوع قول الشاعر:

من فيها مانضنى من عقل شاربها
وفي الإجابة بالقي تطلب الباقي
ومنه أيضا قول كثير:
تغافل على حين لائي جليلة
وخلقت ما خلق في الجوانج
عامة: يكون تعرف المسند إليه بالوصل تتبعه للخطاب على خطه.

وذلك قول الشاعر:
إن الذين تزورتهم إخوانكم
يشتني علل مقدرهم أن استغروا
وقد يفيد تعرف المسند إليه بالوصل أمورا أخرى كان لا يكون
للخطاب علم به إلا بالصلة كتقول: هو الذي كان نحنا أسس رجل فاضل
أو يكون فيه حث على التعظيم كتقول: هو الذي علمك وأدبك
أو وكذلك كقول الكفار لقين: لبى أيها الذي تزال عليه الذكر إنك
نحن

تعريف المسند إليه بالإشارة:

لا حظ البلاغيون كثيرًا من الأخلاق التي يحققها تعرف المسند إليه
بالإشارة، وقد ذكرها وحلوها عليها. لكن هذه الأمور قد تكون متضاربة، يعني
أن يعلم اسم الإشارة إلى أمر ما في إحدى المباريات، ويدلل على تقييض هذا الأمر
في عبارة أخرى مما يدل على ضرورة مراعاة الغرض المسؤو له الكلام، والوسط
أو النسق الذي ورد فيه اسم الإشارة.

وقد

٩٦
وأول الأمور التي يلاحظها البلاغيون: تميز المشار إليه أكمل تميز، وذلك بوضعه تحت دائرة الحس، حتى يظهر في حس السامع. ويتحقق هذا حين يكون المقام مقام مدح. كقول الشاعر:

أولئك قوم إن بتوا أحسوا أنثى وإن عاهدنا أوقافو إن عقدنا شديداً فالشاعر ينصح هؤلاء القوم بأنهم إذا قاموا بعمل أكمله، رأموه على أحسن ما يكونائم، ولا يتوقف الأمر بهم عند هذا، فعمودهم تعالى وفاء، لا يدخلها خلل، لا يسبها نفس، وإن هم دخلوا ساحة الحرب والنزول بانت عريتهم، وظهرت قريهم، وشددوا على أعدائهم، وقد ميز اسم الإشارة، أولئك، تلك الجماعة من الناس. ومن هذا النوع أيضاً قول ابن الرومي:

هذا أبو الصقر قرداً في محاسبي بين تسلي مسيان بين الضال والصالح وقول الشاعر يبجذ بالكرم وغير ناته للاضياف السارين لليلة:

وإذا أتمت شخص صفيف مقبول مسرول يَلِي أغصان أوّما إلى الكوماء هذا طارق تحرثي الأعداء إن لم تتحرى

لكن تحديد المسند إليه وتمييزه بالإشارة لا يخف عند المدلح، بل يأكل أيضاً حين يراد إسناج صفات ذم له. وذلك على نحو ما نجد في قوله تعالى: "فلولا إذ سمعته وإن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً، وقالوا هذا إفلاطونين" (1)

فمجرى المسند إليه اسم إشارة هنا كان قيصره وتحديده، وإسناج صفته الذم إليه.

وقد تكرر هذا في قوله تعالى: "فلولا إذ سمعته قلماً ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سجاحك هذا يحته عظيم" (2) وفي هذه الآية الكريمة نوع من الأدب الذي يجب أن يكون عليه المسلم فليس كل أمر يكون للإنسان أن يخوض

(1) التورع: 12
(2) التورع: 11
97
ويبلغ زبرغى ويريد، بل هناك من المسئولين ما ينضب من الإنسان الكامل الكف عن الكلام فيها. لأن الكلمة فيها تكون جارحة، وقد يكون جرحها غير منسوب على نحو ما يقول الشاعر:

"جرحات السكان ما تقوم ولا ينطق ما جرح الله منهم فحين يسمع المسلم الحوض في الأعراض يرفع عن المشاركة، وبخاصة إذا كان ذلك الحوض محاطة طلوب مريرة، وأوهام حائدة.

الأمر الثاني الذي ينضب جيء المسند إليه اسم إشارة التعرض بعبارة السامع، وكأنه لا يعرف أو لا يميز إلا ما كان محسوسا مشاهدا، وذلك لغياب الفجوة عنه على نحو ما نجد في قول الفردق بهجو جربوا:

أولئك أباً فجئى بثلهم إذا جمعنا يا جبرى المجناج.

ويت الفردق هذا وقد استخدم فيه اسم الإشارة الموضوع للإشارة إلى البعيد سلمنا إلى استخدام بلاغي آخر لأحاس الإشارة. فقد تكون الإشارة بالقرب مثلما من أجل تشغيل المشارك إليه والخط من شأنه، لكنها -وكم أشرنا إلى ذلك فيما مضى- قد تأتي بالتفصيل قبل العظام والتفصيل. ومتى هذا يقال في اسم الإشارة إذا كان البعيد قد يكون في هذا البعيد تطبيق للمشار إليه. وقد يكون المكس.

وفي بيت الفردق السابق علاوة على ما فيه من التعرض بعبارة السامع كما أهمنا نجد فيه تعظيم لآبائه، وذلك من خلال اسم الإشارة أولئك، ولكن الإشارة البعيدة قد يكون فيها إبعاد للمشارك إليه عن تقدير المتكلم واعتباره وتفصيل أمره. على نحو ما نجد في قوله تعالى: {فذلك الذي يدع البيت}.

98
وأما جاء التعليم فيه بالبعد قوله تعالى: ﴿فَأَلٌّ ذَلِكَ الَّذِي لَمْ يَكُن ذِكْرًا ﴾ فإنه لم يستخدم الإشارة للقرب مع أنه ماله أمامها وأمامه، وذلك تعظيمًا ل wlan. وإعلاء قدرته.

وكا يستخدم اسم الإشارة للبعد في التعليم حينًا، والتحقيق حينًا يحدث ذلك ل اسم الإشارة الموضوع للقرب، فإذا نجد في بعض الأساليب، هذا الاسم وقد قصد به التحقيق على نحو ما جاء في الذكر الحكيم. على لسان قوم إبراهيم عليه السلام: ﴿أَهَاذَا الَّذِي يُذَكَّرُ ﷺ ﴾ ورد إبراهيم عليه السلام عليهم هذا الاحتفار باحتقار هذا الأصوات التي لا ترفع ولا ت_-_واحتقار العقول التي لا تعني ما ينفها أو بشرها: ﴿فَعِلْهَا كِبِيرُهُم بِهَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطَقُونَ ﴾.

ومن بلاغة القرآن الكريم أن اسم الإشارة، ﴿هَذَا ﴾ يستخدم في هى الآية مرتين: مرة على لسانهم يسألون عن حنام أهلهم وهرأ بها وهم، وهنا يفيد الاسم التحقيق والتهويل: ﴿مَنْ فَعَلْهَا بَالِغَةَ ﷺ إِبْرَاهِيمٌ ﷺ ﴾ ويكون الرد المحترس المستهر، بالعادية المعروفة: ﴿فَعِلْهَا كِبِيرُهُم بِهَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطَقُونَ ﴾ فبدل اسم الإشارة إلى التحقيق والاستaneous.

وأما ورد في استعمال اسم الإشارة، ﴿هَذَا ﴾ دال على التحقيق تارة، والتحقيق أخرى. مرك ورد في الفصة التي وقعت بين الفرزدق، ورجل من أهل الشام أراد أن يتجاهل علي بن الحسن. فسأل هما: من هذا؟ فأجاب الفرزدق بقوله: ﴿هَذَا الَّذِي تَعُفُّ الْخَيْرَاءَ ﻋِيْضَهُ ﴾ ﴿وَالْيَبِينَ ﻣَعَهُ ﯾَمْعَالِهِ ﴾. هذا ابن خير عباو الله كلههم. هذا الذي يفهم إلى الطاهر العلم، إذا رأته قريش قال قائلها:
وقد استخدم اسم الإشارة "هذا" الموضوع للإشارة للقرب، والذي يحمل في طياته نوعًا من الخط من شأن المشار إليه. وقد حدد هذا من السائل عندما قال: من هذا؟ وأنتج بذلك قيمة الشاعر المتمثلة بـ "آل البيت". فذاشت نفسه، واستخدم نفس اسم الإشارة لكن ليكيد بالمشار إليه ويرفوه. وقد كرر هذا الاسم، وأضاف التكرار لونًا من القوة والتماسك على هذه القصيدة.

وما بلغت النظر في هذه القصيدة غير هذا الاستخدام الموقف لاسم الإشارة، والذي ميز المشار إليه أكمل تميز، وأضاف إليه هذه الصفات العظيمة التي تجعل المدح في أعلى درجاته أن الشاعر قد تغلب على التكرار في كلمة لا تعد من الكلمات الشعرية هي "هذا"، ولولا قوة شاعره وما كان يمثل به من حب "آل البيت" ما استطاع أن يحقق مثل هذا النجاح.

وتأخذ من صفات المدح التي أطلقها الشاعر على زين العابدين هذا الأغلار الذي لم يقف عند ناحية دون أخرى، فالبطهاء تعرفه، ومعرفتها له عن طريق شجاعة منه بيد ويتعرفه... ومعرفته تباعد عن معرفة البطهاء.

فأنا يعرفه عابداً طانياً مؤنداً شاعره، ومنظماً حرامته.

وقريش تعرفه... وهي ذروة العرب، وموطن السيادة فيهم، أي أن السيادة يعرفونه، وإعرام له، أن الغاية التي تنال إليها كل سيادة... فهو ابن ذوي عبيد الله كلهم، وإلى مكاره ينتهي الكرم، وعند سيادة قومه تنضاب.
وهو كريم يعرفه أصحاب الحاجات... وكرمه عم كل شيء. حتى إن ركن الحطيم يكاد يمسكه إذا ما جاء يستلمه عرفانًا بكراه، وإقرارا بسخائه...

وفي هذا البيت نقف أمام نقطتين بلاغيتين بارزتين أولاهما استخدام الفعل "يكلد" وهو يفيد القراب الشديد لتحقيق الفعل، وإن لم يتحقق، وقد استعمله الشاعر الاستخدام الصحيح فلم يقترن جوابه بأن...

والنقطة الثانية: تقدم متعلقات الفعل على الفاعل، يكاد يمسكه عرفان، راحته ركن الحطيم... إنها... فقد قدم وعرفان راحته على الفاعل، ركن الحطيم... وفي هذا توجيه الاهتمام إلى كرمته وسخائه...

وما جاءت الإشارة بالقرب فيه للاستخفاف والتحمير، والقليل من القيمة ما يقله الدملول بن كعب العتري عن لياس نمرة:

تقول - وقذت صدرها يممتها - أَبْنَى هَذَا الْرَّكْحٍ التَّفَعُّعُسُ

 بالمروة ترى زوجها في منزلة دنيا، يقوم بالأعمال التي لا تلبق بالعلية والسادة من القوم، وأنه قد فجأها، وأثار دهشتها وعجبيها من حالته التي هو عليها. ولا يظهر الجمال في البيت ما لم تتخيل تلك المركبة التي قامت بها المرأة حين رأتها - وقذت صدرها يممتها - وما أعطى من النساويل الذي يصور الدهشة الشديدة، ويجسد الغرابة. ولما كان هذا شأن المرأة ووقفها منه، وصورةً عندها. أراد أن يبين لها قومته، وأنه ليس كما ترى. فقال:

فقلت لها لا تعجب، وتبنيي بلأتي إذا النفت على النوارس، ومن خصوصيات التعبير باسم الإشارة تشخيص المعاني وتوجيهها، ووضعنا تحت دائرة الحس، وقد جاء هذا في القرآن الكريم، وفي جيد الشعر، فهما جاه مه في القرآن الكريم قوله تعالى: "فقالوا أفننا متنا وكنا ترابا" 101
وعظاماً أننا لمبعوثون. لقد وعدنا نحن وأباًنا هذا من قبل، إن هذا إلا أساطير الأولين(1). فقد أشاروا إلى البشئ وهو من الأمور المثنوية، وأدى ذلك إلى تفهيمه، وكأنه منظر.

ومنه أيضاً قولاً تعالى: {يقلب الليل والنهار إن في ذلك لعمرة لأولى الأبصر(2).}

وأما جاءته في الشعر قول عبد الله بن الدمعية:

أينك أي يعنى تذكرب جعلتي في شماليك
أنت كأن بين شقيمن من عصنا
خادر الردى أو خينة من زبليك.
تتألب كن أشتكى وناما عليك علة
وردين قفري 11 قد فورت بذلتك.

ومن الأغراض التي يذكرها البلاغيون لاسم الإشارة أن يذكر قبل المستند إليه اسم، ثم يلقي بأوصاف على أن ما يرد بعد اسم الإشارة يجعله جديرا بهذه الأوصاف. وذلك كما نجد في قوله تعالى: { الذين يتقنون عهد الله من بعد ميثاقه، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصلي ويفسدون في الأرض أولئكهم الخاسرون(3).}

وقوله تعالى: { آلم ما ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب وقومون الصلاة وما رزقناهم يفقرون أولئك على مدى من ربهم وأولئك هم المهودون(4).}

ففي الآية الأولى ذكر الاسم الوصول الذي هو المسند إليه. ثم تبع بعد من الصفات هي أن الذين تحدث عنهم الآية وهم اليهود. يتفعون اليهود.
بعد أن يكونوا قد أوقعوها، وبرموا عقدها... ويعتلون في أبنائهم الذي أكونوا قد أوقعوها... ويقطعون الصلاة التي أمر الله أن يصلها الإنسان، كما أنهم يبسرعون في الأرض بغير ما أراد الله، فقد أراد الله الصلاة في الأرض لكنهم يفسلون فيها، ثم بعد ذكر هذه الصفات جاء اسم الإشارة ليبين أنهم يستحقون ما حل بهم، وما يتظرون.

وفي الآية الثانية حدث عن المتقدم الذين يخافون ربي ويخشونه، ويسيرون في الأرض بمنهج وهو منهج التقوى والصلاة - هذا يكون مآهم غير مآل هؤلاء اليهود، وما يستحقونه من الجزاء هو من جنس ما قاموا به من الأعمال... فهؤلاء المتقون - يؤمنون بالغيب. وهذا أقوى إيمان، ويقومون بما يجيب عليهم القيام به - فهم يؤدون الصلاة، ويؤدون الركع، ويعلمون أن المال مال الله هو الذي أعتم به وهو صاحبه، وهذا يتفقون هذا المال في سبيل الله. ثم يأمل اسم الإشارة بعد هذه الصفات لأولئك ليبين أنهم يستحقون ما يأتي بعده من أنهم على مدى من رحمة، وأنهم المفلسون... وإذا كان اسم الإشارة قد جاء في الآتيين واحدا (أولئك) فإنها في الآية الأولى دليل على بعدهم من رحمة الله ومنغرته وفضلها. وفي الآية الثانية دليل على بعد سترتهم وعلوها.

ومن الأخلاق التي يأتي بها البلاغيون يبتغون بها على هذه الحالة. أعنى بها ذكر اسم تعقب صفات ثم يأتي بعد هذه الصفات اسم الإشارة لبدل على أن هذا الاسم استحق ما جاء بعد اسم الإشارة من تعقب لاتصاله بالصفات السابقة.

قول أحد الصحابة:

ولله صلوات يساؤِ همْثَة ويضيع على الأخذاث والذَّكْر مُقْطَمًا / فلنَطْبِئَ لا يَرَى الخمسة تَرخَّة إنَّ كَأَلَّاهَا عَدَدَ مَقْطَمًا / إذا ما رأى يومًا مَكَانًا أَخْرَجَتْ كِبَرَاهُ تُنُسَّ صَمَامًا
يرى زوجتي أو بنتي وشجاعة وذات شعب غضب الضرير عددهم وأحلامه، سيرته قلبه وجماله، عند أخي هيجا وطرا، سريعماً، فذلك إن يهلك فحسناً ثائرًا. وإن عاش لم يعفد ضعيفاً مدهماً فقد ذكر أولاً الاسم والמני، فقال: وَلَهَّ صَأَرِيكِ. ثم أخذ في عد صفات له، فأولها أنه يتخطى هموم ويثوب عليها، ويسارووه من الملائكة المحنية، كما أنه يمضى على الأحداث، وما أكثر الهموم التي يتخطاه الصولاك ويلجع عليه زاوية كنتيجة، وليس كلاً واحداً بقادر على تحملها، مما بالك بتجاوزها، وثل ذلك يقال في الأحداث التي تصادفه، أو التي يخلفها خلقاً.

إن من بين همومه الكبيرة مطالبه العظيمة في الحياة، تلك التي يبلغ في طلها ولا ينزل عنه، إنه حين تعرض له المكارم لا يقعن بغير كرام أو رود وجهه شطرها، وحسم على أن ينافاها، وهو متوازن السلوك، لا يعبر عنه، لا يقعده الجروح، كما أنه لا ينظر للحياة يصفها مجرد مطلع إن حصل عليه فقد حقوه مراده. وهكذا يمضى في الأوصاف فهو برى سلاحه المسحل في رحمة ونيله وسهله وحبه وسحبه وغده، وقومه وعاتيه وعنته. وبعد أن يتبنى من هذه الأوصاف بحب باسم الإشارة، فذلك، ليس أن من يتصرف بهذه الأوصاف التي تشير إليها يستحق ما يشير إليه بعد ذلك من الصفات.

يقول الخطيب الغزيري في تعيينه على هذه الآيات: فقلت له كما ترى، خصائص فاعلة من مضيعه على الأحداث مقدماً، والسهر على أمر الجموع، والأنفة من عد الشيع منه، وينهم كبرى المكرمات، والتهرب للحرب بأذونها، ثم عقب قوله: فذلك، فأفاد أنه جديد باستفاه بما ذكره بعده 

(1) الإيضاح في علم البلاغة، ط دار الجيل. 222.

154
التعريف باللام:

بطل البلاغة الحديث في المعرف باللام، أو بالأحرى بطلون الحديث في الإسناد كان له الدور الأكبر في إدراكه، ولكل منهما بذل مجهودًا في حفظه. ولكن هناك ما يدعو لذكره في الأسناد لأن هذا الذكر دخل في بلاغته. لكن إطالة الحديث جعلهم يغلطون البلاغة الفلسفية بالأصول ولم يجدوا إجابةً من بين ذكر أحد الأمثلة التي عرف فيها المسند بالألوف واللام وأوقفنا على نكتة بلاغية حديثة بسيطة.

وسوف أحاول تبسيط هذه القصة، وتقريبها بقدر المستطاع.

وأول ما نجد في هذه الوسيلة من وسائل التعرف أنها قد تأتي للإشارة إلى معاونين من المتكلمين والخطابيون. كأن يقولك لك قال: بعثني رجل من قبيلة كذا، فقال له: ما فعل الرجل؟ قال: في الرجل أشارته إلى هذا الذي بينك وبين معتديك عليه.

وهكذا يقسمون العهد إلى ثلاثة أقسام: العهد الصريح، هو أن يقدم اسم صريح، ثم يأتي بعد ذلك وقد دخلت عليه اللام كائنًا يسبيق، وقد قال: إنك واحد مقاتل رجل من قبيلة كذا. ثم أعدت ذكره باللام فقالت: ما فعل الرجل، ومن هذا النوع من العهد الصريح قوله تعالى: فاعلم أن نور السماء وأرضك، كأنها كوكب، أي يتوافق شجرة ماركة زيتون لا شرقية (1).

فقد ذكر المصباح واللجعان من كرتين ثم أعدوا معرفين باللام.

ثالث: العهد الكفائي: وهو أن يتكلم ذكرها سويًا فلا يصرح به، ولكن يشمل الكلام على نوع من القرية تبينه. وذلك كقوله تعالى: وليست الذكر

(1) النور: 26.
كالآثري ك(1) فلم يتقدم الذكر صراحة في الكلام لكن دلت عليه [ما] في قوله تعالى: {رب إلى نذرت لك ما في بطنك محرا} فقد أراد أن تقف ما في بطنها على خدمة بيت المقدس. وذلك لم يكن متحققا إلا للذكور، ويدل على ذلك ما تشعر به الآية من الأسف في قوله: {إلى وضعتها أنثى}.

الثالث: العهد العلمي: وهو ما يكون ما دخلت عليه معلوما عند الخاطب، سواء كان حاضرا أم لا. وذلك نحو قول الله سبحانه وتعالى: {لقد رضي الله عن المؤمنين إذ بياضونك تحت الشجرة} فالشجرة معلومة عند الخاطب بآية. نحو قوله تعالى: {ثاني اثنين إذ هما في الغار} فالغار معروف معلوم عند الخاطب أيضا.

وقد يشار بها إلى الحقيقة. وهي أنواع أيضا:

أولاً: للمحقحة: وهي ما يشار بها إلى الحقيقة دون النظر إلى عمومها أو خصوصها. وسمي بلام الجنس وهم يمثلون لها بقولهم: و أهلك الناس الدينار والدرهم، وشربت الماء. فمعنى أملك الناس جنس الدينار والدرهم، وشربت جنس الماء.

ثانياً: لام المادة في ضمن فرد مسم إذا قامت القريبة على ذلك. يقول الخطب: {والمعرف باللام قد يأتي لواحد باعتبار عهديته في الدنم لطابعية الحقيرة كفرلك: أدخل السوق، وليس بينك وبين خاطبك سوق معهود في الخارج.} وقوله تعالى: {وأناط أن يا أكله الذئب}. ومدخولا كنالكرة، وهذا يعامل معاملتها فيوصف بالجملة كما توصف الشقرة.

---

(1) آل عيسى: 36
(2) النجاح: 18
(3) الطريقة: 40
كقول الشاعر:
ولقد أمر على اللئم يُشْتَكى فمضيت تمت قلت لا يُغْصِي
فجملة يسبى صفة للمعرف بأن، وليست حالا، وذلك لأن هذا
العرف كما قلنا يقرب من النكرة، ويعامل معاملتها.

ثالثا: لام الحقيقة في ضمن جميع الأفراد التي يتناولها اللفظ بحسب معناه
اللغوي. وتسنى لام الاستعارق الحقيقي أو الشمول. وأما دليل الشمول فهو:
(أ) قرية حالية: نحو قوله تعالى: { عالم الغيب والشهادة } أي كل غيب وكل شهادة.
(ب) قرية مقالية: نحو { إن الإنسان لفي خسر } أي كل إنسان. والدليل على ذلك الاستثناء الذي يعقبها: { إلا الذين آمنوا }.

رابعا: لام الحقيقة في ضمن جميع الأفراد التي يتناولها اللفظ بحسب مفاهيم
العرف. كأن تقول: جميع الأمير العلماء. فالعرف يحدد العلماء بأنهم الموجودون
في دله، وليس كل العلماء في الأرض.

وأما يتعلق بالتعريف باللام ما ورد عليهم من قولهم: { استعارق المفرد أشمل
من استعارق غيره } أي أن أداء الاستعارق كاللام، أو النفي إذا دخل على اسم
الجنس المفرد كان الاستعارق أو النفي أشمل من المثنى أو الجمع إذا دخلت عليهما
تلك الأدائه. وذلك لأن المفرد يتناول كل واحد من الأفراد، والمتثنى يتناول كل
اثنين أثناه، والجمع يتناول كل جماعة جماعة. ولذا يصح: لا رجال في الدار إذا
كان فيها رجل أو رجلان. وعدم صحة قولك لا رجل إذا كان فيها واحد أو اثنان
من هذا الجنس.
التعريف بالإضافة:

يذكر البلاغيون للتعريف بالإضافة بعض المزايا التي تحدث في الكلام.

ومن بين هذه المزايا:

١ - آلا يكون للتكلم طريق أحمر في إحضاره من هذا الطريق، والمقام يقتضى الاختصار وذلك كقول علية بن جعفر الحرثي وكان مسجوناً بمكة، ورددت عليه صاحبته في ركب ثم مضوا سريعاً:

هواء مع الركب ايمان مصِّعد، جنب وجيال بمكة موضع
فقوله: هواء، أحمر من الذي أهواه، ومقامه في الجموس لا ينسح لإفاضة القول.

٢ - أن تغني الإضافة عن تفصيل بتمرير القيام به، كقول الشاعر:

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم أسود لها في غيل حفان أشبل.
فقد أراد يقول بنو مطر، قومه، وحين يريد ذكرهم يتعرده عليه الأمر.

ومنه قول حسان بن ثابت:
أولاد جفني حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريمة المفضل.
وقد يكون التمجر راجعاً إلى الكثرة، كأن تقول: سكان القاهرة،
أو سكان الدوحة يفعلون كنا وكذا.
أو يكون التمجر في الفصل راجعاً إلى صموئل تقدم أحد على الآخر،
كأن تقول: أساتذة الجامعة يقومون بهذا الأمر.

١٠٨
2 - أن يكون في الإضافة تعميم بشأن المضاف أو المضاف إليه. وذلك
كقول الله: ﴿فَوَأَنَا لَا مَأْمَرُ عَبْدُ اللهِ بِذَٰلِكَ إِنَّ فِرُوشَ الْمَضَافِ بِإِضَائِتهُ إِلَى
الخالِقِ سَبَحَانَهُ. وَمِثْلُ قُولِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ عِبَادِي لَيْسَ كَلِّكَ عَلَىٰ هُمْ سُلَطَانٌ﴾.}

وقد تكون للتحفير كقولك: ﴿عَدَّ السَّوَاءَ جَاءَ﴾.

4 - أن يكون الإضافة حتاً على الانتهاء وِتحريضًا عليه. نحو قولك:

٨ صبيفك عندك.

5 - أن تكون تجريباً على الإذلال. نحو: ﴿٨ عدوك عندك﴾.

6 - أن تكون للاستهزاء. على نحو ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِن
رسولكم الذي أرسل إليكم نجرون﴾ ﴿٢﴾.

تذكر السبب إليه:

بعد أن فرغنا من تعرف المسند إليه، وما يكسبه هذا التعرف من مزايا
تعود على الأسلوب وتكون أوقع في التعبير عن الموقف الذي تساق فيه. نأتي إلى
التكبير وما يكسبه للكلام إذا اقتضاء الموقف.

وقد تحدث عبد القاهر الجرجاني عن بعض المواقف التي أكسبها التكبر
فترة وأشفي فيها على القول جمال وروعة. على نحو ما فعل في قوله تعالى :
﴿وَلِتَجْدِينَهُمُ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ ﴿٤﴾ يقول: ﴿إِذَا رَاجَحَتْ نَفْسُكَ
وَأَذُّكَتْ حَسَبٌ، وَجِدَتْ لِهذَا الرَّكِبُ، وَأَنْ قَلَّ ( عَلَى حَيَاةٍ) ﴿وَلَمْ يَقُلْ عَلَى

(١) المجهول: ١٩.
(٢) المجهول: ٤٢.
(٣) الشعراء: ٢٠.
(٤) الفجر: ٩١.
الحياة حسنة وروعة، ولطف موقع لا يقدر قدره، ونجدك تعدد هذا مع التعريف.
وتخرج من الأرغية والأنيس إلى خلافها.\\n\\nكما يعدها عما أضفته التكبير من الجمال في قول الشاعر:
فلو إذنا دهراً وانتكر صاحب سرط أعداء وغاب نصير.
والتكبير معني أساسين: الأول: إقادة معنى النكرة أي النوعية.
والثاني: الإفراد، فإذا ما أطلقت النكرة ولم يكن في الحال أو الكلام ما يصرفها إلى أحد المعنيين دلت عليهما، وذلك على نحو ما نجد في قوله تعالى: {وَأَلْقَىٰ مُنْعِمًا}، فالله خلق كل دابة من ماء (1) فلفظ دابة، يصح الإفراد أو النوعية فيكون المعنى خلق كل نوع من أنواع الدواب، وجنس من أنجاسه من نوع من أنواع المياء، وجنس من أنجاسه (2).

لكن قد يأتي في الكلام أو يدل الحال على تقسيم النكرة معنى من المعنيين. وذلك كما نجد في قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِي لا تَتَخَفَّضُ إِلَى إِلَهَيْنِ}، فلفظ إلهيتين، بين أن المراد هنا العدد وليس النوع.

والرغشري توضح لهذا (3). فهو بين أن جميع العدد والمعدد في غير الواحد والاثنين إما جاء لأن المعدد علوي عن الدلالة على العدد الخاص. لكن الواحد والاثنين يأتي فيما المعدد بلفظه، فقول: رجل ورجلان، فما وجه الجمع بينهما في قوله تعالى: {فَلَا تَتَخَفَّضُ إِلَيْهِنَّ}، وهو يجيب على هذا التساؤل بأن الاسم الحامل معنى الإفراد أو النسبة دالة على الجنسية والعدد.

(1) دلائل الإعجاز: 282.
(2) الفهر: 15.
(3) عناصر الفروزاب: 164.
(4) الفالح: 51.
(5) الكشف: 413.
المقصود. فإذا أردت الدلالة على أن المعنى به عبده والذي يضاف له الحديث هو العدد شعف ذلك بما يؤكد، وهذا ما حدث في الآية الكرية. لأن التذكر في إلزام صلاة إرادة العدد، وصالح لبيان النوعية، فلما أراد به العدد وصفه باثنين.

وحين يكون المراد بالتذكر النوع أي الجنس، يقت بعدها البكرة يوصف بدل على ذلك كقوله تعالى: { وما من ذابة في الأرض ولا طائر يطير بجانبه إلا أن منذكم، ما فرشنا في الكتب من شيء } (1) فقد وصفت وذابة بالجاف والجريجر بعدها، ووصفه طائر بالجملة العملية يطير فقد ذلك على أن المراد بالبكرة هنا النوع والجنس، وليس العدد.

وقد لا يأتي بعد البكرة وصف بوجه المقصود بها إلى بيان الإفراد أو النوع، ولكن يدل المقام على ذلك. فهناك نقرأ قوله تعالى: { وجه من أفقي المدينة رجل يسعى } (2) نجد المقام يدل لنا أن المراد واحد من جنس الرجال، وفرد من هؤلاء الأشخاص، ويبدو الأمر على خلاف ذلك حين نقرأ نقل الله سبحانه: { وعلى أبناؤهم غشارة } فإن المرادة بالبكرة غشارة لا بد أن يكون نوعًا من الغطاء. يقول الخطيب تعليقا على هذه الآية: { أي نوع من الغطاة غير ما يتعارف الناس وهو غطاء النعمة عن آيات الله } (3).

ويتفرع عن المعنيين الأساسيين اللذين ذكرهما التذكر أمور أخرى سواء كانت البكرة مسندًا إليها أو مسندًا، أو وقت غير هذا. وربما كان من المناسب أن نستقل الأمر حول التذكر بصورة عامة. ولكن يدلنا إلى غير ذلك الخشية من الأسباب وراء الإحاطة بالموضوع في الوقت الذي خصصنا فيه المسند إليه بالحديث. ولكن غالبًا ما يذكر البلاغيون بعض الأسباب في المسند.

(1) الأعلام: 38.
(2) الإيضاح: 29.
(3) إيضاح: 29.
ومن الأمور التي يذكرها البلاغيون لتكرير السند إليه - ما تقل عليه النكرة من العظيم أو التحكيق - وقد اجتمعت في قول أبي السهل:

"له حاجب في كل أمر يشتهي وليس له عن طالب يعرف حاجب.
فقد تكررت كلمة حاجب مكان في شطر النيث. وهل في الشطر الأول تدل على التشويق بالناجب الذي يبره بين البصار التي تنت من قدره، وتقلل من فمه لا بد أن يكون حاجباً عظيماً لا يسمح بأن يفدو إليه شأن منها مهما صغر. لكما في الشطر الثاني تدل على الحكيق ذلك لأنه بين من خلال هذه النكرة أن أصحاب الحاجات مجدون طريقهم إليه، لا يحب بينهم وبيته حاجب مهما كان صغيراً أو حيوراً. والقد حدد السياق ما تقل عليه النكرة في كل من شطر النيث.

وبأتي السند إليه نكرة ليدل على أن موضوع الحديث مكررنجوه.
وذلك على نحو ما ورد في قول إبراهيم بن العباس الصولي، يدح محمد بن عبد الملك الزيات. وكانت قد تكررت حاله، وتكرر له أصحابه على ما عَفَد في الناس حين يصاب أمرؤ بالخطة، فيصرف عنه الذين كانوا يقربون إليه. على نحو ما يملأ قول الشاعر:

"والناس من بني خيرا قالون له ما يشتهي ولا يتخليه، أهله.
ومن جانب من جوارب الذهب البوشي عر عه البشير في سبيته عندما قال:

"ولقد رآني نابي ابن عمّي، فقد لي من جانيه وأحنيه.
يقول إبراهيم بن العباس:

فلا إذ نبا دهر وأذكر صاحب وسلط矣 أعده، وغاب نصيًّ
تكون من الأهواز دارى بجوة ولكن مقادير جرت وأمور
واللأرجو بعد هذا محمده لأفضل ما يرخي أخ ووزير
وقد ذكر عبد الناصر الجرجاني هذه الآيات، واصدل بها على نظريته في
النظم، حيث أرجع حسن الشعر وجماله وروتته إلى نظام الآيات وجيئها على
النحو الذي وردت عليه. ومن ذلك تقدم الظرف على عامله، وجميع الفعل
مضارعًا وليس ماضيًا، تكون وتكثير الدهر، وإتباع هذا التكير بالتكير في
غيره.

وأضيف إلى ما ذكره في تكير الدهر، من أنه يفيد أن هذا دهر منكور
ليس كما كان يعرف حين كانت الدنيا مقبلة عليه، وأما تكير صاحبه، وقد أراد
بها أن يقول: «أتكرت صاحبي»: أي لم يعد هذا الصاحب أيضاً كما كان. فقد
تغير حاله معه، وتبديلت معاملته، ولم يضمه إلى نفسه حتى لا يسند إلى نفسه
الإنيك.

كذلك وردت عدة ألفاظ في الآيات منكرة، وكل منها شأن من خلال
هذا التكير والأعداء، تفتيق النكرة فيه التكير، وغياب النصير، تفتيق التقليل،
أي رغبة النصير، عند قلقه وندرته. وكذلك القول في مقادير، في مقادير
مهولة، وأمور عظيمة تلك التي مرت عليه وبدل حاله من العر إلى البوس
والشفاء.

وأتى التكير دالاً على التكير. وذلك كقوله تعالى: "فإن يقولوا:
فقد كلبت رسل من قبلك" (1)."
فَوَعَدَ الَّذِينَ آمَنُوا وَأَقَامُوا نِياَتَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاءَكْنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَرْقُونَ وَوَضَمانَ مِن اللَّهِ أَكْرَمَ كَمِّٰلَةٍ (١١). فَفِى الآيَةِ بِشَرِّ تَكِيدِ الرَّسُولِ إِلَى أن كَثِيراً مِن الرَّسُولِ حَدَّثُ هُمْ مَا حَدَّثَ لَرُسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم تَكِيدٌ أَوْرَامُهُمْ لَهُمْ . وَهُذَى يُوْقِعُ فِيهِ تَسْلِيماً لَّرُسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم .

وَيَفْدِي التَّكَثِيرُ فِى الآيَةِ الثَّانِيةِ التَّقْلِيلَ أَيْ أَن شَيْئاً قَلِيلًا مِن رِضْوَانِ اللَّهِ سِيَاحَهُ أَكْرَمَ مِن كُلّ تَعْمُّ يَتَمَثَّلُ فِى الأَمْوَاتِ الَّتِي تَضْمِنُهَا الآيَةِ .

وَإِفَادَةَ النَّكَرَةِ لِلْكَتَبِ اوِلْظَمْحِ أَوِ الْتَّحْفِيرِ ، أوِ التَّكَثِيرِ وَالَّتِقْلِيلِ ، يَكْشَفُ عَنْهَا السِّباقُ وَبِبِينِهِ ، وَيَهْنُدَ إِلَى الحَسَّ المُنْبِرُ الَّذِي صَلَّتَهُ الأَمْسَأَبُ الْجِيِّدَةُ ، وَعِرْفُ مِسَالِكَ الْقُولِ فِيهَا وَلَيْسَ يَقْلِفُ عَلَى صَاحِبِ الحَسَّ الدِّقِيقُ أَنَّ التَّكَثِيرَ فِى قُولِهِ تَعْلَى : ۚ (١٢) وَلَنَّ مِسْتَمِعَ نَفْحَةً مِن عُذَابٍ رَبِّكَ (١٢). مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ مِنْ الْقُلَةِ وَالنَّدْرَةِ ، وَهُوَ عَلَى الرَّحْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ وَنَدُرُّهَا نِصِيبَهُمْ بِالنَّجْلِ ، وَتَجْلِهِمْ يُجَارِونَ بَالْخُفْفِ وَيَصِيحُونَ : يَا وَلَدَا قدْ كَانُا فِى غَفَلَةٍ مِن هَذَا ، بِلْ كَانَا طَالِمِنَّا .

١١٤

(١١) الْحَمَّادَةُ : ٧٢ .
(١٢) الْإِلْيَامُ : ٤٦ .
القول في القدم والأخير

قدمنا ما ذكره ابن جني في شجاعة العربية، حيث قلنا إنه أرجع شجاعة هذه اللغة إلى عدة أمور هي: الحذف، والزيادة، القدم والأخير، وحمل على المعنى والحرف.

وقد سبق الحديث على الحذف، وتناول هنا هذا الباب الذي يعد من الجوانب الملحة في دراسة الأسلوب في هذه اللغة.

والمحق أن الوقوف على أهمية هذا الباب، والكشف عن بلاغته مما لا ينسى أكثر من الدارسين ذلك لأن هؤلاء، آثروا الكلام - كما هو شأنهم - ولم يحاولوا إ mônظوما لغية غريبة، وحروف VC و ... وقد تدرك عبد القادر الرباني ذلك فقال: وقد وقع في ظن الناس أنه يكتب أن يقول: إنه قد لعاني، ولكن ذلك أثر أكبر أمر القدم والأخير في تفسيرهم، وإنما كتب في كذلك - حتى إنه لم يذكر أن مثاله يرى تجربة والنظر فيه ضربا من التكلفة، ولم نكن نرى على صاحب من هذا وشبهه.

ولم يكن شأن هذه الطائفة من الناس يقف عند هذا الباب، فقد امتد إلى غيره من الأبواب وذهب بهم ذلك إلى عدم معرفة البلاغة - كما يقول عبد
القاهرة - ومنهم أن يعرفوا مفاضلها، وصد وجههم عن الجهة التي هي نبها،
والشق الذي يحويها (1)
ويعود عبد القاهر تلك الآلهة من أعظم الآفاق التي تدخل على أهل العلم
وتحول بينهم وبين المعرفة الصحيحة. وذلك على كُلّ كُتّى هذه الآفاق.
ويقرر عبد القاهر أن هذا الباب كثير الفوائد، جمع المحاسن، واسع
التصريف، بعيد الناية، لا يزال يتورث لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا
تزال ترى شعرًا برؤفك مسح، ويلطف لديك موقفه. ثم تنظر فتجد أن
راقت راطف عندك أن نقل فيه شيء، وحول النظف عن مكان إلى مكان (2).
ولما كان هذا شأن التقدم والتأخير فقد أولاه عبد القاهر عنيته، وفصل
القول فيه. وقد بدأ الحديث فيه بيان أنواع التقدم وما تكون عليه، ورأى أن
التقدم على نوعين. نوع يكون التقدم فيه على نية التأخر ... أي أن هذا التقدم
لا يخرجه عن بابه، ولا يجلوه من أصله. وذلك كأن تقدم الخبر على المبتدا مثلا
قلت فوق الشجرة طائر، أو قدمت المفعول على الفاعل قالت: قطع الزهرة
علي، فقد بقي المبتدا مبتدا واخبر إبرام في المثال الأول. وبقي الفاعل فاعلا
المفعول مفعولا في المثال الثاني أما النوع الثاني من التقدم فهو ما يخرج فيه المقد
عن أصله ويجلوه عن بابه، ويأخذ حكما جديدا. وذلك في الخبر المعرفة. نحن
قولك: زيد المنطلق، والمنطلق زيد، فجبن قدمنا الخبر لم يعد جبرًا وإنما صار
مبتداً، وصار زيد الذي كان مبتداً خبرًا. ومثل تقديم المفعول في قولنا ضربت
زيذا. فإننا حين تقدمنا قول: زيد ضرعبه، يتحول المفعول إلى مبتداً خبره
الجملة الفعلية بهد ويدحل الفعل في ضميره.

(1) دلائل الإهمام: 169.
(2) السابق: 137.
116
الأصل في التقدم:

البلاغيون بصفة خاصة، وأهل اللغة بصفة عامة يفرون في هذا الباب ما يشبه الأصل، ويعلمون ما يأتي بعد ذلك متفقًا عليه. ويحدد عبد القاهر الجرجاني هذا الأصل بما أطلق عليه، العناية والاهتمام، فالنقد عندهم هو ما كان موضوع الاهتمام، وما كانت العناية به أشد. يقول: "وأعلم أننا لم نجدهم اعتمدوا شيئاً يجري مجرد الأصل غير العناية والاهتمام. قال صاحب الكتاب: (1) وهو يذكر الفاعل والمفعول: "كأنهم يقدمون الذي يتحبه بهم، وهم يشأوه أعتى، وإن كنا جميعاً بيمتهم وبحمهم، (2) لكن عبد القاهر لم يكتف بهذا القول الذي يتصف بالعموم، ورأى ضرورة أن يُعرَف من أين تأتي العناية، ولم كان الاهتمام. ذلك لأن الوقوف عند القول بالعناية والاهتمام دون إعمال المعرفة بما وراء ذلك، دفعه إلى النزوع من شأن العلم وقدرته. وهو هذا السبب يفصل القول في التقدم والتأخير، ويجل من الحالا النظر إلى الأمر نظرين مختلفين، فنحرة تكون للتقدم فائدة مذكورة ومتصورة عليه، وأخرى غير موجودة. إنهم يملكون التقدم مرة بالعناية، لكنهم في أخرى يجعلونه مجرد توسعة على الشاعر والكاتب. حتى تطرد لهذا قوافيه، ولذلك سجنه، ومن البعيد - عندنا ه - أن يكون في جملة النظم ما يدل تارة ولا يدل أخرى. فمثلاً ثبت من تقدم المفعول مثله الفعل في كثير من الكلام أنه قد اختص بفائدته لا تكون مع التأخر. فقد وجب أن تكون تلك قضية في كل شيء وكل حال. ومن سبيل من يجعل التقدم وترك التقدم سواء أن يدعى أنه كذلك في عموم الأحوال، فأما أن

(1) بشير إلى سيرته.
(2) دلال الإجابة: 138.
يجعله بين بين، فقوم أنه للفائدة في بعضها، والتصرف في اللفظ من غير معنى في بعض مما يغفي أن يرغب عن القول به ، (3).

وأخذ بعد هذا في التدلي على ما ذهب إليه ويذكر بعض المسائل التي لا يمكن التسوية فيها بين ما يتم التقدم فيه وتأخيره.

ومن أول المسائل التي يقدمها الاستفهام بالمرة، والفرق الواضح حين يلبى الاسم وحين يلبى الفعل.

فهمة الاستفهام حين يلبى الفعل فنقول: ألم يقل، يكون الشك في الفعل نفسه ويكون الغرض من الاستفهام معرفة ما إذا كان هذا الفعل قد وقع أم لا.

لكن حين يلبى الاسم، فقال: ألم فعلت، يكون الشك في الفاعل من هر، وكون المراد فيه، ويتربى على ذلك أن وضع إحدى الطريقتين مكان الأخرى يؤدي إلى الخطأ وليس يخفى الفساد في الفعل مما لا آخر: وأنت قلت الشعر الذي كان في نفسك أن تقوله ذلك لأن الشعر في هذا الكلام موجود، ونثله في الفساد أثبت هذا الكتاب، إذ أن جميع الفعل بعد المرة شغله في وقوفه، والأشياء إليه تأكيد لوجوده، وفي هذا ما فيه من الفساد (4)، وبعد أن يفرغ من توضيح التقدم والتأخير مع همة الاستفهام التي للتقرير. يأخذ في بيان التقدم مع النفي، فينين أن تكون الفعل ويجعله ثابتًا للتفويق فنقول: ما فعلت، يكون قد نفيت فعلًا لم يثبت أنه مفعل، وإذا قلت ما أنا فعلت، تكون قد نفيت عليك فعلًا ثبت أنه مفعل.

(3) السابق: 140.
معنى هذا أن الفعل حين يلي أداة النفي ويقدم يكون الشك في حدوثه أو عدم حدوثه فإذا قلت ما ضربت زيدا، كنت قد نفيت عنه ضربه، ولم يجب أن يكون الضرب قد وقع أصلا. وإذا قلت ما أنا ضربت زيدا يكون الضرب قد وقع على زيد، وأنه تلقيه عن نفسه فقط. وهذا يصح أن تقول ما قلت شرعاً، وما رأيت أحدا من الناس. ولم يصح في الوجه الثاني. فلا يصح أن تقول ما أنا قلت شرعاً، وما أنا أكلت شيئاً، ونحو ذلك. وما يدل على أن تقديم الأسم يقتضي وجود الفعل قول المتعلق.

وأما إذا أسلمت قسمت يهود ولا أنا أصرمت في القلب ناراً.

فمن الواضح أن السهم ثابت في الجسم مستقر به، والضرب في القلب لم يكن ما قام به الشاعر أن ينبغي أن يكون له دخل في هذا أو ذاك. وكأنه بيين أن ما يحدث له حدث عن طريق غيره، ودون أن يسبب هو فيه. وناله ما يناله من السهم والآلام.

وبعد أن يفرغ من تقديم المسند إليه مع الاستفهام والنفي، وبين كيف توقف صحة المعنى في بعض الصوّر على ملاحظة التقدم. ينتقل إلى الحديث عن التقدم والتأخير في الخبر المثبت. وبين أن ما ظهر من فائدة للتقدم في الأروتين السابقين. قام مثله في الخبر المثبت.

فيقدما بعد المتكلم إلى تقديم المسند إليه. ويحدث عنه بالفعل. كأن تقول: زيد فعله، وأنا قد فعلت. فإن ذلك يقتضي أن يكون الفعل إلى الفاعل. إلا أن المعنى في هذا الفصيد ينتمي إلى قسمين:

القسم الأول: يراد فيه تخصيص هذا الفعل بالاسم، وقصره عليه، بأن يكون فعلنا له دون غيره. أو حسب عبارة عبد القاهر، وأيدها جلي لا
يشكل. وهو أن يكون الفعل فيما قد أردت أن تنص فيه على واحد فتجعله له، وترفع أنه فعله دون كل أحد، وهو يملوء هذا النوع بقوله: أنا أعلمني يضب أي حرشة: وهو مثل يضرب في أي يريد أن يعلم غيره شيئا هو من صنعه أو حرش الضب: صاده بالحياة. ووضع الشاهد في قوله: أنا حرشته: فقد نقدم المسند إليه وولي الفعل، وقد أناد الفصر على هذا الفعل: أي أن أحدا لم يفعله سواء.

والقسم الثاني: لا يقصد به قصر الفعل على هذا الفعل، لكن وقوع الفعل منه على التحقيق ودفع أي شك كأن سيحتن. ومثاله قولنا: هو يعني الجريل، وهو يجب الشاهد. فليس المقصود أن يفعل ذلك دون غيره. لكن أن ذلك حدث منه. مع تمكن ذلك في قلب السامع، أما جاء من الشعر من هذا النوع قول المفصل المؤتم: هم يفرشون البد كل طمرة وأجرة سباح يبد المغالبية فهو يصف القوم: بأنهم فرسان يهديون منهج الخيل، وأثناء يبتعدون الجياد منها، وهذا يفهمه (1) لكن لا يزيد أن يبقى ذلك عن غيرهم، أو يقصره عليهم. وقد بدأ بذكرهم ليبه السامع وبشير تشووه إلى ما سوف يتضمنه الخبر، وبهذا يؤكد فيه، ويعني أنه أي شك أو ترد في قوله.

ومنه قول الآخر:
هم ميضرن الكبش بيرق بيرق على وجههن من الدمناء سكينب.

(1) دلائل الإعراب: 152.
120
فهو يدح قومه، ويصفهم بالقوة. فهم يضرون رئيس القوم المتحصن في خوفته، ويسيلون دمه حتى يتخذ له طرائق على وجه هذا السيد. لكنه لم يرمع أن مثل هذا الضرب لا يكون إلا منهم. لكنه أراد أن يؤكد الأمر ويفقهه.

ومن بين فيه: قول عروة بن أ דיأ: 
سليمي أزمعت يسًا قلْن تقولها أيها قليس عزومها على أن البعد ما تختص به دون غيرها. لكنه أراد أن يبين أن عزومها على هذا البعد قوى ومؤكدة ولا يتحمل الشك.

ومن الأمثلة التي جاءت عليه أيضا قول الآخر:

"ما يلبس من الحجج أيمن ليسي شحيحان ما استطاع عليه كلهم أن أراد الأشعر أن يؤكد أنهما ما جدان، يريد بهما الجحد كما يحيط النباس بلاوه، وما زينان الجهد، وليس أحدهما أفضل من الآخر فيه. وقد تقدم المستند إليه، وجاء بعد الفعل لا يجعله يقيد القصر عليهما. لكن لينبه ليس قبل الحديث عنهما.

وأما جاء من هذا النوع الذي هو للتبيين والبيان والمبقي قوله تعالى: 
"ولنا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون" (1) وقوله تعالى: 
"ولا يكتفي عبد القاهر ببيان هذين القسمين، بل يتعت في بيان سر الأسد في تقدم الاسم، والفعل، فإقول: فإن قلت: فمن أين وجب أن يكون تقدم الحديث.

(1) الفرقان: 2.
(2) الطعة: 61.

121
عنده بالفعل آكد لإثبات ذلك الفعل له، وأن يكون قوله: "هَمَا يَلِبسُانَا الْجَنَّةَ" أبلغ في جعلهما يلبسانه من أن يقال: يلبسان الجنة؟ ويجيب عن هذا السؤال: بأن الاسم حين يأتي معري من العواصم يكون ذلك الحديث قد نرى إسناده إليه. ويكون في تقديره طيلة وفظبة للذئن لتلقى هذا الحديث، فإذا ما جاء في النفس واستقر فيها، فسما لا شك فيه أن الأمر حين يساق بثقة يختلف عنه إذا هيء له الذئن وقدم له. أو كما يقول عبد الناصر: "وجملة الأمر أنه ليس إعلامك الشيء بثقة، مثل إعلامك له بعد الصبية عليه، والتقديمة له، لأن ذلك يجري مجرد تكرير الإعلام، في التأكيد والإحكام".

وهذا ما أرجعوا إليه حسن الكلام وفهمه عندما يأتي مضمرا، ثم يفسر بعد ذلك: "على نحو ما نجى في ضمير الشأن، فإن قوله تعالى: "فَإِنَّهَا لَا تَعِمَّ الأَبْصَارُ" (1) من الفخامة والشرف، مالا يوجد حين تأتي بدون ضمير. لأن الأبصار لا تعني. وليست عبد الناصر تحقق هذه الفخامة في كل كلام يسبق فيه الفعل بضمير الشأن. وهو يقارن بين ما يشتمل عليه، وما يسقط منه الضمير. فقوله تعالى: "فَإِنَّهَا لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ" (2) يفيد من القوة في نقى الفلاح عن الكافرين ما لا يفيده الكلام لو قبل: إن الكافرين لا يفلحون.

وبدأ على صحة الأقوال السابقة، وعلى ما يؤديه تقديم المسند إليه والإخبار عنه بالفعل من التوكيد أن ذلك يأتي في بعض المواضع التي تحتاج إلى تقوية الكلام. وذلك يتحقق في مواضع، منها أن يأتي بعد ما سيذكير في إنكار من منكر. وقد علمنا في الحديث عن الخبر أن الإنكار يقتضي توكيد الكلام. فحين

---
(1) دلائل الإجماع: 159
(2) الجاح: 67
(3) التؤمن: 118

١٢٨
بأني من يقول لنا ليس في علم بالأمر، يكون الرد عليه مؤكداً: فقولك أن تعلم الأمر ولكنه تميل إلى المراوية. ومنه قوله تعالى: ﴿ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾، فهذا أبين شيء، وذلك أن الكاذب لا سيما في الذين لا يعرف بأنه كاذب.

ثانياً: أن يجيء الكلام فيما اعترض فيه الشك. ف يؤكد الكلام بقدم المسند إليه على الصورة التي عرفها حتى يزل هذا الشك، ويبقى الخبر. وذلك على غير أن يقول ذلك قال كأنك لا تعلم ما حدث. فتبهيجه: أنا أعلم ولكني لا أتكلم.

ثالثاً: أن يجيء في تكذيب مدع. كقوله تعالى: ﴿وفيما جاوركم قالوا آمناً، وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به﴾ (1).

وهذه الآية تتحدث عن حال النافقة الذين يزعمون الإيمان وقلوبهم، ونفوسهم مخلة بالكفر وهي تصور هؤلاء النافقة حين يدخلون على المؤمنين، أو حين ينون إليهم يقولون بأنهم آمنة، وهو قول ضيق وأهله لا يتجاوز ألسنتهم، وتبين الآية أنهم قد دخلوا بالكفر، فالكفر مستقر في قلوبهم. وهذا سبب الفعل الماضي، بقدّة التي للتحقيق. وهم حين خرجوا من عند المسلمين ازدادوا كفراً، كما يكشف عن ذلك التوكيد الشديد، وقدّة التي للتحقيق والبدء بالمسند إليه، فهم قد خرجوا به.

رابعاً: تأتي هذه التقوية فيما لا يكون القياس في مثله كقوله تعالى: ﴿وأخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون﴾ (2) وذلك أن

---

(1) ﷺ: 61
(2) ﷺ: 121
ثوابهم لم تقتض لآلا تكون مخلوفة: فالعمود لا يكون مخلوفا. وهنا كأنهم ينكرون مخلوفتها. فمنهج المسند إليه على هذه الصورة ليرد هذا الإنكار.

خامساً: يحسن هذا النوع من التوبيك في سياق الوعد والضمان، وذلك أن من شأن الأمر حين يُوعد بشيء يتباهيه بعض الشك، ويبلِ إلى عدم التصديق، فيسوق له الكلام على هذا النحو ليثبت في نفسه ويخفى. كأن تقول:

"وأنا أعهد لك بذلك، وأنا أقوم به، ومنه قوله تعالى: "أأنا أتبيكم بأوبله، فأرسلون"؟"

سادساً: فيما يستغرب من الأمور، إذ الأمور الغريبة تدعو إلى الشك.

وبيل الأمر معها إلى عدم التصديق، ولهذا تحتاج إلى مثل هذه التقوية. كأن تقول تصدى للأسد، وهو يخفف من أمر، ويرجع بالكثير وهو يحل بالقليل، و نحو ذلك.

سابعاً: في مجال المدح والفخر. فهذا المجال باختُضَ تقوية الكلام، والتاكيد عليه. كقولك، أنت تحظى بالاحترام والتقدير، قول الشاعر:

"عن في المنتاب ندعو الجُنُدُ".

ويملع عبد الرازق هذه القوة في المديح بأن، من شأن المدح أن يمنع السامعين من الشك فيما يمدح به، وباعدهم من الشبه، وكذلك المفتخر.

"فإذا كان الفعل لما لا يشك فيه، ولا يتأكل إليه الإنسان جبال من الأحوال، يجمع إلى أن يأتي مينا على تلك الصورة التي مضى القول عليها." فإذا تحدث بالخروج مثلاً عن رجل من عادة أن يخرج كل غد، فلقت: خرج، ولم يكن هناك حاجة لأن تقول: "هو قد خرج. لأن الكلام حديث لا يحسن، ولا

(1) يوسف: 46.

124
يتمشى مع الفروع السليم، ولا ما عرف من وجوب مراعاة الكلام لمقتضيات الأحوال. ولكن إذا وضع الكلام في سياق آخر فإنه يحسن. كأن تأتي به في صحة كلام وتضمه بعد واف الخالص. فقول جتحته وهو قد ركب. لأن مثل ذلك الحكم يغير إذا صارت الجملة في مثل هذا الموضع، ويصير الأمر بمعرض الشك. وهكنا يفرق عند الفاخري بين الأساليب وما يحسن فيها وما لا يحسن. فقرأ في قوة الكلام بين قولك جتحته وقد ركب، وتجته وهو قد ركب. ويتتبى إلى أن الكلام البليغ هو ما يبدأ عند الفاخري بالاسم ويبنى الفعل عليه كقوله:

قد ألغدى والتفيت آلم تكلم.

ولذا كان الفعل بعد واف الخالص مضارعا لم يصلح إلا متبا ي على اسم كقولك: رأيته وهو يكتب، ودخلت عليه وهو يمل الحديث. وقول الفائقة الجلدية:

تمزجئها والديك يدعو صياغة إذا ما بئتو له شئاً فتمزجؤوا ونابذة الجلدية يتحدث عن شرابه ليلا، ويصف هذا الشراب بأنه شراب تلمذ، فهو ماء الحمر مصياً. وهو يظل على هذا ليله حتى يؤذن الدينك بالصباح. وهو نعّم وبينت تمس مجموعة من الكواكب على هيئة خاصة. والاستشهاد بالبيت ليه أن الأسلوب لا يصح في مثل تلك الخالصة في أن تؤذن فيها الفعل المضارع بعد واف الخالص ما لم يكن متا على الاسم. فله قال قائل: رأيته وكتب. وتمزجئها والديك صياغة. كان الكلام خاليا من أي حسن أو كما قال عبد القاهر الجرجاني، لمن يكون (1).

(1) دلائل الإنجاز: 123 - 124.
وأما ورد على الأسلوب الرائع الرفيع، وبنى الفعل فيه على الاسم قوله تعالى: "إن: وَقَالَ اللَّهُ الذِّينَ نُزِلَ الْكِتَابُ، وَهُوَ يُولِي الصَّالِحِينَ" وتهلى توالى: "وَقَالَوا أَسْأَلَاهُ الْأُولَى إِذْ أَكْتَبَهَا فَهَيَّنَى ثَلَّى عَلَى بَكَرَةٍ وَأَصْيَابٍ " وتولاها توالى: "وَحَبَرَ لَسْلِمَانَ جَنُوْدَهُ مِنَ الْجِنِّ، وَالْإِنسَ، وَالْقُلّيَ" ووضعاً. وليس ينبغي على من عده ذوق سليم، وحيس بالمرية أن الكلام لم يتن على الاسم ما كان له هذا الوقع على النفس، ولنضرب القول مثلاً: "وَلَيْنَى إِنَّ اللَّهَ ذَٰلِكَ نُزِلَ الْكِتَابَ وَيُولِي الصَّالِحِينَ، وَأَكْتَبَهَا وَهَيَّنَى ثَلَّى عَلَى بَكَرَةٍ وَأَصْيَابٍ، وَأَحْتَرَلَ لَسْلِمَانَ جَنُوْدَهُ فِي وَضْعَ". إن الفظ فيها - كما يقول عبد القاهر - ينبو عن المعنى، والمعنى قد زال عن صورته التي كانت له(1).

التقديم في مثل وغير:

وأما هو مركز في الطاعع، وتعلقبه الأساليب البلاغة، تنديم كلمتي: "مثل" و"غير" على الفعل. وهذا التقديم يم في الكلمتين إذا أريد بها الكفاية دون ترميض. يقول عبد القاهر: "وأما يرى تقديم الاسم فيه كاللازم (مثل): "وغير". في نحو قوله:

"مثلك يبني المزون عن ضوئه، ويسترد الدمع من غرمه
وقول الناس: "مثلك معي الحق والحرمة،"

فتأتي تكسي عن الماظب حيث لم تذكره، وإذما ذكرت لازما يستدعية.
فما إمام هذا الأمر يأتي من كل من كان على شاكثه، وينطأ مقلبه، فهو يتألق منه، بل إن إتيانه الوالي على نحو ما هو معروف في إثبات المعنى عن طريق

(1) دلال الإجبار : ۲۰۹ - ۲۰۹.
الكتابة، وليس في هذا الكلام حين يعبر المخطوب، فلا يشير المتحدث من طرف خفي بأن غير المخطوب لا يكون منه ذلك.

وقد جاء على هذا النحو قول رجل للحجاج بن يوسف، حين توعده الأخير قائلًا: لأحلنك على الأدمهم. ( يريد الفقيد) فنجاهل الرجل ذلك ورد عليه - على سبيل المغالطة:

ذلك يحمل على الأدمهم الأشهب، والأدمهم والأشهب من الجاهل.

وهذه القول مما يستشهد به على حسن التحلص، والتجاهل، وقلب الكلام عن وجهه وصفره إلى وجه آخر فيما الخجاج يتوعد الرجل بالحبس والقيق إذا بالرجل يخرج الكلام عن هذا الفرض ويجهله إلى وعد بالعطاء والتكريم.

وهذا الحكم الذي تقرر لكلمة: مثل 1. ينسحب على كلمة: غير 2. وذلك

كقول النبي:

 Ghost باكر هذا الناس ينخدع

فهو يكثى عن نفسه - لكنه لا يعارض غيره وذاك أنه معلم أنه لم برد أن يعرض واحد كان هناك فيستقصه، ويعصف بأنه يفر ويخدع، وكل ما أراده

ا أنه ليس من ينخدع ويختر.

وما جاء على هذا النحو أيضا قول أبي تمام:

وغيري باكل المعروف سحبا، وتشعب عند بيض الآيات.

فأبو تمام ينفى عن نفسه أن يكون من يضع عنه المعروف، ويتذكر من أحسن إليه وأسدي إليه معروفا، ويعن الشاعر حين تعرض عن نسيان المعروف بأنه أكل له عن طريق السحت، فلم يستحقه أكله.

177
إلا و إذا حصل عليه عن طريق الحب والحنان، كما أحسن الشاعر عندما جعل نبض النعم شحوبا للأيادى، وإذا كانت اليد مجازا في النعم - كما علمت في المجاز المرسل، والصوابية فيه السببية، فهنا يركب أبو تمام مجازا على مجاز، فيجعل هذه الأيدي شاحبة، وتلك من عادات هذا الشاعر العظمي تركيب صور المجاز وتعليدها فيها. وقد أخذ عليه الغموض في بعضها لكن هذه الصورة مساحة، وربما كان ذلك لكونه استخدام الضمة في النعم، حتى صارت قريبة من الحقيقة فيها، وجاز للشاعر أن يبنى عليها أصورة أخرى من صور المجاز، وأما أن أبا تمام استخدم كلمة غير مقدمة وبنى عليها الفعل، وهو لم يرد التعريف بأنه، وكلما أراده أن يبنى عن نفسه تلك الصورة من الجهد وتكون النعمة.

وهناك أمور أخرى بسورة البلاغيون في تقديم السيد إليه على المند، منها:

- أن التقدم هو الأصل، ولا يوجد مقتضى للتأخير نحو قولنا: العدل أساس الملك، العقل السليم في الجسم السليم.
- وما أن ينظم السيد إليه يتمكنا الخبر في ذهن الساعم، لأن في المبدأ تشيوقا إليه كقوله تعالى: "إن أكرموك عند الله أتقامكم". يقول أي العلاء:

والذي حارب البرية فيه حيوان مستحث من جماه الشاعر حين جاء بالسيد إليه موصولا يقول: حارب البرية فيه، حرك شوق المستمع إلى الخبر ليعرف ما حكم به على هذا الذي سيب الحيرة للناس منذ بدء الحليقة.

128
وقد يكون التقدم في المسند إلى تعجيل المسرة إذا كان الاسم مما يجعل محسن الفائز نحو قولك: صعيد بن معد في داري. وقد يكون النظر كقولك
سفاك بن الجراح في داره، أو إظهار التورك نحو قول اسم الله اهتدى به.
وهناك مسألة يلحقها البلاطيون بباب التقدم والتأخير وفي تقدم حرف النفي على لفظ العيون أو تأخر حرف النفي عن هذه الألفاظ. وائفاظ العيون التي يشيرون إليها هي لفظ كل وجمع. وثيرة.
ولا شك أن الدلالة تختلف حين يقوم لفظ الهموم على حرف النفي، لأن دلالة النفي هم استثناء مستغرقة تشتمل كل الجنس، شريطة أنها لا يكون هذا اللفظ معمولا للفعل. أما إذا جاء لفظ العيون بعد حرف النفي يوجه هذا النفي إلى نفي الهموم. وتضح الأمور في قولنا: هل أكتب كل ما سمعت، تقدم حرف النفي على لفظ العيون، فلغي أن يكون قد كتب كل ما سمعه فلك ذلك لا ينفي أن يكون قد كتب بعضه. لكن إذا فلنا: كل ما سمعت لم أكتب. دل ذلك على أنه لم يكتب شيئا مما سمعه مما قيل، ومن الواضح أن ذلك حدث حين جاء لفظ العيون مرفوعا لأنه في هذه الحالة سيكون مبتدأ ولا عمل للفعل فيه. لكنه إذا نصب وأصبح الفعل مسلط عليه حتى مع تأخره كان النفي موجها إلى العيون كالمادة الأولى.
وعلى ذلك يكون قول الشاعر:
ما كله ما يتنمى المرء يدرك تأكي الرياح يضا لا تستحي السفن
المقص فيه أن الإنسان لا يدرك كل أمره، لكنه قد يدرك بعضها. وبالنسبة:
ما كله رأى النفي يدعو إلى رشد.
وقد يتأخر حرف النفي على لفظ المسموم لكنه يبدل على نفس هذا المسمى، ؛ وذلك إذا جاء لفظ المسموم منصوبة كقولنا : كُلّ الدراهم لم ألق . بحسب كل، إذ المسمى أنقفت بعضها أما إذا تقدم لفظ المسموم على النفي ورفع كان النفي مستقرًا . وعلى ذلك جاء قول أبي النجم :

قد أصبحت أم الحبار تدمى على ذنيها كلها لم أصنع

وقد وجدت يمضى مع فرض الشاعر الذي برد أن ينرى نفسه من نعم
ظلمة أصبحت للمرأة تحسا إليه، وهو بريء منها، ولم يبضها إلى ابنه غير تقدمه
في السن.

تقدم الميد:

تعمح الإشارة هنا إلى أنني حين تكلم عن تقدم المسيد على السيد إليه،
تتكلم إليه في حالة ما إذا ألقن وحى على حكمة لم يخير عنه. وقد سبقت الإشارة
إلى شيء من هذا عند ثوارنا لما جاء عن عبد القاهر الجرخلي في هذا السؤال؛ ذلك
لأن تقدم السيد، وخروجه عن حاله، واكتسابه حكما جدنا يخرجه لما عن
بقده.

والمبلغون من خلال استغلالهم للآثار البليغة، وجدوا بعضا منها برجل
المستفي إلى أن المسجد، وبخاصة إذا كان خيرا - تقدم على السيد إليه.

أول ما ذكرهم في ذلك.

تخصصبه المسند إليه، أي قصره عليه بحيث لايصعد إلى غيره. وذلك
كتبه تعالى: لا لكم دينكم ولي دين (1) فالمسيد وهو الجبار والمحور تقدم على

(1) الكافرون : 1.

130
المبتداً دينكم، وقد أفاد هذا التقدم أن دينكم لكم لا يتعدَّم إلى غيركم، ولا يتجاوزكم إلى سواكم. كما تقدم المسند ولي. على المسند إليه، 5 دين، وقد أفاد ذلك البصريين أيضاً. لكن الآية تضمنت نكهة لطفيّة هي تذكر 5 دين، وهذا التذكر يدلّ على أنه دين عظيم الشأن أي أنه دين وآوى دين - إنه ليس كديثكم الذي ينتمي بالزعفر والأکذيب.

ومن قوله تعالى: { لله ملك السماوات والأرض } (1) فقد أفاد تقدم الجبرئيل عليه السلام { ملك السماوات والأرض } قصر ملك السماوات والأرض على الله سبحانه وتعالى، أي هو ما هُكِذا لا يتعدى ملكها إلى أحد سواء.

ومع أنه أيضاً قوله تعالى: { وآيتنا الوعاد الحق } إذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ي Elves فقد كنا في غفلة من هذا. بل كما طالبنا (2). والآية تصور الكفار، وقد مثل أمام أعينهم ما كانوا يجدونه، ويكذبون الرسول فيه، وحين رأوه أمامهم أصبحوا بالذهول. وتقديم الجبرئيل على المبتداً قصر أبصارهم على الشخص كأنه لا تتعدى إلى غيره من الخيرة، أو الأزور أو غيرها من الأمر التي يكن أن تتصف بها الأبصار. وفي الآية الكرية نظر حذف الفعل قالوا باولنا وحذف الفعل من الأمر المألوفة في القرآن الكريم لكن حذفه هنا يدل على شدة الحال التي أصابها عليهم، كما تدل الآية على ما أصابهم من الفعل الذعر وما صاروا عليه من التلاوات على غفلتهم التي ارتكبوا بها في حياتهم الدنيا، أو على ظلمهم لأنفسهم أولاً وتكذيبهم الرسول، وعدم إجابتهم دعوة الحق.

(1) الدورى: 29
(2) الأثاب: 97
131
حين جاءتهم على ألسنة رسولهم. ومن هذا النوع من القرآن الكريم أيضاً قوله تعالى: «فُسْلِمَ أَلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأمور».

ثانياً: ذكر البلاطين من أسباب تقدم المسند على المسند إليه التنبيه من أول الأمر أن المقدوم غير لا صفة. وذلك كقوله تعالى: «وَلَكِنَّكَ فِي الْأَرْضِ مِسْتَقِيرٌ».

وبمثابه إلى حين: «فَقُطِمْتُ الجَحَرَ وَالْمَكْرُورَ فِي الآية بَدْفُن أَيْ تُوْهِمُ فِي كُونِهِ نَعْنَا».

ومثله قول الشاعر:

له همّ لا متهى إِلَيْكَ أِرْمَامًا
وجَمُّتهُ الصَّغَّرَى أَجْزِلْ من النَّصْر
وعَالِمَةَ بَيْنَ الْبَرَاءَةِ وَالْبُهْرَاءَ
فإِنَّهُ لَوْ قَالَ: هِمْ لَأَؤْهِمُ أنْ كَلِمَةٌ مِّنْهُ؛ صَنْفٌ، لَّا النَّكَرَةَ تَحْتُهَا.

الصفحة أكثر من الخير.

ثالثاً: يُقدم المسند على المسند إليه لِيُفيد التشريع للمسند إليه. وذلك كقول الشاعر:

ثلاثة تَسْرِقُ الدُّنْيَا بِهِجَْبَهَا
فِي النَّسْمَةِ وَأَبوِإِسْحَاقِ وَالْقَمْر
فإِنَّهُ لَمَا قَالَ ثَلَاثَةٌ تَسْرِقُ الدُّنْيَا بِهِجَْبَهَا تَسَوْقَتْ النَّسْمَةُ إِلَى مَخْرِفَا، وَذَلِكَ
لَمَا أَشَّرَّهُ الْمَسْنَدُ مِنْ عَظْمَهَا وَعُلُوَّ شَأْنَهَا. وَجِيْنَاءُ الْمَسْنَدُ إِلَى وَقَعُ مَسْتَقِرًا فِي
نَفْسِ المَسْتَمِعِ وَارْتَحَتْ لِهِ نَفْسُهُ، وَجُلَّرَ هَذَا فِي بَابِ الْمَدْحِ.

رابعًا: يُقَدِّمَ الْمَسْنَدُ فِي بَابِ الْرَّعْظِ. لَمَّا يُحْتَاجُ إِلَى مِنْ تَثْبِيطٍ وَتَقْوِيَةٍ.

وَذَلِكَ كَقُولٌ أَلْيَاءَ الْعَلَاءِ.

وَكَالْثَّنَىِّ الْحَيَاةُ فِي رِمَادٍ أُوْاهَمَا وَأَوْلُهَا ذُكْهَانُ

132
ثالثا: تقديم متعلقات الفعل:

من الأمور التي تدخل في بلاغة العبارة تقديم متعلقات الفعل، وهذه المتعلقات تشمل الفاعل، والفاعل والفاعل والفاعل والفاعل والمفعول. وهذا التقديم على نوعين: تقديم على الفعل نفسه أو تقديم لبعض المتعلقات على بعض، ولا يكون هذا التقديم أو ذلك، ما لم يكن تأثراً غرض في الفاعل يستدعاه، وتلك في العبارة تطبيقه. إذ الأصل أن يأتى الكلام على الترتيب، فيقدم الفاعل على المفعول، ويقدم البند على الخبر، وحين يأتي ترتيب الكلام على غير هذا لابد أن يكون منظوراً فيه لغرض بلاغي.

ولعل أول ما يشير إليه البلاغيون في تقديم أحد المتعلقات على الفعل، أو تقديم أحد المتعلقات على بعضها الآخر أن يكون ذلك للاختصاص والحصر. وعليه جاء قوله تعالى: "إياك نعبد، وإياك نسمع" (1) فهذا المفعول به ضمير الفصل، أفاد أن العبادة تكون لله وحده، أي يخصون الله العبادة، كما لا يستعينون بسواه. ومنه قوله تعالى: "إني كنت إياه تعبدون" (2) إن كنت إياه تعبدون أي إن كنت تقصرين العبادة عليه، فلا تعبدون سواه. وفي هذه الآية قدم المفعول به أيضاً على الفعل. ومثل ما قدم فيه الجار والمجرور قوله تعالى: "ولكن من آدم أو خلقه إلا الله تدعون" (3) أي تبناكم إلى الله وحده.

ولعل ما يؤيد ما ذعنا إليه من أن التقديم يرتبط بالمؤكد، وما يراد منه، ودلائل الكلام عليه، أننا نجد بعض المتعلقات تقدم في مواقف، وتتأخر في أخرى، وقد يظن من لا بصير له بالكلام، ومن حرم الحسن المرهف أنه لا فرق

(1) البقرة: 8.
(2) البقرة: 167.
(3) آل عمران: 158.
يَبِين هذَا وَذَاكَ، وَرَبَّما أَرْجَعُ ذلِكَ إِلَى عِيبٍ فِي الكَلَامِ، وَحَقِيفَةَ الأَمْرِ أَنَّ العِيبَ فِي حَسَمِ وَذُوْهَهُ، وَقِصْوَهُ فِي مَعْرَفَةِ اللُّغَةِ، وَالْبِلْوَقُ فِي جَانَبٍ مِنْ حُكْمِ أَسْرَارَهَا. وَلَنْقَرأُ فِي هَذِهِ نُولَةٍ تَعَالَ: لَوْ كَذَّلِكَ جَعَلْناَكُمْ أَمْنا وَسَطًا لَّكُمْ شَهِيدًا، وَمَا جَعَلْنا القَبْلَةَ الَّتِي كَتَبَ عَلَيْهَا إِلاً لَّنَعْلَمَ مِنْ يَتَبَلُّ سُرُولَهُ مِنْ يَتَبَلُّ عَلَيْهِ(۱) إِنَّ حَفْظَ الآيَةِ جَاءَ فَوْلُهُ تَعَالَ: اْلَّيْكُمْ شَهِيدًا عَلَى النَّاسِ كَجَاءَ فَيْنَا، وَيَكُونُ الرِّسُولُ عَلَىٰكُمْ شَهِيدًا فَنَظَرَ إِلَى الْجَارِ وَالْمَجِرُورِ (۲) عَلَى النَّاسِ كَوَلِّي، وَعَلَىٰكُمْ كَتَبَهُ أَوْلَا تَأْخُرُ عَلَى شَيْءٍ فَلِعَلَّ شَهِيدًا، وَتَقْدِيمٌ عَلَى نَاسٍ ثانِيَةٍ. وَكَانَ سَبِيلُ تَقْدِيمِهِ أَوْلَا إِثَاتٌ يَشَاءُ هِذَهُ الْأَمْرَ عَلَى عِيْبٍ مِنْ الأَمْرِ، وَلِيُسْوَءَهَا مِنْ الاِخْتِصَاصِ. أَمَّا فِي النَّاسِ فَقَدْ تَقْدِيمُ الْجَارِ وَالْمَجِرُورِ لِيَفْيِ الاِخْتِصَاصِ(۳) أَنَّ عَمْدًا عَلْيَهُمْ شَهِيدًا أَيْ أَنْ يَخْتِصُونَ بِشَهَادَتِهِ(۴).

وَقَدْ يَحْلُونَ الْتَقْدِيمَ مَّسْرَعُ الْإِحْتِيَامِ دُونَ أَن يَفْيِدَ التَّخْصِيصِ. بَيْلَ الطَّيِّبِيِّ قَدْ تَقْدِيمٌ بَعْضِ المَحْمُولَاتِ عَلَى بَعْضِهَا، وَذَلِكَ لِلْإِحْتِيَامِ دُونَ التَّخْصِيصِ كَآَذَا قَلََلَ: عَرَفَ شَرَكاءَ اللهِ بِقَفَ شَرَكَهُ. وَقَلَّبَ اللّهُ شَرَكاءَ الَّذِينَ أَعُرِفْتُ مِنَ شَرَكاءَ اللهِ، وَعَلِيهِ قِولَةَ تَعَالَ: قَدْ وَجَعَلْنَا اللّهُ شَرَكاءَهُ(۵) وَلَا كَانَتِ الَّذِينَ مَسْوَقَةً لِلْإِنْكَارِ عَالِمِإِذَا أَحَدُهُمَا لِلآخِرِ. كَانَ هَذَهُ الْتَقْدِيمُ لِلْإِحْتِيَامِ، وَالطَّيِّبِيِّ يَقْلِلُ مَا نَقْلَهُ غَيْرِهِ عَنْ سِبْيُهُ مِنْ قُولِهِمْ، أَيْ أَلَّيْكُمْ كَانُوا يَقْدِيمُونَ الذِّي بِيَاهِهِ أَمْنَ، وَهُمْ بَيْلَهُ أَعْنَى، أَوْ كَانَ أَطْبَاءُ مَا جَعَلُهُمْ(۶).

وَمَا جَاءَ إِلَى التَّقْرِيرِ الْكَرِيمِ إِلَى الْإِحْتِيَامِ لِلْإِخْتِصَاصِ، قَوْلُهُ تَعَالَ: وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ مَنِئَلَ. ثُمَّ يَعْيِدُهُ وَهُوَ أَهْوَمُ عَلَيْهِ(۷) فَقَيْ هَذَا الآيَةِ لَمْ بِقَلُ. 

وهو عليه أهون. ذلك لأن الأمر - كما يقول الورشري - قد جاء على ما يعقلون.

من أن إعادة الشيء أهون من خلقه ابداً. وليس الأمر على ذلك في قوله تعالى:

«قال رب أن يكون لي غلام، وكانت امرأتي عاقراً، وقد بلغت من أكله عنياً - قال كذلك قال ربك هو علّيّ عين، وقد خلقتك من قبل ولم تك شيطان» (1)

إذا الأمر هنا في التقديم للخصوص. قال الورشري:

الامر هنا للخصوص وهو عجزه. فقيل هو على هيت وإن كان مستضمنا عليه أن بولده في هرم ونهاه يؤيد كلام جار الله ما ظهر على نبي الله حين بشر بأن الله سيرزقه بغلام. فقال أن يكون لي غلام. وقى هذا تقديم للخبر على المبادأ، إذ الغرابة أن يكون له هذا الغلام وقد أصبح شيخاً هرماً، وامرأته عاقراً، والمرء يعجب ونصبه الدمشة مما يقول له مما جرت المادة بخلافه.

وقد يكون تأخير أحد المعلقات مؤدياً إلى الليس، ففي التقديم تجعل بذلك، أو كما يقول الطبيب للاحتياط، وذلك كقوله تعالى: (2) وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكمن إيثان. (2) قدم قوله: من آل فرعون، ولو تأخر قول:

«وقال رجل مؤمن يكمن إيثان من آل فرعون لأخوه أن الجار والمجرور متعلق بالفعل، يكمن، وهو أصلا صفة لرجل.

وقد يكون تقديم أحد متعلقات الفعل على آخر منظوراً فيه إلى الأسقية والفضل، على نحو ما تجد في قوله تعالى: (3) وأذن في الناس بالحسر يأكل رجلاً، وعلى كل ضامر. (4) فقد تقدم الحال مراة، على المجال والمجرور.

__________________________

(1) مريم: 908
(2) الحج: 130
و على كل ضامنٍ وذلك لما يُلاحظ فيه من أفضلية الحج لأولئك الذين يعودون الفريضة راجلين تتكون المشقة أكبر، والجزاء يكون على قدر العمل وعظمه.

و قد كان بعض الصحابة يود لو أنه حج راجلاً لما في ذلك من جزيل الفوائد. وجاء في الأخبار أن هارون الرشيد كان يحج عما وغور عاماً، وأنه كان لا يحج إلا ماشياً.

و قد يكون التقديم للسبق على نحو ما تجد في قوله تعالى: "لن آباؤي النبي قل لأرواحك وننفتك ونساء المؤمنين (1) فالزيارج أسبق من البنات". و إنه قوله تعالى: "هنا لنا من أزواجنا إsetVisibilityاً قرة أعين".

و ومن أسباب تقديم بعض المماطلات على بعض ترتيب منازلها في النفس، أي بحسب أقدر معاناتها وذلك على نحو ما جاء في قوله تعالى: "ولا تطع كل خلاف مهين، هما مشاء بسمه، مناع للخير معتمد أثيم، تعالى بعد ذلك زينم (2) فقد قالوا إن الحلال قد لأنها أفضلها منزلة لأن الحلف الكاذب إجراه على الله، وتطاول على اسمه الكريم - ومن بكر من الحلف والأمان الكاذبة يقسم قلبه ويسود، ويجيب غير قابل لداعي الإيمان، أولاً تؤثر فيه دورة الحق، و بيل ذلك في الجرم من يشي بين الناس بالشيمة يريد أن يفسد علاقتهم، ويدخل المداوة إلى قلوبهم. وقد لوحظ إقرارهم الفوز بالمشي في الآية الكريمة لأن الفام يسعي، وإن فساده لا يتوقف عند المكان الذي يوجد فيه، بل يشي بسمته، و ينتقل بها بين الناس، ليقطع ما بينهم من صلات ويأتي بعد الفائم من يمنع الخير. إنه لا يتحدث فساداً كما كان من سببه يفعل، ولكن نعمة لا يبعثده وهو يمنع الخير أن يصبع غيره. ثم ختمت الآية بوصفه بالعتل الزينم ... إن الآية الكريمة (1) الأحزاب 49، (2) الفرقان 72، (3) القدر 10 - 13، (4) الأحزاب 69.
تحدث عن هذه الصفات وتالى بها مدرجة من حيث القوة والعظم وعموم
الضرر.

وقد أحسب علماء التفسير ألوانا شتى من القبض، ووقعوا على لطائف كثيرة
أدي إليها، وكذلك فعل علماء البيان والمهمرون بالنظر في الكلام، والكشف عن
مواطن الحسن فيه.

وبما ذكره في تقديم بعض هذه الأمور على بعض تقديم السبب على
المسبب، ومثل له ابن الأثير(1) يقوله تعالى: «إياك نعيم وإياك نستعين»
إنه في إما قدم العبادة للإستعانة، لأن تقديم القرية والوسيلة قبل طلب الحاجة
أفتح لحصول التلب، وأسرع لوقوع الإجابة، ولو قال: إياك نستعين ونعيد،
لكننا جائزاً إلا أنه لا يسم ذلك للمسد، ولا يقع ذلك للموقع، وعلى هذا النحو
أيضا جاء قوله تعالى: «وأطلعنا من السماء ماء طهورا لنجي ببلدة مينا»
وسبقنا بما خلقنا أنتما وأناسا كثيرا(2) تقدم سباقه إحياء الأرض
والأمم على إحياء الناس، وإن كان الناس أشرف - لأن حياة الأرض سبب في
حياة الأمم والناس، وحياة الأمم تدخل بين الأسباب التي يحيا بها الإنسان.

وقد يقدم أكثر على الأقل. كقوله تعالى: «ثم أورثنا الكتاب الذين
سطفنا من عبادنا، فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق
بالخيرات بإذن الله(3).»

(1) الفضل الساير: 2/272.
(2) القرآن: 48/49.
(3) نظر: 27.
يقول ابن الأثير (١): «إذا قدم الظلم لنفسه للإذان بكرته، وأن معظم الخلق عليه، ثم ألق بعضه بالمقتدين، لأنهم قليل بالإضافة إليه، ثم ألق بالسابقين، وهم أقل من القليل. أعني المقتدين. فقدم الأكبر، وبعده الأوسط، ثم ذكر الأقل آخراً».

وينبغي أن يريف هذا الترتيب لو أنه جاء محكوساً بمعنى أن يذكر الأقل ثم الأوسط ثم الأكبر لكان له وجه، وهو يضع ما يشبه القاعدة في تقديم بعض المعلولات على بعض. يقول : «اعلم أنه إذا كان الشيطان كل واحد منهما خاص، بصفة فائت بالخيار في تقديم أيهما شئت في الذكر، كهذه الآية، فإن السابق بالخيارات خصص بصفة الفضل، والظلم لنفسه خصص بصفة الكثرة، فقس على هذا ما يأتيوك من أشياءه وأمثاله.

وقد يكون التقدم من باب تقديم الأعجوب للأعجوب. كقوله تعالى: "فَوَلَّاهُ خَلَقَ كُلٍّ مَا كُنَّا مِنْ مَا خَلَقَهُ"، فمنهم من يشكي على بطنه، ومنهم من يشكي على رجليه، ومنهم من يشكي على أربع يتخلق الله ما يتشاء). "

وذهب ابن الأثير في تعليل هذا الترتيب. إلى أن تعلل قدم الماشى على بطنه لأنه أدل على القدرة لأنه يشتي بغير آلة المشى. وليه في ذلك من يشكي على رجليه للفئة الآتى يخلاف الماشى على أربع.

وتكرر الوجه واللطف في هذا التقدم كما سبقت الإشارة، ومحاولة استقصائها تؤدى إلى التطور. ولا فذل في ختام هذا القول إلا ما قرره البلاغيون والمحقرون من أن التقدم في بعض المعلولات يكون للرعاية النظم في

(١) الفيل السالم : ٢٢٤/٢ ٢٢٥/٢
(٢) الساق : ١٣٨
الشعر، أو مراعاة أواخر الآيات في القرآن الكريم، وقد اهتم ابن الأثير بهذا الجانب الذي أطلق عليه حسن النظام السجعى. وقد حاول في بعض المواضيع أن ينمو على الوطاشري. فقد ذكر الأخير إلى أن قول الله سبحانه في سورة التفاوت 
"إياك نعبد وإياك نستعين" (إذا قدم فيه المفهم لإقامة الاحترام). 
لكن ابن الأثير ذهب إلى غير ذلك قائلاً: "وقد ذكر الوطاشري في تفسيره أن القديم في هذا الموضوع قصد به الاحترام، وإذا قدم لما كان نظام الكلام، لأنه لو قال: نعبدك ونستعينك، ثم لم يكن له من الحسن ما قوله: "إياك نعبد وإياك نستعين"، أو تناسى أنه تقدم قوله تعالى: "الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين"، فجاء بعد ذلك قوله إياك نعبد وإياك نستعين، وذلك لراعة حسن النظام السجعى الذي هو على حرف الثون، ولو قال نعبدك ونستعينك لذهب ذلك الطلاوة، وزال ذلك الحسن. وهذا غير خاف على أحد من الناس، فضلاً عن أرباب علم البيان، انتهى كلام ابن الأثير (1)، وعلى الرغم من الغاية الجمالية التي أهم بها القرآن الكريم وراعى فيها التناسب بين رؤوس الآيات وأهمية تلك الغاية في جمال النظام القرآني، وما يكون له من تأثير في نفس ملتقية، وقد سبق أن أُشرت إلى هذا الأمر، ووجهته إلى مصدره الجمال، وبين أن القرآن الكريم قد يختصره من المشهور من القاعدة البحرية، ويجوزها إلى غيرها تحققًا لهذا التناسب (2) لكن ذلك لا يمنع من أن يكون المزود في الآية الكريم أيضًا الاختصار. فالآية بالросс الذي جاءت عليه تقصير الصيغة عليه سيبانه، وتقصير الاستمالة عليه أيضًا. ومنها لا يعبد غرك، ولا تستعين إلا بك. وإذا كان التناسب بين رؤوس الآيات يستدعي تجاوز بعض الأمور.

(1) الباق: 2/214.
(2) اللسان المعموم م تحقيق.
(3) الركن: 9.
الشكيلة، أو يلقيء إلى بعض الأمور دون بعض، فإنه لا يم على حساب المعنى.
وَلِمْ يَكِن نَّمَّة حَاجَة هَـنَا إِلَى عَلَق خَالِف شَكْلِي. فَالآية الكريمة تُشتمل على الأمرين، أي أنها تجمع بين إذادة الاختصاص، وتحقيق التنبؤ بين رؤوس الآيات.
وأما ما روعي فيه حسن النظام فقال الشاعر:
سْرِبِّي إِلَى أَيْبِن الْمِمْ يُلْثَم خَلَّهُ وَلِيْسَ إِلَى دَاعِي النِّدَى يُسْرِبُ حَرْيْصًّا عَلَى الدُّنِيَا مَضِيعً لَهُ وَلِيْسَ لَهُ فِي يَتِي يُمِضِيع
أحوال المسند:

ذكرنا فيما مضى بعض أحوال المسند، فقد تقدم الكلام على حذف المسند عند الكلام من الحذف، كما تقدم الكلام على تقديم المسند عند الكلام على التقديم والأخير، واستكمالا للحديث عن الأحوال التي ذكرها البلاغيون للمسند.

تحدث عن أربعة آخرين هم: ذكر المسند، وتعريف المسند.

أولا: ذكر المسند:

قلنا إن بلاغة الكلام تكمن في تعبير عن المواقفة، واستجابته للدوافع والاعتبارات، وهذه الدوافع والاعتبارات قد تقتضي الحذف وقد تقتضي الذكر.

وأول ما جاء عن البلاغيين فيما يتعلق بذكر المسند:

أن الذكر هو الأصل، وليس هناك داع يقتضي الحذف. أي أنه لا توجد مزية بلاغة تكون مبرراً لهذا الحذف.

قد يذكر المسند، وفي الكلام قرينة يمكن أن تدل على الحذف، لكنها قرينة ضعيفة لا يمكن أن تحل عليها في هذا الأمر كثيرا. وحين تكون القرينة ضعيفة لا تكشف عن الحذف يجب أن يكون اللجوء إلى ذكر المسند أولى. وقد علوا للذكر بنفوسهم للاحتياط مع ضعف التحويل على القرينة. كقوله تعالى: { فلْوَلَّوْنَ سَأْتِهِمْ من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهم العزيز العليم }{(1) فقد ذكر المسند: خلقهم، مع دلالة السؤال عليه للاحتياط لضعف التحويل على القرينة.

وقد يرد على هذا ما جاء في الآية الأخرى عن عدم ذكر المسند. حيث قال الله تعالى: { فلْوَلَّوْنَ سَأْتِهِمْ من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس.

(1) الورف: ٩.}
والقرن ليقولن الله ك(١) من أن السؤال فيها كالسؤال في الآية الأولى، والمسند هنا هو المسند هناك. فكيف تكون القرية ضعيفة في إحداها وغير ضعيفة في الأخرى. ومن ثم يكون الأول في التحليل لذكر المسند في الآية الأولى أنه لزيدة التقرير والإيضاح. ولعل الأول في الذكر لضعف القرية الولد على من سائل من أشجع العرب. ومن أجددهم. عنه أشجع العرب. وحاتم أجددهم(٢). وقد يكون ذكر المسند التعرض بغاوة السامع نحو قوله تعالى: ﴿فَلَيْفَعَّلُهُ كَبِيرُهُم﴾. هذا ﴿كَبِيرُهُم﴾. أنه قد تعلّه تعالى على لسان قوم إبراهيم عليه السلام، ﴿فَمِنْ فِي قَلْبِهِمْ أَيْ إِبْرَاهِيمُ﴾. وهذا النوع من التعرض إذا أن يكون حقيقة، كأن يكون المخاطب ببإله الفهم. لا نقش على المعتنى دون أن ينص له عليه. أو تكون حالتة تدعو إلى أن ي⎢ساق له القول على هذا النحو، كما نجد في خطاب هؤلاء الكفار الذين أعظموا أعيينهم عن الحق، وراحوا يبيعون في الفضل، ويُبدون حجارة لا تدفع عن نفسها الأذى، فكيف غفل هؤلاء الحمقى عن تلك الحقيقة، وراحوا يشعرون عليها من صفات التعميم والتقليد مال يستحقه غير النطيف الخبير الذي أعطي كل شيء خلقه ثم هدي.

ذكر المسند لزيدة التقرير والإيضاح:

من الأعراض الأساسية التي يذكر المسند من أجلها، زيدة التقرير والإيضاح. فقد يكون الكلام في حاجة إلى أن يقرر في ذهن السامع وبث. وقد مضت الإشارة إلى هذا في قوله تعالى: ﴿وَلَوْنَ سَأَلُوهُمْ مِن خِلَاقِ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ خَلَقُوهُنَّ لِلَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾. فلو أنهم قالوا في الجواب: العزيز العليم، وحذف المسند لدل عليه السؤال على نحو ما جاء في.

(١) المكتوبات: ١١٠، (٢) انظر دلالة التراكيب: ٢٢٣، (٣) الأسئلة: ٦٣.
آيات أخرى - كما سبق أن ذكرنا - لكنه ذكر في الآية ليزيد من تقرير خلق الله للسموات والأرض.

ويذهب أحد الباحثين المحدثين(1) - وعن عمه - إلى أن هذا الفرض من أهم الفرض. والأساليب الأديبة تحتاج إليه لأنها تحتاج إلى التوقيت وتقرب الكلام ليكون له الأثر المطلوب في النفس. ولعل هذا ما يدفع الأدباء إلى التكرار في بعض المقاطع وترديها. وكأنهم يريدون لها أن تتأكد في الشعر وتتحم به وتتجوب معها. أو يتجوب معها. وذلك ما نجد في فصيدة الأعما الشاعر التي سبقت الإشارة إليها. لقد كرر الشاعر في المقاطع الثلاثة الأولى قوله:

أجل أعمي ... ولكن في دمي اللبوا أضواء
بين جوانبي فجر من النحسان وضاء الخ
ول المقاطع الثالث:

أجل أعمي ... إذا ما ضل في الطرق فأتها
ومد عصاه قبل خطره ثم ارتاد مجرىها،

ول المقاطع الثالث:

أجل أعمي كما قالت .. وأعمي لا يرى السحرا
وكيف يحص هذا الحسن إن نالاه أو أغرا

(1) حلقة النواك: 127.
وليس يصعب علينا أن نشير إلى ما أدى إليه هذا التكرار من تقوية. وكأنه
يريد أن يختر كلمة أعماق في وجدان السامع، لأنها أساس الأسماء كلها.
ولما هذا التكرار من قيمة بلاغية في تأكيد الفرض وتقويته تجاه يكرر في
الذكر الحكيم. على نحو ما نجد في قوله تعالى: "فإن مع العصر يسراً، إن مع
العمر يسراً" (تَحْيَى تَحْيَى يَكُرُّ الْعَرَفَ يَلْدُ يَلْدَ لِيَدْخُلُ عَلَى النَّفْسِ الَّتِي أُصِيبَتُ
الشدة نوعًا من الطمأنينة والأمل.
ومع قوله تعالى: "فَلا سُوَفْ تُعَلِّمَونَ".
التكرار هذا ليس لم سبقته له الآية السابقة من إدخال الهدوء إلى النفس، بل تمتله
بالخوف مما سوف يصيبها في مستقبل أيامها، لأنها اختارت الكفر، ورضيت
به، وارتفعت إليه.
وما ذكر فيه المسند، مع أن حذفه لم يكن ليخفي على السامع، أو يليس
في الأصول لأنه مذكور قبل ذلك ومعروف. ما جاء في قوله تعالى: "فَإِن أَقْامُ
أهل القرى أن يأتيهم بأسما بياذا وهم نائمون، أو أمن أهل القرى أن
يأتيهم بأسما ضحي وهم يلعبون، فأثمنوا مكر الله، فلا يأمن مكر الله
إلا القوم المأسرون" (3).
وما جاء في الحديث الشريف ذكر المسند فيه لزيادة التقرير والإيضاح قوله
"كَأَنْ تَمِينَتِكَ كَأَنْ تَمِينَتِكَ كَأَنْ تَمِينَتِكَ كَأَنْ تَمِينَتِكَ كَأَنْ تَمِينَتِكَ كَأَنْ تَمِينَتِكَ كَأَنْ تَمِينَتِكَ كَأَنْ تَمِينَتِكَ كَأَنْ تَمِينَتِكَ كَأَنْ تَمِينَتِكَ كَأَنْ تَمِينَتِكَ كَأَنْ تَمِينَتِكَ كَأَنْ تَمِينَتِكَ كَأَنْ تَمِينَتِكَ كَأَنْ تَمِينَتِكَ كَأَنْ تَمِينَتِكَ كَأَنْ تَمِينَتِكَ كَأَنْ تَمِينَتِكَ كَأَنْ تَمِينَتِكَ K
واذا العلم، على نحو ما نجد في شعر هذه المرأة التي ترك
زوجها، وتحدثت عن صفاها وأخلاقه وفروضه. نقول:
وحَدَّثْي أَصْحَابُهُ أَنْ مَالِكًا أَقَامَ وَنَذَّرَ صَحِبَةٍ يُرْجِيلَ
(1) الأُعْرَاف: 99. 99.
وحثنى أصحابه أن مالكًا ضرب بنعل السيف غير تكُوّل
وحثنى أصحابه أن مالكًا صرُوم كما ضى الشفرين صقيلة
لعلنا لا نخطئ، تكرار قولا وحثنى أصحابه. وكان يفسب أن تقولوا في
المرأة الأولى وتعطف عليها... لكن هذا التكرار يثبت المعنى ويقرره. وفيه نفس
نفسية هذه المرأة الشكلي فهي تزاح للمتحدث عنه، وخاصة إذا كان حديث
الفروسية والقوة والبرم، إنها تعيد تلك اللحظة التي نقلها إليها رفاقه الذين
شاهدوه يضرب بسيقه، ويقطع به رقاب العدوان، كما شاهدوه حين يرى وحيدا في
أرض المعركة بينا رحل الآخرين. ومن يبتغ مثل هذه المواقف يجد ما يعمد إليه
الشعراء من تكرار بعض الألفاظ، أو المقاطع لما لها من دلالة خاصة في بيان
الغرض الذي يتحدثون عنه.

جميل المسند فعلا، أو آخا:
تحدثنا عن أهم الأعراض التي تؤدى إلى ذكر المسند، وخاصة في المواطن
التي يكون فيها دليل قائم يرشد عليه عند حذفه. وهنا نتحدث عن جميل المسند
ثارة فعلا، سواء كان مضارعا أو مض时间内، أو جميله اسمه، ثم نبحث عن دلالة ذلك
في الغرض الذي سبق له الكلام.

وتحدثنا الإمام عبد القاهر عن فروق في الخير، أي في الكلام الذي له
الخرج يمكن الحكم عليه، وهو ما يقابل الإنشاء.

وهو حين يحدث عن هذا الخير يقسمه إلى قسمين. القسم الأول:
تكون جزءا من جملة لا تصبح إلا به. وهو خبر المبتدأ المفرد كقولك محمد قام،
والفعل في قولك قام محمد أو يقوم، وحيد من الفعل، وخبير المبتدأ، هو جزء
من الخير أي من جملة الخير لا تصبح إلا به، وهو الأصل في الفائدة.
القسم الثاني: هو ما ليس مجزء من جملة، لكنه زيادة في خبر آخر سابق
له، وهو الحال. وذلك كقولك جاء محمد راكبا. فهو بعد الحال خيرًا لأنه حكم
أو كما يقول: لأن الحال خير في الحقيقة من حيث إنك تثبت بها المعنى لدى
الحال كما تثبت بمثابة الماضي، والفعل للفاعل، بل لا تركز كثبت الركوب في
قولك: جاء محمد راكبا محمد كما أثبت له النبي، بالفعل، والقيام بالاسم. إلا أن
الفرق بين الإخبار بالاسم أو الفعل، والإحبار بالحال، أن الإخبار بالحال زيادة
في المعنى وهو يأتي على سبيل المعنى للمجيء، وبشرط أن يكون في صنها. وليس
الأمر كذلك في الخبر بالاسم أو الفعل. وحتى يمكن التفريق بين الخبر بالاسم
والخبر بالفعل، ويتضح ما يناسب المرتفع من هذا أو ذاك. بين لنا عبد القاهر أن
الإنبات بالاسم يختلف عن الإنبات بالفعل. يقول: وإذا قد عرفت هذا
الفرق - أي بين الخبر الذي هو جزء من جملة، والخبر الذي ليس كذلك-
فالذي يليه من فروق الخبر، هو الفرق بين الإنبات بالاسم، وبيته إذا كان
بالفعل، وهو فرق لطيف في مسألة الحاجة في علم البلاغة إليه (1). أما هذا الفرق فهو
أن الاسم موضوع على أن يثبت الخبر على طريق النبوتان، أما الفعل فهو موضوع
الإنبات الخبر على جهة التبديل والحدود. ففموضوع الاسم على أن يثبت بـ
المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيء بعد شيء، وأما الفعل ففموضوع على
أن يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيء بعد شيء (2). يضاف إلى هذا فرق آخر
وهو أن الفعل يفيد تقييد المسند بأحد الأزمات التي يدل الفعل عليها، ماضايا كان
أو مضايعاً. ويظهر الفرق بين إنبات الخبر عن طريق الاسم وإنباته عن طريق
الفعل حين تقرأ قول الشاعر:

(1) دليل الإجبار: 192.
(2) السابق
لا يألف الدروهم المضروب صرّتاً ولكن يعمر عليها وهو منطلقت، فالشاعر يختص بالقومه وسخائه، ويذكر أنهم لا يسكونون المال في أديهم، أو يضعونه في خزائنهم بل يتقونه على طالب العبادة، وحتى بين أن ذلك الأمر وتلك العادة ثابتة عنهم يأتي بالخير اسمها: وهو منطلق فالدراهم لم تتألف سنة القرم، لكنها تم عليها وهي منطقة ذاتية إلى غيرهم، إنها ثابتة الانطلاق، وعبد الرازق يطلق على هذا الخبر الذي صادف ووضعه بقوله: هده هو الحسن اللائق بالمبنى، ولو قلته بالعمل: لكن يمر علينا وهو يطلق لم يسم; (1) وضع الفعل في الموضوع الذي يتطلب الاسم، أو وضع الاسم في الموضوع الذي يتطلب الحذو، والتجد يفسد البلاحة، يذهب بحسن الكلام وروته. وهم جاء بالأسم في موضوعه قوله تعالى: فكلهم باسط ذراعيه بالوضاء، لو أطلعت عليهم لوليت منهم فراحا وملقت منهم رعيا، فهذا الكلبي الفيح أن الكلب كان على هيئة ثابتة لا تغير، كما تقول هو طويل مثل أو قصير، وفلك الصورة مقصودة في ثيابها ووجودها حتى تخلع على الفتية في الكيف جوا من المهابة والخوف. ولا يصح في هذا الموضوع أن يعبر بالنفع فيقال وكلهم يبسط ذراعيه. لأن الفرض أن تكتب الحيفة التي كان عليها.

ويصب عبد الرازق على أن الفعل لا يصلح في موضوع الاسم، كما لا يصلاح

الاسم في موضوع الفعل وبين أن ذلك يظهر بجلاء إذا نظر إلى الحال في الصفات المشهية، إذ يكون الفرق ظاهرًا. بيتا يقول: هو سبت اعتبرت الحال في الصفات المشهية وجدت الفرق ظاهرًا. بيتا، ولم يحضره الشك في أن أحدهما لا يصالح في موضوع صاحبه، فإذا قلت: زيد طويل، وعمرو قصير لم يصالح مكاتبه بطول

(1) السلف.
(2) الكيف: 18-19.
ويقصر، وإذا يطول ويقصر، إذا كان الحديث عن شيء يزيد ويمحو وإذا كنا قد
جئنا الخير في الأمثلة السابقة وقع اسمًا، وأن الفعل لا يصلى في موضوعه، فالامر
كذلك إذا حدث الخمس. وتضح هذا من قول الأعشى:
لم يرى لقد لاحته عيون كبيرة إلى ضوء نار في يفاع تمْرْق
كبَّ ضوءهم يضطَّليانها وبات على النار الندى والمخلّق
فالمرض هنا حدث عن الكرم، والنار تشبّ ليلة أراها السائر في هذا
الوقت وحدهم إلى صاحبها حيث يجدون عنده القرى. وهي نار في مكان مرتفع
تكون أبهر وأوضع. وصاحب هذه النار يريدها متجددة. يتجدد لحريا ويطير
ضوياً شيئا فشيئا، حتى يراها السائر. وليس غريغة أنها نار متحركة ثابتة .
وهذا يعلق عبد القاهر على قول الأعشى بقوله: و معورم أنه لو قيل: إلى ضوء نار
متحركة كتبنا عنه الطبع، وأنكرته النفس، ثم لا يكون ذلك التحوٍّ، وهذا الإنكار
من أجل القافية - وأنها تفسد به، بل من جهة أنه لا يشبه المرض، ولا يلبق
بالنحال(1) - وما جاء فيه الخير فعلًا ليفيد التجدد والحدوث قول طريق بن يحيى
المتبرع:
أو كله وردت عكاية قيلنة بعثوا إلى عريفهم يعوسُمُ
فالشاعر يتحدث عن سالبه، وما أحدثه في القبائل حتى أصبح لكل منها
تأراء عنه، وهذا كله ورد قيلة من تلك القبائل سوق عكاية، حيث تجمع
القوم للتجارة. يعثوا من بينهم من يتفحص الوجه يبحث عنه حتى يبالوا منه
تأرهم، ويتمسوا منه لقتلاهم. لو أنه جاء بالخبر اسمًا لأفاد الثبوت، وهو يريد
أن يبين أن أئهم يتجدد، وطلبه له لا يتوقف. يقول عبد القاهر تعليقة على

(1) دلالة الإعجاز: 195
148
جميع الخبر صلا، وذلك لأن المعنى على توسعم وتأمل ونظر يتجدد من العريف حالا فلا، وتصفح منه للوجه واحداً بعد واحد، ولو قيل: بعدا إعرفيهم مسماً لم بند ذلك حق الإفادة (1).

ومن هذا النطق أيضاً قوله تعالى: هل من خراص غرب الله يرزقكم من السماء والأرض؟ قال قول: هل من خلاص غرب الله رازق لكم. لكان المعنى غير ما أريد، لأن الله تعالى يريد أن بينهم أن لا يوجد غرب الله سبحانه وتعالى يطيل لهم الرزق يوماً بعد يوم، وشهرًا بعد شهر. فالرزق متجلد، وصواب الدلالة عليه تكون بالفعل الذي يدل على هذا التجلد والحدوث.

جميع المسند جملة:

وكما يأتي المسند فعلاً أو اسماً يأتي كذلك جملة فعلية أو اسمية، والفرق بين المسند حين يكون فعلاً، أو اسم مفرداً وجملة أن الجملة تفيد تقوية الحكم.

وقد يقال هل يختلف الأمر حين يكون المسند جملة؟ أو عبارة أخرى هل يكون هناك فرق غير ما تفيد الجملة من تقوية الحكم؟ والجواب على ذلك أن الجملة الفعلية تفيد ما كان يفيده الفعل من التجادل والحدوث، والجملة الأسمية تفيد ما كان يفيده الاسم من ثبات والاعتراف. ويضحى ذلك عندما ننظر إلى قوله تعالى: وإذا قرأ الذين آمنوا قالوا آمنا، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم، إنا في منشورون. فهؤلاء المناقنون حين عروا عن خطاب المؤمنين عروا، يقولون: آمنا، ومنى ذلك أن يباهم حادث ومتجدد، ولم يكن قبل دخولهم لكنهم عندما رجعوا إلى إخونهم، وخاطبهم، كان هذا الخطاب

(1) الساكن.
بالجملة الاسمية، إما معحكم، إما غير مستهلكين، وهذا يفيد استمرارهم، وثوابهم.

تعريف المسند وتنكره:

بينا من قبل أن التعريف قد يأتي في المسند إليه لغرض، وقد يأتي التنكر أيضاً لغرض، وكما يدخل التعريف والتكرير على المسند إليه يكونان في المسند، لكل مما فيه وجوه تحدث عنها البلاغيون، ولعل أول ما ساقون في هذا الصدد أن تعريف المسند يفيد تخصصه بالمسند إليه، وأنه حدث منه دون سواء، والفرق يظهر عندما يمثل للخبر، المسند، نكرة، وتمثل له وقد جاء معرفته. فحين تقول: زيد منطلق، نفيد المناطخ أن انطلاقاً حدث من زيد، ولم يكن المناطخ يعلم شيئاً عن هذا الانطلاق أصلاً، لكن حين تقول: زيد المنطلق، المناطخ سامعاً يعلم أن انطلاقاً حدث، لكنه لا يعرف من حدث. فمجرّد المسند إليه بهذه الصورة بين أن هذا الانطلاق كان من زيد ولم يكن من غيره، يقول عبد القاهر في الفريق بين الصورتين: والكتبة أبت تثبت في الأول الذي هو قوله: زيد المنطلق، فعلاً لم يعلم السامع أصله أنه كان، وثبت في الثاني الذي هو: زيد المنطلق، فعلاً قد علم السامع أنه كان ولكن لم يعلمه لزيد فأفادته ذلك (1) ويضيف عبد القاهر فرقاً آخر بين الخبر المنكر وغير المنكر، وهو أن الخبر المنكر يمكن أن يأتي بمثابة ثان وتشركه مع الأول بالعطف، فقول: زيد منطلق وعمر، أي وعمر منطلق أيضاً، لا يصح مثل هذا مع التعريف لأن التعريف في المسند كما يقصره على المسند إليه، والعطف يجعله مشاركًا له، ول هذا ما نرى من الاستحالة.

(1) دلال الإعجاز: 1971.
ويتضح هذا حين نقول: شوق هو القائل:

وطني لو شفيك بالخليد عنه نازعتي إليه في الخلف تشفي

فلو حاولنا أن نشرك مه غيره كان قلنا شوق هو القائل هذا البيت

وهناك، حاولنا استحيلًا.

ومن الأمور التي يفيدها تعرف المسند بالآلف واللام غير ما معنى. ما

نص عليه عبد القاهر صراحة في قوله: "واعمل أنك تجد الآلف واللام في الخليل

على مقتسي الجنس ثم ترلى له في ذلك وجوها، ثم يقول في بيان هذه الوجوه، وما

يكون بيتا من الفروق الدقيقة التي لا يتوصى إليها غير اللطف، ورهف الحس.

وأول هذه الوجوه: قصر مقتسي الجنس على المثير عنه لقصص المبالغة.

وذلك نحو قولنا زيد هو الجواد، وعمرو هو الشجاع. فماراد من هذا أن تخرج

الكلام على أن الجواد لا يتهم أن يكون من غير زيد، والشجاعة لا تكون من

غير عمرو، وذلك لعلم الاعتقاد بما يكون عند غيرهما لأنه لا يبلغ الدرجة التي

يبلغها عندهم. إنه نوع من القصر الادعائي الذي لا يردد به غير المبالغة. ومن

الواضح أنه يختلف عن ذلك النوع من التخصص الذي بسبخ الحديث عنه لكن

هذا النوع يشرك مع النوع الأول في امتتان المثل على الأشتراك. فلا يصح

زيد هو الجواد وعمرو. وإذا أردنا الجمع بينهما فلنا زيد وعمرو الجوادان.

التالى: قصر الجنس المبى على المثير عنه لا على المبالغة، وترك الاعتقاد

بوجوده في غيره. بل على دعوى أنه لا يوجد إلا منه، ولا يتحقق ذلك إلا إذا

قيدت المثير بشيء يخصه ويجعله في حكم نوع خاص، قاله بلاده. "كأن يقيد

بالوقت أو الحال. مثل قولنا: "هو الوقح حين لا تظن نفس نفس خيرا، فقد
قدنا الوفاء منه بأنه في الوقت الذي لا يفي فيه أحد من الناس نوعا من الوفاء.

ومثله قول الأعشى:

هو الراهب المائدة المصطفاء، إما محاضكا وإما عشاآ
فالخير في البيت: الراهب، ما يعتدى. وقد أشترط له مفعولا
خصوصا. والمعنى في البيت أنه لا يلب هذه الهيبة غير المدحو. وليست
اللام: في المائدة المصطفة كاللام أو ينثرها في نحو زيد المناط، من حيث كان
القصد إلى هيئة خاصة. كما كان القصد إلى انتقاء هيئة خاصة لأن القصد هنا إلى
جنس من الهيئات خاصة. لا إلى هيئة خاصة بعيدا.

والوجه الثالث: أن تقر الخير عنه على صفة من الصفات، وتجعلها ظاهرة
فيه متقاربة بحيث لا تكرر ولا تجاهل. وذلك على نحو ما جاء في بيت الخناسر:
إذا قمع البكاء على قبيل رأيت بكاءة الحسن أُقلَّب،
فهيه لم ترد أن ما عدا البكاء عليه ليس بحسن ولا جميل، ولم تقد الحسن
بشيء فيتصور أن يقصر على البكاء كمات قصر الأعشى هيئة المائدة المصطفاة على
المدحو. ولكنها أرادت أن تقره في جنس ما حسكونه الظهور الذي لا ينكوه
أحد، ولا يشكونه شاك (1).

وقد جاء من هذا النوع أيضا قول حسان:

وإن سيناء الجبل ينادى يا هاشم، بن رشمت محروم ووالدك العبد.
فقد أراد أن يثبت له العبودية، ويجعلها من الظهور فيه بحيث لا تكرر.
ولا يتعلق ذلك مع التكرر...

(1) دلائل الإعجاز: 199.
ومنه أيضا قول الآخر:

أسلوب إذا ما أبدعت الحرب كابتها في سائر الدنيا العيون المواطنة.

وقد يكون تعرف المسند إشارة إلى بلوغ المسند إليه في الصفة مبلغ الكمال. وذلك حين يتهم شيئا، ويتميز في خاطره جرى المعلم الممهد.

وكلمة كالجنس يكون المتأمل عندنا كما يقال: يعرف وينكر، وذلك في مثل قولك:

«هو البطل المحمي، وهو المتقي المرتجم، وأنت لا تقصد شيئا ما مضى، بل تريد أن تقول لسالم: هل سمعت بالبطل المحمي؟ وهل حصلت معنى الصفة؟ وكيف ينبغي أن يكون الرجل حتى يشتق أن يقال ذلك فيه؟ إن كنت قد عرفت ذلك. فهذه ضالك المشودة.

ويزداد وضوح هذا المعنى حين تكون الصفة التي يراد الإخبار بها عن المبتدا فيجرا عطوف كقول ابن الرومي:

هو الرجل المشرووك في جل ماله ولكنه بالمجيد والمحمدي مكرد ويعمل عبد القاهر على هذا البيت بقوله: وكأنه يقول للسالم: فكر في رجل لا تميز عفائه وجزائه ومعارفه عنه في ماله، وأخذ ما شايعته منه، فإذا حصلت صورته في نفسك، فاعلم أنه ذلك الرجل: ثم تضيف في بيان قيمة هذه النوع: وهذا فمن عجب الشأن، ولكه مكان من الفخامة والدليل، وهو من سحر اليان الذي تقصر العبارة عن تأديته حقه، والمحول فيه على مراجعة النفس، واستقراة التأمل (1).

(1) دلال الإجهاز: 200-201.

152
و يبدو أن جمال هذا النوع من تعريف المسند ، وما يضيفه على العبارة من
سفر ما يروي عبد القاهر ولهذا يكابر من الشيل عليه ، فإن أردت - كما يقول -
أن تسمع في هذا المعنى ما تسكن النفس إليه سكون الصادق إلى برد الماء فاستمع
قلوه :

إذا الرجل المدعو عاشق فقوله لى من تكاريته صروف زمان

فإن أردت أعجب من ذلك قولاً:

أهدي إلى أبو الحسين بذا أرجو الثواب بها لده إلهًا

و كذلك عادات الكريم إذا أولاً يبدا حسنت عليه بذا

إن كان يحسن نفسه أحد فلا أرمك ذلك الأسما

فكل هذه الأمور التي مثبت ، إنما تكون بتقدير شيء في الوعم ، وتصوره
في الخيال ، وتردده في الخاطر فإذا ما أحضرت صورة هذا الشيء آخر جرى
العلم . يقول عبد القاهر : فإذا كله على مبنى الوعم والتقدير ، وأن يصور في
خاطره شيئا لم يره ، ولم يعلمه ، ثم يجريه جري ما علم وعهد ، وبرى عبد القاهر
أن هذا الضرب الوعم أكثر ما يكون إذا جاء المسند موصولا : وليس أغلب
على هذا الضرب الوعم من الذي ، فإنه يجيئه كثيرا على أفك تقدر شيئا في
وهلم ثم تعبر عنه بالذي ، مثل ذلك قوله :

أخوين الذي إن تُذفَّتْ فيْليْمسَ

يَجْدَك وإن تَنْضَبْت إلى السيف يُفْضَّتِ

وقول الآخر :

أخوين الذي إن رَكِينه قال إنما

أرخت وإن عاهده لأن جايلته

104
وأما تجدر الإشارة إليه أن الموصل إذا وقع مسند أو مستند إليه، تكون فيه لطائف وإجابة وأنه يضفي على المواصفات نوعاً من الإيجاب جعلت عبد القاهر يعتقد له فضلاً خاصة يدأه بقوله: اعلم أن لك في هذين، علماً وأسراً جنة، وخفاياً إذا بيديت عنها وتصورتها، اطلعني على فوائد ترنيس النفس، وتجلج الصدر، بما يفضي بك إليه من اليقين، يؤديه إليك من حسن البيب، والوجه في ذلك أن تأمل عبارات فهم فيه: لم وضع، ولأي غرض أجبته، وأشياء وصفه بها (1).

أحوال متعلقات الفعل:

يقصد ب المتعلقات الفعل ما يرتبط به من الأمور التي تأتي في الكلام، وذلك كفاعل، والفعل به والحرف والجناز والمجاز وال хотел والمفعول المطلق والمفعول لأجل وغير ذلك من الأشياء التي تتصل به من ملابسات وتأتي هذه المتعلقات بعد المسند وما يكون عليه من أحوال، لأن المسند يكون فعلاً. ويكون الحديث في هذه المتعلقات مادة التكملة للحديث في المسند.

والحديث في أحوال متعلقات الفعل يشمل على ثلاثة أمور:

هي: 1 - أغراض تفيد الفعل
2 - حذف المتعلقات وذكراً
3 - التقدم والتأخير فيها.

وأما كان الحديث في حذف المتعلقات، وتقدم المتعلقات، وما يكون لها من أحوال في البلاغة مما سبق الحديث فيه فإنا نتقل إلى القارئ، إليه حشية الوقوع في التكرار (2)، ويأتي أغراض تفيد الفعل، وخصوصاً بالحديث في هذه السطور.

(1) دخل الإجماع: 113.
(2) انظر: التقدم والتأخير، والذكر والحدف.

100
لقد ذكر البلاغيون أعراض تعيد الفعل على وجه الإجمال بنوعهم: وَأَمَّا تعيد الفعل بمفعول وتلوه فلتيرة الفائدة. ومعنى ترية الفائدة تكثيرها. وكانتا حين ذكرت أحد هذه المعلقات تكير الفائدة في الجملة. فقولنا أكل محمد يفيق وقوع الأكل منه. لكننا حين نقول: أكل محمد التفاحة. تكير الفائدة من حيث نكفر عن نوع المأكول وأنا قالتا ليست برتقالة أو غيرها. وحين نضيف كلمة صاحبنا نكفر الجملة لأنها نبين أن الوقت الذي تم فيه الحدث. وهكذا في كل المعلقات.

لكن تكثر الفائدة يقيدنا أمورا أخرى يساعد السياق في بيانها والكشف عنها. وانقرأ قول الله سبحانه وتعالى: ۚ فَقَدْ مَكَرُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بِبَيَانِهِمْ عَنْهَا، فَخَرَّ عَلَيْهِمْ السَّقَفُ مِن فُوقِهِمْ، وَأَتَاهُمُ الطَّالِبُ مِن حيث لا يَشْعُرُونَ (1) فَفَنَّى حَيْثُ قَرَأَ الْآيَةُ نَعَفَ أنَّ السَّقَفَ حَيْثُ يَخْرُجُ سُكُونُ مِن فُوقِهِمْ. لَكْنَ ذَكَرُ الْجَارُ وَالْحُجَّرُ عَلَى الْعِبَادَةِ بِجَاهٍ يَؤَكِّدُ الفَعْلُ وَيقْوِيِّ الْحَدِيثَ.

ومثل ذلك في إضفاء التفريع والتقوية قوله تعالى: ۖ ذَلِكَ قَوْلُكم لِأَقْوَاهُمَّ (2). فقد جاء الجار والجُرُور قريبا للفاعل، ولو لم تذكر لفهم المعنى. فالقول لا يكون إلا بالأفعال. لكن ذكرها أكد الفعل. ومنها يأخذ لمل هذا الفرع قولنا. سمجه بأذني، ورأيته بيني، ووضعته بيدى، ونحو ذلك من الأمثلة.

ويحصل بأحوال متعلقات الفعل الحديث عن معاني الحروف الجامحة حين تتعلق بهذه الأفعال، ونجد للبلاغيين والمفسرين لفتيات متتالية تكشف عن معاني
هذه الحروف، وارتباطها بالواقف التي جاءت تعبر عنها. ونشر إلى حسناء
اللغز، في هذا السهم. فهو (1) حين يتناول قوله تعالى: "إذًا للناس
عجبا أن أوجهنا إلى رجل منهم" (2) يقول: وإنقل قلتك، فما معنى
اللام في قوله: أكان للناس عجبا؟ وما هو الفرق بين أولئك أكان عند الناس
عجبا قلتك: معناه أنهم جعلوه لهم أعجوبة يتعمرون منها، ونضروا علمًا لهم
ويجرون: نحوه استرواهم وإنكارهم وليس في "عند الناس" هذا المعنى.
وأعجب الجبر باللام في قوله تعالى: "إن الذين سبقت لهم منا المسئئي
أوفك عنا ميدعون" (3) قوله تعالى: "ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
الرسولين" (4) كان مناسبًا لسبق مبانيهم، لكن الأمر يختلف حين يكون التقيد
فتعلو في قوله تعالى: "وأملك إلا من سبق عليه القول ومن آمن" لأنه تفيد
أيمن القهر والاستغلال.

تقييم الفعل بالشرط:

وأما عنى به أهل البلاغة تقييد الفعل بالشرط، واهتموا من بين أدوات
الشرط بإذا وإن ول. وكأنهم لاحظوا أن هذه الأدوات الثلاثة لم تأخذ ما يجب من
العبادة، أو أن فيها ما يمكن أن يقال بعد الجهود الطيبة للنهاية فيما يتعلق بأدوات
الشرط.

ولقد كان عبد القاهر - كأعرف عنه - لماهـ. فقد أدخل الخروف في
النظم، وجعلها جريًا منه، فليست مجرد أدوات ربط، أو كما أعرفها النجاة لا

(1) الكفاح، ص 24، 242.
(2) مسال: 3
(3) الأحاد: 1911
(4) الصلات: 171

157
يظهر لما معنى إلا مع غيرها. إن معرفة الحروف، وما/يشترك فيه بعضها من المعاني، وما/يختلف فيه من الأمور التي يجب النظر إليها في حسن نظم وبلاغته فيجب أن ينظر في الحروف التي تتشترك في معنى، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى فيضع كلا من ذلك في خاص معناه، ومن بين هذه الحروف إذا وإلي وإن والمعنى الذي أطأ في هما وإلي هو ما يترجع أن يكون أولاً يكون، أما إذا فأتأ فيهما علم أنه كان 1) وحين تحدثوا عن أخضاع تسبيح الفعل بالشرط أدركوا أن ذلك يكون لاعتبارات لا تظهر إلا عندما تعرف الفروق بين أدواته وقد أكمل علماء البلاغة بما ذكر النحلة في الأدوات ما عدانا وإن، وإذا ولد. وقد تابع البلاغيون عبد القاهر فينوا إن إذا وإن للشرط في الاستقبال، لكنهما يفترقان في شيء وهو أن الأصول في إن، لا يكون الشرط بيا مقطوعاً بواقعه. كأن تقول لصاحبك: إن تكرمتي أكرمك - وآت لا تقطع بأنه يكرمك، لكن الأصل في إن، أن يكون الشرط بيا مقطوعاً بواقعه. كأن تقول: إذا زالت الشمس آتيك.

وقد لا أحتظوا من خلال ذلك أن الحكم النادر يكون موقعاً لأن لا لأنه غير مقطوع بواقعه في غالب الأمر. كما لا حظوا عليه لفظ الماضي مع، إذا لكونه أقرب إلى القسط بالواقع نظراً إلى النظ. قال تعالى: "فإذا جاءهم الحسنة قلوا لنا هذه، وإن تصميم سبعة بطولوا بوسو ومن موهب (1) في جانب الحسنة جاءت إلا، لأن الحسنة مقطوع بها، ولم يحدث هذا في جانب السبعة. إن جاءت إلا لأن السبعة نادرة بالنسبة إلى الحسنة المطلقة - ولذا تكون 2).

1) دلالة الإصرار.
2) الأعراف 121.
3) فقه الإيضاح 188.
4) 108
ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها. ﴿(1) وقد جعله للنوعية إنكارا إلى لفظ الإذاقة، (2) ﴿وجعله للغيل نظرا إلى لفظ الإذاقة كما قال أقرب ﴿(3).

وقد يعرض بأن: ﴿وإذا مس الناس ضر ﴿(4). وذلك لا ينسق مع الآتيين السابقين، كما جاء على هذا قوله تعالى: ﴿وإذا مس الشر فنَذِعِ ذُي عَرَضٍ ﴿(1) وقد أوجب عن الآية الأولى: ﴿فَأَمَّنَّا ﻟَهُ أَسْقَى وَلَهُ ﷺ وَهُوَ شَيْءٌ ﻲَضُرُّ ﴿(5) فنذى ذلك تكره. وأنه يصيب بعض الناس المجتهدين لذلك، ومساو تهوي قليل من الشر لأمثال هؤلاء في حكم المقطع به. ومثل ذلك يقال في الآية الثانية. إذ جاءت في أعماق قوله تعالى: ﴿وإذا أنتموا على الإنسان أعرض وتتأين بجانبه، وإذا مس الشر فنذى دعاء عريض ﴿(6) إن الآية في صدرها تتحدث عن أناس جعلوا نعمة والإلهي، وأصابهم النعمة بالصفة والغروب، ولم يذكروا حق المنعم عليهم، وحق هؤلاء أن يسمهم من الشر. لعود لهم أحلامهم الضالة، وترجع إليهم عقولهم/المبية، ويذكروا نعمة المنعم عليهم، إن من الشر هؤلاء في حكم المنعم به وهنا ناسب التعبير عنه ﴿(9) فإن أدرك علماء البلاغة دقة التعبير ﴿(8) رأى، وإذا ﴿(7) وما يناسب المواقف من هؤلاء الآتية ﴿ففصلوا الفول فيما. كما أشارنا إلى ما يقع فيه البعض من الخطأ لجهله بواقعهما. يقول الرغوري ﴿والمجهل يوجد ﴿إن

(1) الرمية: 168، (2) سنة الإيضاح: 188، (3) الرمية: 232، (4) السنة: 151.
وإذا - يزعم كثير من الخصبة عن الصراب فيغطسون، إلا ترى إلى عبد الرحمن بن حسان كيف أخطأ بما الموقع في قوله يتلمذ بعض الولاة، وقد سأله حاجة قلم يفنها ثم شفع له فيها قضاها:

ذَمَّرتِنَا وَهَتَحَرَّبْتُمْ، أَدْرَكْتِمْ خَانِيْتُمْ تَوَلَّى سَوَامِكَ أُمْرُهَا وَاصْطِنَاعُهَا.

أَيُّكَ كَبْسٌ الْحَمْدَ رَأَى مَفْضِرٌ، وَنَفْسٌ أَضْقَاقِ اللَّهِ بَالْخَيْرِ بَاعِهَا عَصَاها، وَإِنْ هِيَ هَمَتْ بِشَرٍّ أطَاعَها.

إذا هي حشته على الخير مرة، والرجل يجه، ولا يناسب مواقيح الهجاء أن يكون للمهجو نفس حتى عليه الخير، أي أن يكون ذلك منها في حكم المقطع به، وأن يكون هذا بالشر في حكم غير المقطع به. وهذا قالوا أو أنه عكس لأصاب.

وإذا كان هذا هو الأساس في استعمال كل من - إذا وإن - فإنه قد تأقِب إذا تتحمل في مقام القطع بوضوع الشرط لفريد من الأغراض يستدعيا المقام - كالنحاس، أو تفقيط العالم بالشيء منزلة الجاهل به لعدم جريه على موجب العلم. وذلك كقولكم: من يؤذى أبيه: إن كان أباك فلا تؤذه، أو التوبيخ على الشرط، وتصوير أن المقام لاشتياله على ما يقلقه من أصله لا يصلي إلا قرفه كما يعرف الحال لفريد، كقوله تعالى: «أَفْتَضَرِبْ عَنْكَ الذُّكَرِ صَمِحًا إِنَّ كُنْتَ قُومًا مُسْرِفِينَ» في قراءة ه ٥ بالكسر.

أو يكون الفرط تغليب غير المتصرف بالشرط على المتصرف به. أي تغليب المشكوك في أتساءله بالشرط على الجواب بتائبه به، وذلك كقوله تعالى:

إِنَّ كُنْتُمْ فِي رِيبٍ مَا نِزلَنا عَلَيْكُمَا.» فقد قالوا إن جمه شرط وإن يجعل أن يكون التوبيخ على الرية لوجود ما يقتله من أصلها، ويشمل أن
يكون للتغليب غير المرتادين من الخاطفين – على المرتادين منهم، فإنه كان فيهم من يعرف الحق وينكره عنادًا (1).

وأما يقولون - لأدنى ملاءسة ينهر البلاغيون فرصة تفسير الآية السابقة على التغليب، ويلحدون في هذا الفن - على الرغم من أنه يعد من فنون البديع.

ويقولون: إن التغليب باب واسع، يجري في فنون كثيرة. كقوله تعالى: 

«اتخذهما يا شعب، والذون آمنوا معك من قريتنا، أو ليعودن في مكنتهما». قلما يكن شعب على السلام في ملتهم أصلاً، لكمهم ذكروا عودته على التغليب وملته قوله تعالى: 

«إن عدنا في ملككم». وقوله تعالى: 

وكتاب من الفواتين، فقد غلب جميع المذكور.

ولما كانت إن وإذا لتطليق أمر بغيره، أو تعلم الجواب بالشرط، وهذا لا يأتي إلا في الاستقبال، اعتبر في كل واحدة من جملتهما الشروط، أي أن تكون الجملتان اسمين لأن الاسم للثبوت، كما اعتبر في أفكارهما اللتين، أي لا يصح أن يكون الفعلان ما ضئلين لفظاً ومعنى، لأن ذلك يتافق كونهما للمستقبل، لكن هناك صورة جاء فيها الشرط ماضياً لفظاً ومعنى وقد حاول النحاة تخريجها.

لكن الأصل إن يقال: إن تكون أكرمك، فإن كنت إن تكونين، 

أكرمك كان جميع الجواب ما ضئيل إشارة إلى الرغبة في حصول الشرط.

وعلى الجملة إن كان الجواب ماضيا كان وراء مغية للبلاغي وذلك نحو قوله تعالى: 

«ولا تكرهوا قياداتكم على البقاء، إن أردنا تحتنا» فإن الأصل إن برننا، لكن جميع بلغة الماضي للرغبة في أن يكون ذلك واقعاً. وقد يكون

(1) جمه الإيضاح : 190 – 191.
السبب في ذلك التعريض كقوله تعالى: «فَلَنَّ أَشْرَكْتُ لِيُحبَطَ عَمُولِكِ» وقوله تعالى: «ولكن اتبعت أهواك من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا من الظالمين».

أما «لو» فهي للشرط في الماضي مع القطع بانتقاء الشرط. فيلزم انتفاء الجواب. وقالوا إنها امتاع لامتاع. ويلزم كون جملتها فعلتين، وكون الفعل ماضيا. وما جاء من دخولها على المضارع إلا إذا كان لسر بلاغي. وذلك كما نجد في قوله تعالى: «فَلَوْ يَطَيعُكَمُ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَزِيمٌ» فقد عللوها لذلك بأنه لقصد استمرار الفعل فيما مضى وقتا قوى.

ودخولها على المضارع في قوله تعالى: «فَلَوْ تَرَى إِذْ يَمْخَرِمُونَ مُوقِوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّهُ نُزَلَ مَيْلَةُ الْمَاضِيِّ لِصِدْرُهُ عَمَنْ لَا خَلَافِهِ يَحْبِرُهُ. كَأَنَّ نُزَلَ بُدُورٌ، فِي قُوَّةٍ تَجْعَلُهُ يَكُونُ الْمَحْبُورُ».

وهكنا في كل موضع «وَلَى» المضارع: «لو».
الفصل والوصل

بعد باب الفصل والوصل من أدق أبواب البلاغة لما يقضيه من معارف أخرى في اللغة وقد أشاد البلاغيون والأدباء بأهمية هذاباب، وعندما ضاعبلاغة، وما أكثر من الجاحظ وهو يتحدث عن البلاغة، قال على لسان بعضهم؛ البلاغة معرفة الفصل من الوصول أو معرفة الفصل والوصل.

وبعده عبد القاهر الجرجاني من أسرار البلاغة، ومن الأمور التي لا يلم الصواب فيها، وإصابة الغرض إلا للخليص من العرب. أو كما يقول: (كأعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها، وإنما ما من فائدة تستأنف واحدة منها بعد الأخرى من أسرار البلاغة، وما لا يأتي قلم الصواب فيها إلا للأعراب الخليص، والقوام طبعاً على البلاغة، وأؤثروا فإن من المعرفة في ذرى الكلام هم بها أفراد).

وعلى أي حال يميز هذا باب بلطف المدخل، وثقة المسلك، ومعرفة وجه الكلام، وما يكون عليه من الاتصال أو الانفصال.

تعريف الفصل والوصل:

يعرف البلاغيون الوصل بأنه عطف الجمل بعضها على بعض بالواع خاص، ويكون الفصل هو ترك العطف.

وحتى في ضبط هذا الباب، والغلب على ما يكون فيه من دقة المسلك، تلك التي أشار إليها البلاغيون بحسن أن نضع في البداية بعض الأسس التي تساعدة.
في التغلب على مشكلاته. وأول هذه الأسس: ما يقوم به الملف في المفرد، لأن
ما يجري على المفرد يجري على بعض الجمل.

وما يؤديه الملف في المفرد هو إشراك الملف في الحكم الذي جرى على
المفعول عليه من حيث الإعراب. فحين تقول قعد محمد وعلى ملك على
المفعول على مما كان عليه الملف عليه، وهو محمد في الحكم الإعراب خاصة.
ولما كان الأول مرفوعًا على الفاعلة، فإن الثاني يكون مرفوعًا كذلك على
الفاعلة.

وإذا قلنا رأيت زينا وعمرًا، فقد أشركنا عمرا في الحكم الإعراب الذي
كان لزيد وهو النصب على المفعولة.

ثانيًا: أن من الجمل ما يكون له محل من الإعراب، ومنها ما لا يكون له
محل من الإعراب، فالجملة التي لها محل من الإعراب. مثل: جملة صفة، والخبر،
والحال، وأنواع التوابع، والجملة التي لا محل لها من الإعراب. كجملة الصلة،
والجملة الاعراضية.

ثالثًا: حروف الملف ليست كلها قاصرة على مجرد إشراك الملف في
الحكم الإعراب، للمفعول عليه. فكل حرف من حروف الملف له متى آخر
بلا الوارو، فإن عملها قاصر على مجرد إشراك الملف في حكم المفعول عليه.
[قاله] مثل: تفيد الترنيب والتحقيق، [وهم] تفيد الترنيب مع الإعرابي، وأو
مفيد التعيين. ومن هذا يكون العطوف بأي من هذه الحروف لفائدة زائدة على
عجر الإشراك في الإعراب، فحين تقول: أعطان فشوكته يكون الشكر تايليا للطاعة
وفي عقبه، وفي قوله تعالى: {فدعنا ربه أن مولوب فانتصر، ففتحنا
أبواب السماء جماه منبه،} يكون فتح السماء تايليا للدعاء وطلب النصرة دون
أدى تراخ يختلف في تقييد الصرف فالتوبة مع مهلة. كأنا نقول زاريدي الضيف ثم

ذهب.

وإلى هذه المقدمات يكون أن تقرر أن العطف بأن من حروف العطف الأخرى غير الواو لا يشترك الأمر فيه. وأن العطف على الجمل التي لها حرف من الإعراب بالواو لا يشكل الأمر فيه كذلك. لأن الحكم في هذه الجمل كالحكم على المرد في العطف، أي أننا نريد إشراك الجملة الثانية في حكمها الإعراب. لكن الاضرب الذي يشكل الأمر فيه هو عطف جملة أخرى على الجمل العارية من الإعراب بالواو خاصة. كقولك: زيد قام وعمرو قاعد والعلم حسن والجهل قبيح فلا سبيل لنا إلى أن ندعى أن الواو أشركت الثانية في إعراب وجب للوائحة بوجه من الوجوه. وإذا كان كذلك وينبغي أن تعلم المطلوب من هذا العطف، والمغربي منه، في ما لم يستو الحال بين أن تعطف وأن تدع العطف، فقول: زيد قام عمرو قاعد. بعد أن لا يكون هنا أمر متعلق بوقت بالعطف ليشترك بين الأول والثاني فيه (1).

والأمور التي تسوق عطف مثل الجملتين السابقتين بالواو أن بينهما سببا، لذلك لأن المذهب عنها غيرها، بيد وعمرو، كانظيرين والشريكان وإذا عرف السامع حال الأول بينما عنه أن يعرف حال الثاني. ويدل على ذلك أنهم يعبون أن يتم عطف جملة على أخرى لا يوجد سبب بينهما. فلا يصح مثلًا أن نقول: خرجنا من منزلنا والمبنى هو قاتل هذا البيت، إذ لا علاقة بين خروجنا وبين أن يكون المبنى هو قاتل البيت، وما وجدوه معينا هذا السبب قول أي قام:

(1) دلائل الإعجاز: 420 - 231.
لا والذي هو عالم أن النوى صير وأن أبي الحسين كريم.
وذلك لأنه لا مناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة الدوى، ولا تتعلق
لأحدهما بالآخر، وليس يقتضي الحديث بهذا ذاك؟ ١.
فأول المسوغات للفعل جملة على أخرى هو وجود سبب بين المحدث عنه.
فيهما على نحو ما كان بين زيد وعمرو من كونهما كالظهرين أو الشريكين.
بالإضافة إلى اتفاق الجملتين في كونهما خبرتين، ومن جهة أخرى ينبغي أن
يكون الخبر عن الثاني لذا يجزي جرير الشبيه والنظر أو التنقيض للخبر الأول، أو
أن يكون بين الخبرين صلة ما سواء كانت عن طريق التناظر أو التنقيض، أو مما
جرت العادة بالجمع بينهما، فلا الحال للقول مثلا: زيد لطول القامة وعمحمد.
الشاعر. إذ لا صلة بين طول القامة عند هذا، وصفة الشاعرة عند الآخر.
والخلاصة أنه لا يصح عطف جملة على أخرى ما لم تكن بينهما مناسبة، أو كما
يقول عبد القاهر: "نجمة الأمر أنها لا تمييز حتى يكون المعنى في هذه
الجملة أُفقاً لمعنى في الأخرى، ومضافا له، مثل أن زيدا وعمرا إذا كانا
أخوين أو نظيرين، أو مشتبكي الأحوال على الجملة، كانت الحال التي يكون
عليها أحدهما من قيم أو قعود أو ما شاء ذلك مضمومة في النفس إلى الحال التي
عليها الآخر من غير شك، وكذا سبيل أبداً. والمقالة في ذلك كالأشخاص،
فإذا قلت مثلا: العلم حسن والجهل قبيح. لأن كون العلم حساً مضموم في
العقل إلى كون الجهل قبيحا؟ ٢.
وأما يزيد الربط بين الجملتين بالقول ولا يثقف عنه فيهما واحدا، وذلك كقولنا: هو يعني ويمنع. ولا يلبق ترك الوالد لأن تركها يوهيم الرجوع عن الفعل الأول. وبين عبد الناصر أن وقع الفعلين في الفعلين في بذل رأي واشتراك والاقتراح بينهما، حتى لا يكون نصير إكراد أو تأريحا عن الآخر. وذلك في مثل قولك: الحج من أن أحسن ونفس، ويكفيك ما فلت وصمم، وأيام أن تبنى عن خلق وسبقى. وذلك أنه لا يشبه على عاقل أن المعنى على جعل الفعلين في حكم واحد (1).

ومن الأمثلة التي يضح فيها هذا الارتباط قول الشاعر:
لا تطمعوا أن سبيلونا وتكتكم في الفعل. وأن نكف أذى عنكم وتنصوتا. في البيت، لا تطمعوا أن تروا منا إكراما مع إهانكم لنا، كما لا تطمعوا أن نكف أذانا عنكم، وأذاكم لنا مستمر وموضوع.

ومن الدقيق الذي يعد به في هذا المعنى قول أبي تمام:
فكان علينا أن نقول: وتفصضا، وذكر بعض الفضيل منك وتفضلا، وأبو تمام هنا يمدح. وصف مموجه بأنه يفعل في الوقت الذي يقولون فيه، ويفضل بالنين والمكرمات، وهم يذكر الها بعض هذه المثنى والمكرمات.

وإذا كنا قد عرنا أن العطف بين الجملتين يتألق عندما يكون برهنًا صلة من الصلات التي سبق الفعل فيها فإنه يحسن بيان المواضع التي يتم فيها الفصل.

(1) السابق.
وأول هذه المواضيع أن يكون بين الجملتين اتصال فالماب أن تكون الثانية في موضوع الصفعة للأولى، أو توكيد أو بيان لها. فحينما يجب الفصل بينهما لأن الوصل بالراو يكون كمطاف الشيء على نفسه.

وإذا كانت الصفعة في المنفرد لا تعطف على موصوفها، والمؤكّد لا يتعطف على المؤكد، فالأمر كذلك في الجمل أيضاً.

وما جاء من الجمل مفصلًا لأن الجملة الثانية كانت تأكيداً للأولى قوله تعالى: {فَأَرْىَهُمْ}، وذلك الكتاب لا يرى فيه قولته تعالى: {فَلَا رَبِّ فِيهِ}. بيان وتحقيق وتوكيد قوله: {فَذُوقُ تَوْكِيدَهُ}، وهي بمثابة التوكيد اللغظي الذي يكرر فيه اللفظ، وكأنه قبل ذلك الكتاب ذلك الكتاب.

ومن هذا النوع أيضاً قوله تعالى: {فَإِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سوَاءٌ علَىٰ أَنْذَرُهُمْ أَمْ لَتَذَرُّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَمْصَ اللَّهِ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ، وَعَلَىٰ سَعْمِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غَشَاشَا، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}.

ففي الآية المكرمة حدث الفصل في جملتين الأولى {لا يؤمنون} التي كانت تأكيداً لقوله تعالى: {فَسَوَاءَ علَىٰ أَنْذَرُهُمْ أَمْ لَتَذَرُّهُمْ} وإلى الثانية: {خَمْصَ اللَّهِ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ، وَعَلَىٰ سَعْمِهِمْ، وَهِيَ تعَدُّ بِمَثاَةٍ}.

ومن الأمثلة التي جاءت الجمل فيها يغير وصل لأن الجملة الثانية وقعت موقع التوكيد لأولى، قوله تعالى: {فَوَإِذَا تَتَّبَعُونَهُ أَيَاتِنا وَلَا مَسْتَكِبَرَا كَأَنَّ هُمْ لَا يُسْمَعُونَ} وإن يقول: {كَأَنَّ هُمْ قَدْ قَالُوا}. لأن المقصود من التشبيه يكون في أنثى وقر، هو نفس المقصود بالتشبيه بن لم يسمع فالمشى.
فهما نفى أن يكون لنازلة الآيات فائدة، أو تأثير. وكان حالته قبل أن تَتَلَّى عليه مثال حاله بعد تلاوتها.

وقد ذكر عبد الفاهم الجزري كثيرًا من الأمثلة، وبين الوجود التي اقتضت الفصل بين الجمل، وهم هذه الأمثلة ما وجد عند الوصل فيه إما لأن الجملة الثانية تصلح لأن تكون توكيداً للأولى، وتصلح أن تكون صفة لها، فهو يقول: [.*?) ومن اللطيف في ذلك قوله تعالى: [.*?) ما هذا بشرأ إن هذا إلا ملك كريم. فالجملة الثانية [.*?) إن هذا إلا ملك كريم [.*?) مشابه لقوله تعالى: [.*?) ما هذا بشرأ [.*?) من ثلاثة أوجه—حسب قوله—وجهان هو فيما نفى فيه بالتركيد، ووجه شبه بالصفة.

أما الوجهان الشبيحان بالتركيد، فالؤول أنه إذا كان ملكاً لم يكن بشراً، وإذا كان كذلك كان إثبات كونه ملكاً تحقيقًا لا مثالة، وتأكيداً لنفى أن يكون بشراً.

والوجه الثاني يفسره بحسب ما يجري في العرف والعادة من أنه إذا قيل: ما هذا بشرأ، وما هذا بآدمي، وما هذا تعظيم وتعجب بما يشاهد في الإنسان من حسن علم أو عقل، أن يكون المراد من الكلام أن يقال إنه ملك، وما دام ذلك مفهومًا من اللظة، فإن أن يذكر، يكون ذكره بِنَتَائِج التَكِيْد.

وأما الوجه الذي هو شبه بالصفة، فهو أنه إذا نفى أن يكون بشراً، فقد أثبت له جنساً آخر ينتمي إليه، لأنه من المستحيل أن يخرج شيء من جنس ولا يدخل في آخر، وما دام الأمر كذلك يكون ذكر هذا الجنس بِنَتَائِج التَكِيْد والثنين.

(1) دلال الإعجاز: 232 - 237.

179
وأما جاء منفصولاً بين الجملتين لوقوع الثانية موقع التوكيد من الأولي قول
أبي العلاء:
"كان آذني أعطت قلبي خيرا عن السماء بما يلقي من الغير يبحر الريف وطاف الرياي وهي نازرة فيليب الجري نفسي الحادث المكرر"
وأما جاء كذلك لوقوع الثانية موقع البند من الأولي قوله تعالى:
الله.
قالوا مثل ما قال الأولون، قالواạchلا متنا فقد فصل حملة قالوا أذنا
مثناً لأنها بدل أشتلال من الجملة الأولى. ومنه أيضا قوله تعالى:
"أمديكم بما تعلمن، أمديكم بأنعام وحنين وجنات وعيون« نجملة
أمديكم بأنعام بدل بعض من حملة أمديكم بما تعلمنو. وتحدث الفصل بين
الجملتين إذا كانت الثانية في موقع بدل الأشتلال من الأولي مثل قوله تعالى:
"إنما يوحنا الإبلين انبعوا من لا يسألكم أبأروهم مهتدون« نجملة انبعوا
من لا يسألكم أبأروهم بدل أشتلال من حملة انبعوا الإبلين، وهي أكثر بياتا في حمل
المفردات على اتباع الرسول، وقد جاء من بدل الأشتلال في الفصل قول الشاعر:
أقول له ارحل لا تقيم عندنا وفلك في السر والجلهر مسلم
نجملة لا تقيم بدل أشتلال من حملة ارحل، وهي أدل على الفرض،
وبرعاية لاشتلالها على التوكيد.
وإلا إذا كان الاتصال الناحماً يوجب الفصل بين الجملتين، فإن الانقطاع
النام يحمي الفصل أيضاً ذلك لأن العطف يقطع المشاركة، والمشاركة لا تصح بين
الأمور التي لا توجد بينها صلة على نحو ما أسألنا القول.
ويمثل الانقطاع الناحم بين الجملتين في أمور:

١٧٠
1 - اختلافهما في الخبر والإنشاء، بأن تكون إحداهما خيراً والأخرى إنشاء سواء كان ذلك في اللفظ والمعنى. كقوله تعالى: (فإياك نعبد وإياك نستعين أهدنا الصراط المستقيم) وقوله تعالى: (وأفسطوا إن الله يحب المستقيمين). وقول الشاعر:
لا تسأل المرء عن خلقيه في وجهه شاهد من الخبر.
فمن الواضح الاختلاف بين الجملتين في الخبر والإنشاء في اللفظ والمعنى.
وقد يكون الاختلاف بينهما في الخبر والإنشاء في المعنى فقط مثل قولنا: نجزي فلان وفقه الله. ومنه قول الشاعر:
جري الله الشمائد كل خير عرفت بها عدوى من صديقى.

2 - آلا يكون بين الجملتين مناسبة، كأن تقول: استيقظت مبكراً.
وعبد شاعر أو قول الشاعر:
إنما المرء بأصغربه
كُل أمريِ رهنَ يأله
وقد سبنت الإشارة إلى أنهم عابوا قول الشاعر:
لا والذي هو عالم أن النوى صير وأن أبا الحسن كريم
وذالك لأنه وصل بين الجملتين وليس بين كرم أبا الحسن والنوى صلة أو مناسبة، حسب قوته.

3 - ويجمع الوصل بين الجملتين أيضا إذا كان بينهما شيء كالاتصال.
والضابط لهذا أن تكون الجملة الأولى بملونة السؤال للثانية. ومن خلال تسمية هذا النوع يتضح أنه غير كالأتصال، لأن كالأتصال يكون الاتصال بين
الجملتين قوياً والصلة بينهما جليّة، بل قد تكون الثانية عين الأولى، وليس الأمر على هذا الشكل هنا، فمجرد ما بين الجملتين في شبه كيال الاتصال أن الجملة الثانية فيها نوع من الإبادة كما أثارته الأولى، وعبارة الخطيب تبنيه عن هذه الصلة فهو يقول: وأما كونها بمزحلة المتصلة بها فلكونها جواباً عن سؤال أقتضته الأول، فتقول منزلته ففصل الثانية عنها كما يفصل الجواب عن السؤال (1).

ويستد السكاكى بالفكرة حيث يذكر لنا أن الجملة الأولى بناها كالمورد للسؤال. فتنزل منزلته في الواقع، أي تصبح كأنها سؤال في الواقع، ويطلب بالناقد جواب لهذا السؤال. ومن هنا يقطع عن الكلام السابق، ويفصل. وتنزل السؤال بالفحوى منزلة السؤال في الواقع لا يصار إليه إلا جهات لطيفة بينها السكاكى، وذلك حين يقول: وتنزل السؤال بالفحوى منزلة السؤال لا يصار إليه إلا جهات لطيفة، فيكون لسبيب السامع إلى موقعه، أو لغايته عن أن يسأل، أو لثلا يشع من شيء، أو إلا يمكنه كلامك بكلامه، أو للقصد على تكوين المعنى بتقليل اللفظ وهو تقدر السؤال (2).

ولم تكن هذه الفكرة غائبة عن نظر الإمام عبد القاهر. فقد أوردته.

واكثر من التفهيم عليها فصحته عن القطع في الآية الكريمة: في الله يستذهرون بهم، ويبذلهم في أحقائهم بعمهم، على الرغم بما ي لهم الظاهر من أنه يمكن الوصول بحيث سبق ذكر الاستذاء في قوله لقومهم: في إنا معكم إنما نحن مستوفون (3). وعبد القاهر نبين أن مواضع الفصل تلبس بمواضع الوصول في مثل ذلك وتدق على غير البصیر العارف، يقول: واتبع أنه ما من علم من علوم البلاغة أن تقول إنها خفّى غامض، ودقى صعب، إلا وعلم هذا الباب (4).

---
(1) الإجابة: 91.
(2) متاح العلم: 110.
(3) 172.
أحفض وأخفي وأدق وأصعب، ثم بين أن منه ما ترى الجملة وحالتا مع التي قبلاً حال ما يطعف ويغرن إلى ما قبله، ثم تراها قد وجب فيها ترك العطف لأمر عرض فيها صارت به أجنبية عما قبلها؛ ومن خلال يانها ما استدعى أن يفصل بين جملة الله يستهزى بهم وهم في طفظهم يعمون بين تلك الحالة التي تتحدث عنها وهي احتلال الجملة الأولى، وإنها للاستثناء وإذا كان رفع الكلام بعد السؤال الصريح يقضي الفصل بينه وبين السؤال، فكل ذلك الأمر مع السؤال بالخيل. يقول: وإذا استقرت وجدت هذا الذي ذكرت لك من تزحلب الكلام إذا جاء بعقب ما يقضي سؤال متلنه إلا صرح بهذا السؤال كثيرًا، فمن لطيف ذلك قول:

زعم العوازل أتى في غمرة صدقوا ولكن غمرق لا تجد

عندهم تحديد العوازل قال بين إنه في غمرة، وكان ذلك مما يحرك السامع لأن يسأل فيقول: فما فوالك في ذلك؟ وما جوابك عنه؟ أخرج الكلام مفرزه إذا كان ذلك قد قبل له وصار كأنه يقول أرد عليهم يقول: صدقوا، فأنا فعالوا.

ولكن تلك الغمرة لا تكشف عنها ولا تزول.

ومن الأحثة التي ذكرها عبد القاهر على هذا النوع قول جنبب بن عمار

ابن نعم الطائي:

زعم العوازل أن ثقة جنبب بن عجب غريبة وأُجمِّعت

كذب العوازل لو رأين متائكنا بالقياسية إلتها لعج وذلت

ولا يترك عبد القاهر الأمر دون أن يذكر إضافة إلى أمر القطع لتأثير الكلام الأول لسؤال في ذهن المستمع. بل يضيف إليه فائدة أخرى وردت في البيتين

(1) دلائل الإعراب: 237 - 238.
السابقين، وهو أن الشاعر حين وضع الظاهر موضع المضمر قال: كذب الموافق، ولم يقل كذبوا، راد بهذا الأمر تأكيد الفصل.
وأما هو لطيف في تحريك السؤال في نفس السامع، وجرى الكلام مفصولاً غير موصول قول البسيط:

ملكته خليل ولكم ألقاهاeroxمذعلاني غاربي
وقال إلى في الموهوب كاذب: انتقم الله من الكاذب.

فقد استنكر في جملة: انتقم الله من الكاذب؛ لأن الجملة الأولى:
وقال إلى في الموهوب كاذب: حركت السؤال في السامع وكأنه قال له. وماذا قلت له؟ فأجاب قلت: انتقم الله من الكاذب.

وذكرك عبد القاهر أن من النادر قول الشاعر (1):

قل لي كيف أنت ... قلت عليل: سهر دائم وحزن طويل.

وهو يفسر ذلك، ويكشف عن ندرته، وموقع الحسن فيه، بما جرى في العادة من أنهم إذا قالوا للرجل: كيف أنت؟ وقال: عليل، أن يطرحو عليه سؤال يقول: وما علتك، أو ما بك؟ وآمنًا قدر أن ذلك يكون منهم أجاب عليه بقوله: سهر دائم، وحزن طويل، وكعادة: عبد القاهر، يكرر من الشاهد، وبين سب الاستشهاد به، ويتمر الفرضية ليكشف عن فائدة هذا أو هناك، أقتضتها العادة، أو دعا إليها الغرف، أو حلمتها طبيعة نسق الكلام على نحو تمريعه في ذكر السؤال بعد السؤال الصريح والسؤال المقدر فهو حين يمثل يقول:

(1) الساء: 2482

174
وما عفت الرياح له محلا عفاة من حذا بجم وساقا بين لماذآ غير السؤال. وأن الذي أثاره ذلك النفى. فمن عادة أنه إذا نفى الفعل عن واحد أن يقال فس فنله. وحين نفى المتنى أن تكون الرياح تسبب في عفاء المحل فقيل إذا لم تكون الرياح هي التي فعلت ذلك، فمن عساك يكون قد فعله. فكان الجواب على هذا السؤال المحتمل، وقد جاء مفصولا.

ومنها أيضا قول الأوليد بن يزيد:

عرف المنزل الحالي عفا من بعد أحوالى عفاة كل عاش. عرسون أولى مطلال.

وبعد ذلك بين الفرق في ظهور الفعل بعد السؤال الصريح، والسؤال المضمر. يقول: 5 واعلم أن السؤال إذا كان ظاهرا مذكورا في مثل هذا. كان الأكثر ألا يذكر الفعل في الجواب ويقتصر على الاسم وحده، أما مع الإضمار فلا يجوز إلا أن يذكر الفعل 16.

والذي دعا عبد القاهر إلى ذلك ذكر الفعل في بيت المتنى السابق، وذكره في بيت الأوليد لأن السؤال فيما غير ظاهر، وعدم ذكر الفعل لا يكون للعلم به سبيل. أما في السؤال الظاهر فالفعل مذكور فيه، وحين يذكر الاسم يكون منوبا في الجواب.

وينزل منزلة الذي يضمر فيه السؤال ما يأتي بمثل قال. وأمثلة كثيرة في القرآن الكريم، وفيه يأتي لفظ قال مفتوحاً عما قبل لإثارة السائل للسؤال في نفس السهق. يقول عبد القاهر: 5 واعلم أن الذي تراه في التنزيل من لفظ قال

(1) دلال الإجابة: 243.
معصولاً غير معروف. هذا هو التقدير فيه (2) ويتل العقول تعلو: في هل
أتلك حديث ضيف إبراهيم الكرمن إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً، قال
سلام قوم منكرون، فراغ إلى أهل فجاء بعجل سمين، فقرره إليه قال:
لا تأكلون - فأجزس منهم خيفة قالوا لا تخف (3).

وقد فسر توله هذا السؤال بما يقع في أنس الخوارقين من السوال: فلما
كان في العرف والعادة فيما بين الخوارقين إذ قيل لهم: دخل قوم على فلا كن فقالوا
أنا : هل تقولوا: لا قال هو؟ ويقول الخوارق: قال: هنا أخرج الكلام ذلك
الخوارق لأن الناس خوطروا بما يعارفونه، وسلك باللفظ معهم السلوك الذي
يسكونه (4).

ولكن كان عبد القاهرة، قد أشار إلى الخوارق المنبعثة من الجملة الأولى
وتأتي الجملة الثانية لASHBOARD عن هذا الهاتفي الذي يتردد في النفس. لئن كان عبد
القرآن قد أومأ إلى هذا وإشار إليه فقد النقطة متأخرة، إلا أن البلاغين منه هذا الخبيث،
وينبئ تلك الخوارق التي تبيعت من السوال المضم، ووجدوها تكمن في ثلاثة
بواعث:

الأول: أن يكون هذا السؤال عن سبب عام للحكم، وهو قول الشاعر:
قال لي كيف أنت؟ قال لي: صمت دائرث وحزن طويل
أي ما بالك علليا، أوما سبب عليك؟ وقول الشاعر (أبو العلاء).
وقد غرست من الدنيا فهل زرتى بعدما غرسا
معط حياني إنتشل، وأهيلى، فما تركت
جرت دهرى، وأهيلى، فما تركت
أيه أبو العلاء يصف في البيت الأول ضيقه بالحياة وما يقع فيها ما يشتق ذوي
العقل والألباس وهو لا يريد هذه الحياة، ويشتى أن يعب الدهر هذه الحياة لغر

162
لا يزال في شرق إلى مزيد منها. وهذا القدر بيت خواطر تطلع إلى معرفة سبب ذلك. فباي الشاعر بالجواب في البيت الثاني. ويدل به على أن الذي دعا إلى ذلك تجاربه مع الزمان وأهله، وكيف جعلته التجارب لا يطمئن إلى ود إنسان كان من كان.

والأوان أن يكون السؤال حول علة معينة، أو كما يقول الخطيبي اللزويدي:

و عن سبب خاص له كقوله تعالى: ﴿فَمَا أَرَىٰ نَفْسٌ إِلَّا عَمَّةٌ ﴾. ﴿فَكُونَتْ لَهُ آمَرَةٌ بِالسُّوءِ ۖ كَانَ يُقَالُ: ﴿هَلْ النُّفْسُ آمَرَةٌ بِالسُّوءٍ؟ ﴾. فقيل: إن النفس آمرة بالسوء، وهذا الضرب في إجلال الحكم كما مر في باب أحوال الإنسان.

والأوان: أن يكون السؤال عن شيء غير هذا وذلك. كقوله تعالى:

فقالوا سلاماً، قال سلاماً ﴿كَانَهُ يُقَالُ: ﴾كَانَ قِيلٌ: ﴿فَمَا قَالَ إِبَراهِيمُ عَلِيِّهِ السَّلاَمِ ﴾. ﴿فَقَالَ: سَلاَمٌ ۖۖ وَمِن هَذَا الْمَوْضُوع قَالَ الشَّاعِرُ: ﴿زَعْمُ العَوَّادِل أَنْتُي فِي غَمْرَةٍ صَدِقْنَا وَلَكْ عَمَّرْقٌ لَا نَنْجِلُ ﴾. 

- الموضع الرابع الذي يعين فيه الفصل بين الجملتين أن يكون ينتمي كشة كالمقطع أو حسب عبارة الخطيبي أن تكون الثانية بمثلة المنطقة من الأولى، والذي جملها بمثلة المنطقة عنها أن عطفها عليها يوهم خلاف المقصود، أو هو موهم عطفها على غيرها. ويسنى الفصل هنا قطعاً. ومثاله:

فقال الشاعر:

وَوْتُنَّ سَلِيمَ السَّلِيمَ أَنْتُي أَبْيَضُ بَيِّنًا أَرَاهَا فِي الْضَّلَالِ عِيْضَم مَعْطَوَتَهَا ﴿أَرَاهَا ﴾. ﴿يُكَانُ عَطْفَهَا عَلَى جَمِيلٍ﴾. ﴿تَظَنُّونَ لِمَنْ يَنْتَظِرُ ﴾. ﴿لَكَنْ مَنْ يَنْتَظِرُ ﴾. ﴿أَنْ تَكُونَ مَعْطَوَتَهَا عَلَى جَمِيلٍ ﴾. ﴿أَبْيَضُ بَيِّنًا أَرَاهَا فِي الْضَّلَالِ عِيْضَم مَعْطَوَتَهَا ﴿أَرَاهَا ﴾. ﴿يُكَانُ عَطْفَهَا عَلَى جَمِيلٍ﴾. ﴿تَظَنُّونَ لِمَنْ يَنْتَظِرُ ﴾. ﴿لَكَنْ مَنْ يَنْتَظِرُ ﴾.
ويجعل السكاكي القطع على نوعين: الأول القطع للاحتياط وهو ما لم يكن له من الطعف كالبيت السابق. والثاني: القطع للوجوب وهو ما كان مnak. وملله قوله تعالى: "الله يستهزيء بهم" قال: لأنه لو طعف معطف على جملة قالوا أو على جملة "إذا مكم« والطعف على أي منهم لا يصح (1) وقد تناول عبد القاهر الجرجاني هذه الآية وبين سبب الفصل فيها، وأورعه إلى المعنى المراد بها، والوقف الذي تعب عنه، وقد تحدث عن شيء اعتبره أصلاً في باب الفصل والوصل، وهو أن المرء قد يرى الجملة وحالاً حال ما يتعطف من الحمل، لكن يجب ترك الطعف فيها لأمر قد عرض فيها صارته به أجنبية عما قبلها، وعمق نظرته عبد القاهر أنه لا ينظر إلى العلاقات القائمة بين الجمل فحسب، بل تمت نظرته إلى ما يطرأ بين هذه الجمل من علاقات نتيجة لما يجد من المواقيف والظروف والاعتبارات. وإذا كان الظاهر في قوله تعالى: "الله يستهزيء بهم" وهم في طغياتهم يعمرون، يقضي أن يعطف على ما نقله من قوله: "إذا بحمن مستهزئون" وذلك لأنه ليس بأجنبي عنه، بل هو نظير ما جاء مطوعاً من قوله تعالى: "فتخاذرون الله وهو خادمهم" وقوله: "ومكرروا ومكر الله" وما أشبه ذلك مما يرد فيه الصدر، فإن ذلك تجلد قد جاء غير مطوع وذلك لأمر أوجب ألا يعطف، أما هذا الأمر الذي يمنع الطعف فيناظره إليه عبد القاهر في اتجاهات الجملة التي وردت في الآية ويجد كلاً منها له شأن يختلف عن شأن الأخرى. فقوله تعالى: "إذا بحمن مستهزئون" حكاكية عن هؤلاء المناقنين، أي أنهم قالوا وليس بخير عن الله تعالى، خلاف قوله تعالى: "الله يستهزيء بهم" فإنها خبر عنه سبحانه يجازيهم على كفرهم واستهلالهم، وذلك يمنع المطعف. لاستحالة أن يكون الذي هو خير من الله مطعفاً على ما هو ...

(1) السابق : 244
(2) الإيضاح : 90، 91
178
حكاية عنهم، وقد يقال إن جملة الله يستنزييه بهم مطوعة على قالوا،
و هنا يجيب عبد الناصر ومن خلال سير الكلام واتجاهه، وما تومي إلى
التراكيب، فحين المطوف قالوا تدخل جملة الله يستنزييه بهم فيما دخل
في المطوف عليه، لأنها جواب شرط، فإذا ألقى الذين آمنوا قالوا آمنا،
وإذا خلوا إلى شياطين قالوا إذا معكم إما تخص مستهزئون، الله يستنزييه
بهم ومدهم في طغيانهم يعمهون، ومعنى ذلك أن استنزييه الله بهم لقومهم،
وليس ذلك المراد من الآية، بل المراد أن الله يستنزييه بهم جزاء على استنزيائهم أي
فلهم الاستنزياء وإرادتهم له في قوهم آمنا، لا إلا أنهم حددوا عن أنفسهم
بهم مستهزئون، والطوف على قالوا يقتضي أن يكون الجزاء على حديثهم عن
نفسهم بالاستنزياء، لا عليه نفسه و(1).

وقدتة التوجيه في الآية الكريمة نلمثلها من خلال ما يفسره من المطوف على
جواب الشرط، فهو يرى مثل هذا المطوف على نوعين، نوع يمكن فيه تصور
وجود كل منهما دون الآخر، مثاله قولك، فإن تأتي أكرمك، أطمك وأكسك،
فالكساء يمكن أن يتمحق دون تحقيق المطوف، ونوع يترتب وجود المطوف على
وجود المطوف عليه، ويجوز الشرط سبباً في هذا المطوف لأنه سبب في وجود
المطوف عليه. كقولك: إذا رجع الأمير إلى الدار استذاذته وخرجت فالخروج
لا يكون حتى يكون الاستذان، والاستذان لا ينضم إلى مجحير الأمير والمعنى في
هذه الحالة يكون على كلامين نحو: إذا رجع الأمير استذاذته وإذا استذاذته
خرجت وليس ذلك هو المفهوم الوحيد للمطوف في الآية. فنفه مانع آخر يتحدث
عن عبد الناصر، وهو أن الحكاية عنهم أنهم قالوا كتبت وكبت تمريك السامعين
لأن علموا مصدر أمرهم، وما يصنع بهم، وأنزل بهم النكمة عاجلاً أم لا تنزل

(1) دلائل الإتجار : 238 - 240.

179
ومهولون وتوقع في أنفسهم القوى لأن يعين ذلك. وإذا كان كذلك كان الكلام الذي هو قوله: "لا تملؤ ملكون يا بسم الله يستهزئ بكم"، في يعني ما صدر جواباً عن هذا المقدر وفوقه في أنفس السامعين، وإذا كان ماصراً كذلك كان حقه أن يلزم به ابتدأ غير محسوب لكون في صورته إذا قال: "لا تملؤ ملكون يا بسم الله يستهزئ بكم"، ويدهم في طغيانهم بعذورهم. (1) ومعنى الكلام الذي سأله عبد القاهر أن الكلام السابق على الجملة يحرك أنفس السامعين ويكير في أنفسهم سؤالاً. ويكون الجواب على هذا السؤال المعني مقتراً، ويدون عطف كالمؤلف الصريح تماماً. ولقد تحدث عبد القاهر عن هذه المسألة، وأقام عليها كثيراً من الأدلة من خلال الشواهد المتعددة.

لكن إذا كان المائع من العطف هو ما يحرك الكلام السابق في نفس المتلقين من سؤال يجمع القطع، فسوف تكون القائمة فيما ذكرناه من شبه كالمؤلف، وقد ينير ذلك نوعاً من الصبر في باب الفصل والوصول.

والحق أن عبد القاهر لم يكن الأقسام. ولم يأخذ في تشكيكها وتوليد بعضها من بعض. وإنما أرجع قضايا الفصل والوصول إلى أمور ثلاثة هي: كالأحوال، كالأحال، كالتخاطب، وما يكون بين هذا وذاك. وإن لم يذكر هذه التسبيحات، يقول عبد القاهر: "وإذا قد عفت هذه الأصول والقوائم في شأن فصل الجملة وجملة، فبأننا قد حصلنا من ذلك على أن الجملة على ثلاثة أضراب: جملة حاصلة من ثلاث قبلاً حاصل الصفة مع الموضوع، والتأكيد مع المؤكد، فلا يكون فيها عطف أليفة لشبه العطف فيها أو عطفت بعطف الشيء على نفسه."

(1) السائح: 240.

180
وجملة حلفا مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله إلا أنه يشاركه في حكم، ويدخل معه في معنى، مثل أن يكون كلا الاسمين فأعلا أو معنولا، أو مضافا إليه فيكون حقه العطف. وجعلة ليست في شيء من الحالين، بل سببها مع التي قبلها سبيل الاسم مع الاسم لا يكون منه ل شيء فلا يكون له، ولا يكون مشاركا له في معنى، بل هو شيء إن ذكر لم يذكر إلا بأمر ينفرد به ومن حق هذا ترك العطف أبنته. فترك العطف يكون إما للانصال إلى الغابة، أو الانفصال إلى الغابة، والعطف لما هو واسطة بين الأمرين، وكان له حال بين حالين، فاعرفه.

وقد النقطة متأخروا البلاغين فكرة الشيخ وأصوله الثلاثة، ووافقه على عدم العطف في حالين هي كالأصل والانقلاب، وفرقوا عليها حالين: هما شبه كالأصل، وشبه كالألفاق على نحو ما فصلنا. وبقيت حالة التوسيط بين الكمالين، وهي الحالة الحاسمة التي يذكرونها حالات الفصل.

ويجب أن يلاحظ أن حالة التوسيط هذه تقرب من حالات التوصل من جهة، وتقرب من حالة شبه رك الانتقال، بل قد نحن يملون لحالة شبه كالألفاق يقوله تعالى: «فَبَدْلُوهَا بمِهِمْ وَبِمِهِمْ مِن طَفَقَاهُمْ ۖ كَمَا يَمْثِلُونَ بِهَا لحالة التوسيط. بل أكثر من ذلك يملون بها لشبه كالألفاق. وقد أشار إلى ذلك أحد البلاغين المحدثين فقال: وقد نرى إلى أن هذه الصور يمكن أن تكون من شبه كالألفاق، وبذلك يبقى شبه كالألفاق بابا قريبا من أي شاهد.

وهذا الوجه الذي ترضاه.

---

(1) السابق: ٤١٤٦
(2) دلالة تركيب: ٤١٤١

١٨١
وأرى أن الذي أوقعهم في هذا الاضطراب حرصهم الشديد على التقسيم والتفريع. لكن المرحوم الأستاذ أحمد مصطفى المراغى يفرق بين حالة الوصل، وحالة الفصل للنقطة بين الكلامين بأن حالة الوصل لا يوجد فيها مانع يمنع العطف، بل خلاف حالة التوسل التي يوجد فيها مانع في الكلام السابق يمنع ذلك. كما يفرق بينها وبين حالة شبه كلام الانقطاع، وإن كانا ما يفصل فيما بين الجمل، إلا أن القطع في شبه كلام الانقطاع للاحتمال لأن الكلام الذي يسبق الجملة الثانية فيه ما يمنع العطف، وفيما لا يمنع العطف. أما حالة التوسل فالقطع فيها واجب لأن الكلام السابق لا ينتمي إلا على ما يمنع العطف.

ويوقننا عبد الفاتح الجرجاني على دقائق في الباب، وبين لنا أن الجمل قد تكررت وتوالت، وتجد الجملة منها قد وقعت معطوفة، لكن هذا العطف لا يكون على سابقتها، بل يدخل جمل بين المطوفة والجملة التي عطفت عليها. وفي ذلك ما فيه من الدقة، لأنه يحتاج إلى تبع خطوط المخال، هذه الخطوط التي تكون في كثير من الأحيان ممتعة إلى أكثر من جملة، وفي هذه الحال يكون العطف على مجملها.

ولنستمع إليه وهو يتحدثنا عن نوع من الفن دقيقة. يقول: وعلّم أن مما يقل نظر الناس فيه من أمر العطف أنه قد يؤثر بالجملة فلا تعطف على ما يليها، ولكن تعطف على جملة بينها وبين هذه التي تعطف حملة أو جملتان، مثل ذلك.

قول النبي:

"تُؤلَّف بُخَة فكأنَّ بُناء تُحْتُي نفاجانٍ، عنصراً، وسَرَّ الدِّيمِ إِلَّهِمُ الْهِمَالَانَ"
ففجالة فكان مسير عيسهم معطوف على تولوا بنيته وفقد تخللهم
جملة وفناجاني ولم تعلب عليها لأن في أعبت عليها إفساد للمعنى حسب
عبارة عبد القاهر لأنه سيجعل مسير عيسه متوازا وليس حقيقيا. لكن ليس
عنى أن تكون جملة فكان مسير عيسهم معطوفة على الجملة الأولى أن
الجملة المتوسطة زائدة أو مقحمة، أو لا علاقة لها بالجملة السابقة واللاحقة. ذلك
لأن عبد القاهر يلاحظ رابطه بين الكلام كله فالجملة الثانية ترتبط بالأولى
والثانية، هي أن الأولى كأنها ثابتة والثانية مسببة. فلمسى: توولوا بنيته
فروعت أن يبيني. ولا شك أن هذا التوهم كان بسب أن كان النول
بنيته، وإذا كان كذلك كانت مع الأول كالتية الواحدة، وكانت منزلتها منها منزلة
الفعل والظرف، وسائر ما يمسى بعد تمام الجملة من مماثلات الفعل مما لا يمكن
إزاده على الجملة، وأن بعدد كلاما على حدته (1) ولا يقف عبد القاهر عند
هذا بل يذكر أن رابط بان الشعر كله. هكذا يفسى بان الفرض والتعبير
عنبه، فقد جاء البيتان التصوير عن معني، وهذا المعنى لا يقيم ما لم يتم所谓的 بين
أولها وأخرى. وحين يقول إن العطف كان على الجملة الأولى لا يقصد أنها كانت
مزولة عن غيرها. بل إن العطف عليها مضمن إليها ما بعدها. يقول: فنحن
وإن كنا قلنا: إن العطف على تولوا بنيطة فإننا لا نعني أن العطف عليه وحده
مطوعا. بعدما خصوا. بل العطف عليه مضمن إلى ما بعد إلتها. إذا أردنا
بتولنا: إن العطف عليه أن تعملك أنه الأصل والقاعدة. وأن نصرفك عن أن
نظره، وتجعل العطف على ما يلي الذي تعطوه، فتغري أن قوله: فكان
مسير عيسهم معطوف على فناجاني، فقع في الخطأ كالذي أربناك (2).

(1) لأبي السهفي: 247.
(2) السابق: 448.
أما كان أمر الولو وعطفع بها مما بلتبس أمرها. كان لابد أن يتحدث
عبد القاهر عن الولو التي لا تكون لعطفع. وهي التي تدخل على جملة
الحالت، إن هذه الولو وإن لم تكن من باب الفصل والوصل، لأنها ليست
للعطفع. فقد تلبس بها من جهة ومن جهة أخرى. هذه الولو دخل في بناء
الأسلوب. وفي ذكرها وعند ذكرها دخل بالبلاغة. فالجملة التي تقع: حالا
منها ما يأتي بالولو، ومنها ما يأتي بغيرها، وفي التميز بين ما يجوز وما لا يجوز
صعوبة تحسن الإشارة إليها.
ففي جملة الحال ينفع وجود الولو إذا كانت هذه الجملة من مبدأ وخبر،
وكان الخبر فيها ضمير صاحب الحال. وذلك كان نقول: جاء محمد وهو
راكب، وسمعت عليا وهو يخطب، فهى مثل هذا الموضع لا تصلح الجملة بغير
الولو، فلا نقدر أن نقول: سمعت عليا وهو يخطب، أو جاء محمد هو راكب. فذلك
ما ينفع عنه القول، وتجمع النفس، علاوة على ما يدخل في الكلام من البس.
وفي بعض الجمل يكون أن تجيء الكلمة بالولو، وذلك إذا كانت من مبدأ
وجخبر، لكن الخبر فيها ليس ضمير صاحب الحال. كما هو في الحال السابقة.
كقولك: جاءني محمد وصديقه معه.
وما يجيء بالولو في الغالب. أو كما يقول عبد القاهر: يف في الأكثر
الأشياء، لكنه يأتي في مواضع بدونها فيلفظ مكانه، وبدل على البلاغة: الجملة
قد دخلها [ليس]، نقول: آتاني وليس عليه ثوب، ورأيته وليس معه غيره وغلى.\(^1\)
وهذا هو المستعمل. لكن جاء غير الولو حسنة. قول الأعراب:
تأتي في وحيدا الإقامة، تصرف الأرسلان والدلالاء
إذا جرى في كفف الرشاد، خلي الفليس ليس في مسألة.

١٨٤
والرجل يبدع فين من قبيته، ويحدث عن نفوذه، وهيه في العمل، فهو إذا أمسك بالخيل وراح إلى البار ينحالمها منها لم يتراك فيها شيئًا.

وقد يبادر إلى الدبن أن البلاغة تحقق في مثل هذا الموضع إذا جاءت الجملة بالواو أو بدعوها في كل وقت، وباطرداد. لكن الأمر ليس كذلك، ومن ثم لا بد أن يوقع عبد القاهر النظر إليه. فأن الحسن الذي يتحقق لبعض الجملة الحالية التي تمحى بغير الواو إذا يوجد لجنيه أمر في الجملة كأن يكون حرفًا أو لفظًا مشتاقًا، فقول الفرزدق:

قلتُ عسبي أن تنصرينى كأننا نتيني حوالي الأسود الحواردُ

فقد كان الحسن في البيت بسبب مجيء [كان] ولو رفعت من الجملة.

قبل: عسبي أن تنصرينى بنى حوالي الأسود لرأيت أنه قد فقد ما كان فيه من الحسن.

ولما حسن لأن الشاعر قدّم له بلطف قول ابن الرومي:

ولله يقيق لنا سلماً برداك تبجيل وتظييمٍ.

فجملة: برداك تبجيل وتظييم في موضع الحال. وقد جاءت بغير الواو.

وهي من مبتدأ وخبر، لكن حسنها جاء لأن الشاعر قدّم لها بالحال المفرد [سلاماً] والو رفع هذا اللفظ من الكلام قبلي: والله يقيق لنا برداك تبجيل وتظييم، لم يكن له من الحسن ما كان له أولاً.

وستشفف من حديث عبد القاهر الجرجاني في ذلك عنيه بالأسلوب بصفة عامة، ونظره إلى كل ما يرد في الكلام من أمور قد تكون سبباً في حسنًا أو تكون سبباً في تجريد من هذا الحسن، ونظره ذلك بوضوح في الموضع الذي

185
بسوغ فيها جملة بالوا أو بدونها، وينحقق لها في هذه أو تلك لون من الهمس - على نحو ما سيكون - ويكون جملة الحال بالوا أو أيضا إذا كانت فلولا فعلها ماضيا. وهو لا يقع حالا إلا مع قد مظهرة أو مقدرة. كقولنا: أتاني

وقد ظهر عليه النصب.

وقد جاء بدون الوا في مواضع وطفل فيها. وذلك كقول الشاعر:

"مَتى أرى الصبح قد لاح ضيابله، والليل قد مرقت عنه السرايل والشاعر يصحل طلع الصبح، وبحار الظلما. وقد جاءت حملة الحال في به غير الأكبر بدون الوا. ومعه قول الشاعر:

فأشاروا بالرسام، مُصَلَّى، وأنا بالسَفْوَدُ قد اتخداً".

وقول الآخر:

"يُسْلِرَون، قد كُسِروا الجفون إلى الأَوْغَى مُتَبَسُّمْين، وفيهم استثمار.

جميل حملة الحال بغبر الوا، وتأتي حملة الحال بغبر الوا إذا كانت جملة فعلية، فعلها مضارع مثبت.

سواء كان الفعل لذى الحال. كقولنا: جاهلون زيد بسرع، أو لما هو من سببه كقولنا: جاهلون الفائد يسي جده بين يديه. وقد جاء هذا النوع كثيرا في القرآن الكريم كقوله تعالى: "لا تؤن تنستكرك"، وقاله تعالى: "ويسيجنيها الأنف Nickel الذي يوقس ماله يركي". وقوله تعالى: "ونذرهم في طغيائهم بعهمون".

وما جاء من ذلك في الشعر قول عثمان بن عبده. يصف رحلته في

"يوم قاتل".

182
وقد علّوتُ قصوة الرجل يسعّي يومٍ نديمٍ النزور، دمّرهمُ
وعَلّمتَ مغشوشة عَنْ مَتَاعِهُ التَّيَّ صاثِفَها في رَحلَهُ، فقد كان يركب على
عِشب الرجل والقيظ يسبعه في هذا اليوم الذي كانت الشمس فيه قرينة، والرياح
سمٍ. ومنه أيضاً قولَ أنْ دُواَّد الإداةِ:

وقد أُفْنَى يداغُ ركذي أُحْوَى دومي نِإضِرَيحُ
وَما يَرِهم آنَ جاءَ على خراف ذلك قُلُومَ:

فَلما خُسِبَ أَظَاعِهُمْ شِرْتَ وَأَرنِهم مَالِكَا
وَما كانَ على شَكَّانُهُ من قُلُومَ عَنْ أَصِبَ وجههُ، فُلبَّست الراو فيه
وَأَحَالَهُ يَل هُوُ رَأَت عَطف. وَجَاء المضارع هذا حَكاية الماضِي، والدليل على
ذلك مَجْيِل الفاء مكان الراو.

مجيّ الراو وتركها حسن:
قدّست في المواضع السابقة ما يكون فيه وجود الراو لازماً أو غالباً، وما يكون
عدم وجودها غالباً، وَلِى موضوع بَسْتَوَي فيه وجودها وتركها. ينسى في كلا
الأُمرين وَلِى الموضوع إذا كانت جملة الحال من فعل وفاعل، والفعل فيها مضاير
منفي. فَمَا جاء بالراو عَلِل مسكيّن الدأرمى:

أَكْبِه الورق البيضُ أبا وَلقد كان لا يدعى لَا أَبٌ
وَفَوَل مَالِك بن ربيع، وكان جَنْب جنابة قَلْبَه مَصْعَب بن الزبير:
أَناى مصعَب وَذَو أَخَايْهُ فَلأَيْن أَيْدِي منْهُ لا أَجِيدُ
أقَلوا من مِيم وَزَوَعُونَ وَكَتَت وَمَا يَهْنِي الوعيد

١٨٧
والشاعر يتحدث عن الخوف المحيط به لأن ابن الزبير قد أباح دمه قصاصاً منه على جنبته التي ارتكبها، وهو لا يُد هم ملأاً يُبج بِه، وَلَكَ أُصْبِحَ حَالَفَا بَعْدَ أن كان آمناً وحل الاستشهاد في البيت هو مجيء جملة: وما يهتنى الوعيد، في موضع الحال، وِجَاءَ فِيهَا المُضَارِع مَنْفِياً فَحُسِنَ فيَه إِبَارَ الْوَار. وقد يقال إنَّ الجملة ليست حالاً، وإنما طيّب كان يجيب على ذلك عبد القاهر بأن هذه: وَكَانَ قِيلَ.

وَمَا جَاءَ مَعَ الْمُضَارِعُ الْمَنْفِي: حَالَا بِدْنَ الْوَار وَحَسَبَ أَيْضاً قَوْلِ الشَّاعِرِ:

مَضْنَوْناً لا يَريِدُون الْرِّيَاحَ وَجَالُّهُمُ من الْدُهْرِ أَسْبَابَ جَرَّبُينَ عَلَى قُدْرٍ فِجْمَة الْحَالِ لا يَريِدُونِ جاءت حسَنة بِغير الْوَار. ومن هذا النوع أيضاً قَوْلً أَرْبَاطَةٍ. يَن سَهْبَة. وَهَوْ لَطِيف حَسَن:

إِنَّ تَلْقَنُي لَا تَرْيَ غَيْرِ بِناَظِرِة نَسَى السَّلَاحَ وتَعَرَف جَهَيْةَ الأَسْيَد فِيِّ خِيَاتِيِّ الحسَنَ في جُملَة الْحَالَ الَّتِي جاءت بِالْوَار لَأَنَّها فَعْلِيَّة فِيهَا الفَعْل

المُضَارِعُ الْمَنْفِي. وَسُوقَ عبد القاهر الجرجاني أمثلة متعددة لهذا النوع الذي يجيب بِغير الْوَار:

وِبَلْطَفِ مَوْضِعه وَحَسَنٍ مِنْ أَمَال قول أَعْشَى هِدَان:

أَنَا أَعْشََى قَهْرَتْنَا وَكَأَنَّ كَيْلَ ذَلِكَ فِي نَيْمٍ كَانَ سِفَاهَةً مَنْي رَجَسْلًا مَسْرِيَ لا أَسْرُ إِلَى خَيَّامٍ فإن جُمِلَة: لَا أَسْرُ حَالٌ مِنْ الْضَّمْنِ فِي مَسْرِي، لَأَنَّهَ فَاعْلٌ فِي المَعْنِيٍّ، وَكَأَنَّهُ قَالَ: لَا وَكَانَ سِفَاهَةً مَنْي وَجَهْلاً أَنْ سَرَتْ غَيْر سَائِر إِلَى حُجُمٍ، وَأَنْ ذُهِبَتْ غَيْر مَتَوجهَة إِلَىْ قَرْبٍ (١).

(١) دلائل الإشعار: ٢٢٢

١٨٨
وبينص عبد القاهر على كثرة هذا النوع، لكن لا يحذى إلى موضعه إلا من
كان صحيح الطبع، ولأن مجيء الوار وتتركهما سواء، ولأن المواضيع المختلفة التي
أسرنا إليها تحتاج إلى الذوق المرهف الذي يستطيع أن يقف على وجه الحسن
فيما جاء بها، أو جاء بدونها يحاول عبد القاهر أن يضع بعض الأصول التي يمكن
الاهتداء بها. يقول: وإذا قد رأيت الجمل الواقة حالاً، قد اختفت بها الحال
هذا الاختلاف الظاهر، فلا بد من أن يكون ذلك إما كان من أجل عقل توجيه
وأسباب تقضيه، فمحال أن يكون هنالك جملة لا تصلح إلا مع الوار، وأخرى
لا تصلح فيها الوار، وثالثة تصلح أن تجيه فيها بالوار، وأن يدعها فلا تحيه بها
ثم لا يكون لذلك سبب وراء، وفي الوقوف على العلة في ذلك إشغال
وموضوض، ذلك لأن الطريق إليه غير مسلوك، والجهة التي منها تعرف غير
معروفة، وأنا أكتب لك أصلا في الخبر إذا عرفته أفتح لك وجه العلة ل
ذلك (1).

أما الأصول المادية التي يروى بها عبد القاهر هذا الطريق الذي لم يره أحد
قبله، ويهد به سبيل، وجد السير فيه صمباً فيهُا بيان المخطوطة التي تربط بين
الكلمات والجمل، والعلاقات التي تكون بين أمور يصفها غير المدفوع لا ربط
بينها. فقد نظف أن الخبر غير الحال وأنه لا علاقة بينهما. لكن عبد القاهر يلت круг أن
الحايل خير في المعنى، وأنه يؤدي نفس الغاية التي ي يؤديها الخبر، لكنه يقترب عن
خبر المبدأ بأنه ليس جزءا في الجملة. وحتى لا يبتكر الأمر يقول عبد القاهر إن
الخبر يقسم إلى قسمين: خير هو جزء في الجملة لا تم الفائدة إلا به، وهو خير
المبدأ. وخبر ليس جزءا في الجملة، ولكنه زيادة في خبر آخر سابق له. وهذا
الخبر هو الحلال، وذلك لأنك حين نقول: جاء زيد راكبا تثبت مدى الحال بها

(1) دلائل الإعجاز: 231
(2) السابق: 233

189
ما تتبه للسمندًا بالخير، وبالفعل للفاعل، والفرق أن الحال يؤدي بها لتزيد في المعنى الذي أثبت للفاعل أو المعول بالفعل، وهي تأتي تبعًا لذلك.

وبد أن بين ما بين جملة الحال، وجملة الخير من النقاء أو اختراق بين الأساس الذي يسوج مجيء الراوي في إحدى الحالات، وعدم جميها في أخرى، فيقول: وإذا قد ظهر هذا فاعلم أن كل جملة وقعت حالًا ثم انتعت من الراوي، لذلك أغلق أن عمل إلى الفعل الواقع في صدرها فضمتها إلى الفعل الأول في ليات واحد، وكل جملة جاءت حالًا ثم انتعت الراوي، لذلك لأنك مستأمن بها خيرا، وغير قاصد إلى ضمها إلى الفعل الأول في الليات.

ولزيادة الإيضاح يقول: إنه إذا جبت جملة الحال بدون الراوي نحو: جاهل زيد يسرع، كان هذا الكلام على معنى، جاء زيد مسرعاً. أي أننا نثبت مجيها فيه إسراع، ونربط معنى الفعل الثاني بالمعنى الأول وندخله فيه، ومن ثم لا يحتاج إلى الربط. وعليه جاء قول الشاعر الذي سبق:

وقد علّوت قعود الرجل بسفي، يوم قدیدة الجزيرة مسموم.

كأنه يقول: وقد علّوت قعود الرجل بارزا للشمس ضاحية.

وكذلك قوله:

متى أرى الصبح قد لاحت مخالبَة
لأنه في معنى، متى أرى الصبح بادية لأشباحا بيجها متجلياً.

أما إذا قلنا: جاء زيد ومنه غلامه يمسى بين يده. تكون قد بدأنا فاثناي
إلى زيد، ثم استأثنا خيرا، واندلنا إلى إبانا ثانيًا لمسى الغلام بين يده. وما دام

دلائل الإجبار: 224.

190
المعنى على الاستعفاف كان مجيء الواو لحاجتنا إلى الربط بها بين الجملة الأولى والجملة الثانية. ثم بنص على أن تسمية هذه الواو بواو الحال لا يخرجها عن أن تكون محدبة لضم جملة أخرى(1).
الإنشاء : أقسامه - استخداماته - خروجه على مقتضى الظاهر
أساليب الإنشاء

قسم البلاغيون الكلام إلى خير وإنشاء، وسبق أن تحدثنا عن الخير، وأنواعه وأضربه وما يجب لكل ضرب منه. وظهر من خلال الحديث هناك كيف تنوع أساليب الخير بحسب أحوال المخاطبين ومقام الخطاب. وبقى أن نتحدث عن أساليب الإنشاء وأنواعها وما يحقق من البلاغة عند استعمالها. ولما كانت معرفة الشيء فرعا عن تصوره كأ يقول الأصوليون فمن المناسب أن نبدأ بتعريف الإنشاء ...

والإنشاء في اللغة الإنجاز والاجترار، قال تعالى: ﴿إِنَّا أُنشِئُنا هُمْ إِنَّا كَأَيْنَ أُرْجِدْنَاهُنَّ عَلَى غَيْرِ مَثَلِ سَبِيعٍ ﴿، وأنشا حديثا وشعراء وعامة، أي أوجدناها.

وفي الاصطلاح هو الكلام الذي ليس لسنته خارج تطابقه أولا تطابقه.

ويقسم الإنشاء إلى قسمين:

القسم الأول: الإنشاء الطليع. وهو ما يستدعى مطلوبا غير حاصل وقت الطلب فعندما نقول لأخر: أكتب نطلب منه أن يقوم بإنشاء الكتابة التي لم تكون موجودة عندما طلبنا منه ذلك .. وهنا يقول الشاعر:

ليت الكوواكب تئثر لي فأظلمها عقود مدج فما أرضي لكِم كيلى

إتنايمني شيئا غير موجود، فلم تكن الكواكب في متناول يده ليظلم منها عقودا تلبق بمدخّه. وهذا النوع من الإنشاء هو ما يعنيه البلاغيون، وذلك
لما له من أثر في الكلام ، وما يضفيه عليه كل نوع من أنواعه من فوائد على نحو ما سيظهر 

القسم الثاني : الإنشاء غير الطلبي ، ولم يحظى مثل ما حظى به القيم الأول من الاهتمام ، ولذا تقل المباحث البلاغية فيه . ولأن أكثر أنواعه في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء .

وهذا النوع لا يستدعي مطلوبا وقت الطلب ، وله صيغ متعددة . منها :

1 - أساليب المدح والذم : نمم العبد أبوب ، بس الحلق الغيزة ، وقال الشاعر :

ألا حبذ هذا بهد، وآضً بها. هند . وهند أق من دونها النآى والبعد 

ويدخل في هذا الأفعال المحوطة إلى المدح أو الذم نحو : طاب على نفسها .

وبحث فلان أصلا .

2 - أساليب العقود نحو قولنا : بعث واشرت ، ووهبت . و نحو ذلك.

3 - أساليب القسم نحو : والله لنقولن ، وتالله لا كيدن أصامكم ،

ولعمرك إنهم لنى سكرهم بعمهم .

4 - صيغ التحجب .. وله صيغتان قياسيتان هما : ما أفعله وأفعل به . نحو قولنا : ما أجعل الصدى وأجعل به ، ويأتي سماها بصيغ كثيرة منها : الله ديره .

يا لبت شهوه كيف تكرهون بالله وكم أمرنا فأنحياك .

5 - أساليب الرجاء : يكون بالأفعال الدالة عليه كقوله تعالى :

(عسَى الله أن يأتي بالفتح أر م عنده ) وقال الشاعر :

١٩٢
عسى الكرم الذي أمسيت فيه يكون وراءة فرح قريب
ویرى كثير من العلماء أنه من الإنشاء الطويل. لكن غيرهم يجعله من
الإنشاء غير الطويل، ويستدلون على ذلك ببعضه في الكروه نفو ذوبهم. ولل
الحبب مرض 4. وأرى أن جمع الوجه طلياً أو غير طلياً إذا بعى إلى طبحة
الأسلوب الذي يرد فيه، والمواقف التي يعر عنها. ومن العلوم أن الأدوات الدالة
على الوجه أو التمنى أو الاستفهام تبادل مواضعها. وقد سبق أن مثلنا للعجب
بصفة من صيغ الاستفهام وذلك في قوله تعالى: "كيف تكفرون بالله وكم
أمواتنا أحياءكم؟" وسوف يضع ذلك عند الكلام في الاستفهام.

الإنشاء الطويل: وهو ما يستدعي مطلوباً لم يكن حاصلاً عند الطلب.

وهو أنواع:

النوع الأول: التمنى. والنظف الموضوع له هو لحليت، ويكون التمنى في
الأمر يصعب تحقيقه أو يستحيل. كما أنه لطلب أمر غير من الأمور البعيدة
التي يصعب تحقيقها ولكنها غير مستحيلة قول الشاعر:
فيا لبيت ما بيني وبين أجنبى من البعيد ما بيني وبين المكثيف
فالشاعر يحس بقرب المصالب وتمحجه عليها، ويجب أحباه بعيدين عنه.

وهذا يتعلق أن يكون أحباه قريبين منه قرب هذه المصالب.

ومن الأمور التي يستحيل تحقيقها قول الشاعر:
"ليت الكواكب تنغو لفانظهما عقود مدح فما أرضي لكم كلما
وقول الآخر:
"ألا ليت الشباب بعود يوما فأخوه بما فعل المسبب

197
وأمّا أكثر الأمثال التي بحثناها الشعراء، ومن أسيرها في شعرهم أن يدوّن
هم عهد الصفاء، أو ترجع إليهم أيامهم الحوائل التي كنّا نسمعون فيها بحب من
بعبونه، وهذا جميل بن معمر يقول:

"ألا ليت أيام الصفاء جميلة
وعهد تولّى يا بينين يعود" وقٍد يُذِّل على التّمّي بحرف أخرى ليست موضوحة للتعني. ولابد من أن
يكون تقلّبا إلى التّمّي لأمر من أمور البلاغة. ومن بين هذه الحروف "هل" كما
في قوله تعالى: "فهل لنا من شفاعة فيشيعوا لنا؟" (1) وعلّم الكتاب هؤلاء
ما هم فيه يتعلون بهم هو أن يكون لهم في الآخرة من شفاعة لهم ومن
الحروف التي تقلّب من معناها إلى التّمّي "هل" فقد عرفنا أنها موضوحة للرجاء.
وقد جاءت تعني "هل" في قوله تعالى حكاءة عن فرعون: "فيا هامان ابن
ابن صرحاً لعلّ أبلغ الأسّباب، أسّباب السماوات فأتلعّ إلى إله
موسي" (1). وسّر التّعبير القرآن أن فرعون بما أوارت من سلطان، وما كان بين
يديه من إمكانات وما وجد من طاعة عند أولئك الذين استخلفهم، حسب أن ما
يطلبه منهم التّحقيق، فعذر عن أثميته بحرف الرجاء، وما جاء فيه التّمّي بحرف
الرجاء و"هل" قول الشاعر:

"أصرُب القَطْع حَلَّ من يُعْرِف جَنَّاه بعِدَّة
ومن الحروف التي يكون بها التّمّي: "لَو" نحو قوله تعالى: "فُلِوْن أن لنا
كَرَة فنكون من المؤمنين" واللّه في التّمّي "هل"، ما يشعر به من عزة التّمثّيلي
بِحِب يعبّر في صورة ما لا يوجد. فإن" لو" في أصل وضعها امتّاع
لامتّاع.

(1) الأعراف: 57 (2) غافر: 36
198
وينتهي السكاكي إلى أن: هلا وآلا الموضوعين للتديم والتشخيص.

ملكيان من هل، ولو، وأنا تستخدمان للتنبيه. وحين تستخدمان مع الماضي.

يبدو عنهما التديم. كقولك: هلا أكرمته زيدا، وأنا زرت عليها. ومع المضارع ينوني عنهما التشخيص: هلا تقوم، وهلا تسمي في الخبر.

النوع الثاني من الإنشاء الطبي: الاستفهام.

وهو في اللغة لطلب الفهم. والألوان الموضوعة له: اللحمرة - هل -

ما - من - أي - كم - كيف - أيّن - أيّل - أيّان - أيّان. فاللهجة تكون للتصديق أو التصوير. وحين تكون للتصديق يسأل بها عن النسبة، ولا يذكر بعدها معال. تقول: أقام زيد؟ وأرزيد قام؟ وإذا جاءت بعدها أم تكون

منطقة يعنى هل. وذلك كقول الشاعر.

وستي أبلى بعد فهدي مالكك. أموئت نيني. ثم هو الآن واقع

فالشاعر يتحدث عن مدى إحساسه بالفقد بعد موت مالك، كما أنه بين أن البقاء لا يطول، وحين استفهم باللهجة في الشطر الثاني وقال: أموئ

نيل. ثم جاء بام، إذا كان يقصد بها الاضراب عن الحكم الذي سبق. أي أن

مون واقع الآن.

وحين تكون اللحمرة للتصديق يكون الجواب لي الإجابة نعم، وفي النفي

لا. أما حين تكون اللحمة للتصوير فإن السؤال يكون بها عن المفرد يقصد معرفته. فقولك: أحمد مسافر أم علي، إذا كنت تعلم وجود مسافر ولكنه تردد

في تبين من قام به. وإجابة تكون ببعدها فقولك: محمد. وقول: أحق قيم محمد

أم مسافر. فتكون الإجابة بعين أحدهما. والمسول عنه هو ما يليها. فإن كان

السؤال عن الفعل وليا الفعل: أقام محمد، وإن كان المسؤول عنه الفاعل وليا

(1) مفتاح العلوم: ١٦٣. इंडियन
الفاعل: أحمد قام، وإذا كان المستول عنه المفعول وليا المفعول نحو: أحسنا أكرمت. وهكذا. وقد شرح عبد القاهر الجرجانى ذلك وهو يحدث عن التقدم وما يكون له من أثر في الكلام قال: هذه، ومن أين شيء، في ذلك الاستفهام بالهمره. فإن موضع الكلام على أنك إذا قلت: ألم ترى في المال كان الشكل في الفعل نفسه، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده، وإذا قلت: ألم ترى في المال فما كان الشكل في الفاعل من هو، وكان التردد فيه؟

وأما هل فلا تكون إلا لل تصديق كقولك: هل جاء محمد، وهل عمرو جالس. وهذا يبتعد أن يأتي بعدها عامل بأم لأنها خالصة للتصديق.

وذكر أم بعدها يؤدي إلى النقاش. فإن هل تفهم أن السائل جاهل بالحكم لأنها طلبه، وأم المتصلة تفيد أن السائل عالم به، وإما يطلب تعيين أحد أمرى على نحو ما عرفنا في الهمره. وهذا يؤدي ما جاء بعد هل، وفيه أم. على نحو ما جاء في قول قيلة بن النضر في تلك الأبيات التي رثت فيها أبيها. والتي تأثر بها رسول الله ﷺ:

هل يسمع النضر إن تلقى عنه أم كيف يستمع ميت لا ينطق.

فألما هذا يعني هل، التي تفيد الإضراب.

وإذا كان التركيب يتضمن: مظلل المعلم مضمون الحكم كان استعمالٌ هل فيه في حاذا وذكر في مثل التركيب الذي يتقدم فيه المفعول نحو: هل محمد قابلت، هل البلاحة ذكرت. لأن تقدم المفعول يفيد الاحتراس في الغالب. ويعني هذا

(1) دلائل الإعجاز: 111.
أن النسبة ربما تكون قد وقعت. فتكون : هل ؟ لتصبح ما هو حاصل وذلك عبث ... 

وهناك أحكام أخرى تتعلق بحرف الاستفهام ؛ هل ؟ غير ما تقدم من بينها: 

أن ؛ هل ؛ كاسم وسوف تخلص المضارع للاستقبال. وإذا لا تستعمل فيما هو للحال، فلا يقال: هل تذاكر البلاغة الآن وهي علم يحج إلى الهند. بل يقال: أُذاكر البلاغة الآن ... الله.

يحسن أن توصل ؛ هل ؛ يفعل لفظًا أو تقديرًا ... هل يذاكر محمد ؟ وهل يحضر خالد من السفر ؛ وهل خالد يحضر من السفر. وذلك لما سبق من بيان أنها تخص بالتصديق. وإذا جاءت على غير ذلك في كلام البلاغة كان ذلك لكتة فنية يجب البحث عنها. وذلك على نحو ما نرى في قوله تعالى: لَنَفَى أَنْتَمُ "شاكمون" فيه هذا أدل على طلب شكر العباد من جميع الهجرة ؛ فأناشِد شاكمون ؛ أو دعوته على الفعل ؛ فهل تشكرون ؛".

ومن الأمور التي تتعلق ؛ جهل ؛ أنها: 

لا تدخل على النفي. فلا يقال: هل لم يسافر.
ولا تدخل على المضارع إذا كان للمحال. فلا يقال: هل تضرب التلميذ وهو وجد.
ولا تدخل على الشرط. فلا يقال: هل إذا حضر محمد أذهب معه.
ولا تدخل على إن . فلا يقال: هل إنك حاضر.
ولا تدخل على حرف العطف . فلا يقال: هل وحضر على.
ويمكن أن يحدث ذلك مع الهمرة، ويمكن أن تلاحظ الفرق من خلال
القول اللغوي: فقول: لم يستغرق أمحمد بفترة وجيزة. فإذا حضر محمد
الذهب معه، أو إنك لم تسكنه، أو يحضر محمد.
ومن - ما؟

ومن حروف الاستفهام ومن، ويستفهم بها عن العاقل. فيقال: من
وضع أمرس البلاغة. فيقال في الجواب: عبد القاهر الجرجاني، ومن الشاعر
الذي ملأ الدنيا وشغف الناس. فيقال في الجواب: أبو الطيب أحمد بن الحسين.
وهي ما ويستفهم بها عن غير العاقل، وهي أقسام:

(أ) ما يطلب بها إيضاح اسم وشرحه. نحو: ما يلبس - قبالة.

(ب) ما يطلب بها بيان حقيقة المسمى نحو: ما الحسد. فيكون
الجواب: هو من تزال لمعة الغبر.

(ج) ما يطلب فيها بيان حال الشيء. نحو: ما أنت من يتأثر والذي
لا تعرفه. ومنه قول المتنى:

ليت اللدائع تسول منابة
فما كليب وأهل الأعمر الأول
ومن حروف الاستفهام: دمتي، وسأل بها عن الزمان الماضي: دمتي
ذهب جمال الدين الأفغاني إلى مصر؟ والمستقبل: دمتي يستغرق على؟
وأيان، وتكون لصيغ الزمان المستقبلي خاصة. وتأتي في مقام التفخم.
 نحو قوله تعالى: «يسأل أيان يوم القيامة».

وأيان، ويستفهم بها عن المكان: أين تقيم؟

٢٠٢
وهانى، وتكون بمعنى: كيف أني نجح ولم يعمل للنجاح؟ وأني تحرر من الخوف؟

تقدم الأمة وقد شغلت نفسها بنفسها الأمور، وتركت أعظامها.

وتكون بمعنى: من أين، نحو قوله تعالى: "قال يا مريم أني ليس هذا؟

وتكون بمعنى: متي، نحو قوله: أني تحرر من الخوف؟

ومن حروف الاستفهام أيضاً: كيف، وسأل بها عن الحال، نحو قوله تعالى: "كيف تعمل بالجامعة؟ وكيف الإسلام في إفريقيا؟

ويكمل: كيف بال.gamma بالجامعة؟ وكيف الإسلام في إفريقيا؟

ووكم، وسأل بها عن العدد، أي يطلب بها تعيينه. نحو قوله تعالى:

"كم لبست في الأرض عدد سنين؟" وكم دولة في الجامعة العربية؟

وأي، وهي فيExposed ما تضاف إليه. فيسأل بها عن الزمان والمكان والعدد والحال ويطلب بها تعيين أحد المشاركون في أمر. نحو: أي الفصول أفضل؟ أي البلد أحب إليك، أيِ الألفريد خير مقاماً وأحسن نذبا؟

هذه بعض حروف الاستفهام والمقامات التي تستخدم فيها. والبحث في هذا وظيفة النحو، ولا يحصل بالاستخدام البلاغي إلا ما يحصل بالصحة، مقدمة ضرورية لتحقيق البلاغة.

لكن الاستفهام يخرج عن وظيفته اللغوية لغايات بلاغية بحدها السياق.

ويكشف عنها. ومن هذه الأغراض:

(1) الارم: 40.
(2) الفجر: 15.
(3) الأيتام: 22.

203
1 - الاستباقي: على غير مجد في قوله تعالى: «وإذ زارزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا بهما نصر الله. ألا إن نصر الله قريب» (1). وقول أبى العلاء:

إلا أن نقلنا ركاب ونأمل أن يكون لنا أوان


ومن هذا النوع قول النبي في نصيته العربية: «فيك فصلت أنت من الرحمان»:

أبى الدهر: عندى كل بيت فكيف وصلت أنت من الرحمان.

ومنه قوله: أم ثواب الحزينة في المنطفعة التي تحدث فيها عن عقوبته:

أصحى يُحقق أعوسي يُؤذيني أبو سبيسي: عيني يتشقى الأركان (4).

3 - التنبيه على الضلال: نحو قوله تعالى: «فأبى أذنبونا» (5).

4 - الوحيد: وذلك كقوله تعالى: «أم نملك الأولين» (6).

5 - الأمر: كقوله تعالى: «فهل أنتم مسلمون أي أسلموا.

وقوله تعالى: «فهل من مذكر» (7).

---

(1) حلفنا هذه المنفعة في كتاب نصرة أدبية 140 - 141.
(2) الفقرة: 28.
(3) الكوير: 26.
(4) غافر: 28.
(5) المرالات: 16.
6 - النبي: نحو قوله تعالى: «لا تخشونهم فدللأ حق أن تخشوه» (1).

7 - التقرير: كقوله تعالى: «أَلَاتُ قِلَتُ للناسِ اخْذُونِي وَأَيْمِي إِلَى هُنَا مِن دُونِ اللَّهِ» (2). والقول تعالى: «أَلَاتُ فَعَلْتُ هَذَا بِآثِرٍ» يشترط في الهجرة أن يلبى المقرر به. فإن كان التقرير بالفاعل كالأدينين السابقين وليا الاسم، وإن كان التقرير بالفعل وليا الفعل: ألقى هذا القول: أثبتت هذه الدار؟ وإذا كان المقرر به المنقول بويلي المعقول به: أنتما نابتين؟

8 - الإنكار: وهو على أنواع:

أ) أن يراد به التوليغ، أي ما كان يجب أن يم ذلك، أو ما ينبغي أن يكون. كأن تقول: أتعصى ربك؟ أنسى إحسان صديقك إليك؟ والغاية من هذا التنبيه على الخطأ حتى يعود السامع إلى نفسه، ويتجهل من الفعل ويرجع عنه.

ب) أن يراد به التكذيب: يعني ما قلت وما فعلت ولم يكن ذلك الفعل نحو قوله تعالى: «أَفَأَصْفَاهُم رَبُّكَ بِالبَنِينَ وَاتَّخَذَهُم مِّنَ المَلَائِكَةِ إِنا ذَا كَيْفَ تَطْرُكُونَ».

وقد يكون يعني لا يكون. نحو قوله تعالى: «أَنْتُوْكُمَا وَأَنْتُمَا كَأَهْرَاهُمْ»، وشبه قوله: «أَبَنَى مَنْ أَحَدَّ قَلِبَاءَ الْقَصَابِ» وشبه قوله: «مَسْنُونَةُ زَرقَ كَأَيْبَابٍ أَغْوَالٍ».

(1) النبوة: 12.
(2) بالمدة: 716.
ومن بجيء الهجرة للإتكار. قوله تعالى: "لا إله إلا كافك عبده".
وقول جرير:
الاسم خير من ركب المطالا وأندى العالمين بطلون راح ولابد أن يلي الهجرة المنكر. كما كان يليها المقرر به، وهذا رأى عبد القاهر البحراز. ويتضح هذا الرأي من خلال حديثه عن التقدم وما يفيده من الاختصاص. وهو يقول: "يمن أبيين شيء في ذلك الاستفهام بالمجرئة. فإن موضع الكلام على أنك إذا قلت: أعلنت؟ فيذات بالفعل كان الشك في الفعل نفسه. وكان عرضك من استفهامك أن تعلم وجوده وإذا قلت: أنت فعلت؟ فيذات بالاسم كان الشك في الفاعل من هو، وكان التردد فيه" (1).
ثم يقول ويبين أن ما يجري في الهجرة، وهي للاستفهام، يجري فيها وهم تقرير، فيقول: "واعمل أن هذا الذي ذكرت لك في الهجرة، وهي للاستفهام، قائم فيها إذا هي كانت تقرير" (2). وبعد أن يذكر الأمثلة التي تكشف المقرر به يقول:
واعمل أن الهجرة فيما ذكرنا تقرير، يفعل قد كان، وإنكار لم كان، وتويب لفاعله عليه" (3).

- ويجب الاستفهام والمراد به التهمج. وذلك كقوله تعالى: "فأصلاتك تأمرك أن ترك ما كان يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا، ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد". قال الامبراطورية تحدث عن تلك السخريجية المثيرة بالاستبانة من شعباب عليه السلام، وما كان يقربه به من الصلاة، والآية تغلب بهذه الاستفهام الرائعة: "فإنك لأنت الحليم الرشيد" كأنهم على

---
(1) دلائل الإيجاز: 140 - 141
(2) الصحيح: 142 - 143
(3) الصحيح: 144 - 145
---
الحقيقة لا يعرفون له هذه الصفات، بل يفهمون بضدًا يدلل أنهم لا يستجيبون له، ولا يستمعون لدعوته.

10 - وتشبه صيغة الاستفهام والمراد بها استبعاد حدوث الأمر. تنحو قوله تعالى: "أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين، ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون؟" وقولنا: "أنى تفهم ما قول وقد عدت العقل؟

11 - ويراد بالاستفهام هويل الأمر وتفخيمه. تنحو قوله تعالى: "الحقيقة ما الحقيقة، وما أدرك ما الحقيقة". وقوله تعالى: "العارفة ما العارفة وما أدرك ما العارفة".

12 - وياقو الاستفهام للتعظيم، مثل قوله: "رجل وأي رجل?".

وقول أبي نواس:
إذا لم تزرُ أرض الخصيب ركابنا فأتيت بعد الخصيب كنزور

13 - التحقيق: كما جاء في قوله تعالى حكايته عن قوم إبراهيم عليه السلام لما عاب أهلهم: "أهذا الذي يذكر آلهكم؟" وقولنا: "أهذا الذي جعلوه بلا وكالوا له المدج، أتله التي امتت إلى تكون رفيقة حياتك؟

14 - التخي: كما سبق في قوله تعالى: "فهل لنا من شفعاء فيشعوا لنا؟" وقول الشاعر:
هل بالمطلوب لسانك رد أم هل ما يتكلم عهد

15 - النقي: نحو قوله: "هل الدنيا إلا نانية؟ واهل المال إلا عارية".

٢٠٧
قول الشاعر:

وهل نائقي أن ترفع الحجاب بيتنا
ودون الذي أملت ينكح ججاب

وقول الآخر:

هل الدهر إلا ساعة ثم تقتضي
بما كان فيها من بلاء ومن خفض

16 - التشويق: وقد جاء كثيرا في القرآن الكريم وحديث الرسول

سما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: "هل أدلكم على تجارة
جاجكم من عذاب أليم" (1). وقوله تعالى: "هل أطيبكم بالأحسرين
أعمالكم" (2). وقوله: "هل أدلكم على رجل ينتميكم" (3). وما جاء في
قول الرسول ﷺ: "أنذرون من المفسد".

17 - النسوية: نحو قوله تعالى: "إنه علينا أوعزتم أم لم تكن
من الواعظين" (4).

18 - التكرر: ومنه قول أبي العلاء المرثي:

صاحب هذين قبورنا شفاهرود بوأين القبر من عهد عاد

19 - ويأتي الاستنهام لإظهار الأمى والمحسر. نحو قوله: "أين
المعصمه". وأين أنت يا صلاح الدين. وقول الشاعر:

أين أنت الآن يل أين أنا

_____________________________
(1) الصف: 102
(2) الشعراء: 132

408
الحالة الثالثة من الإنشاء الطليعي: الأمر:
والأمر طلب حصول شيء على طريق الاستعالة أو كما يقال من الأعل
للأدنى.

وهل صحيح أربع:
الحالة الأولى تكون يفعل الأمر: {وقدم الليل إلا قليلا} (1) وقوله:
 تعالى: {فاصعد بما تقوم} (2).
الحالة الثانية: صيغة الفعل المضارع المتون بلام الأمر: {ولكن هم من أمة}
يدعون إلى الحشر (3) وقوله تعالى: {ليتفقه ذو سمعة من سعته} ومن
قدر عليه رزقه فليتفق ما آتاه الله (4).

الحالة الثالثة: صيغة المصدر النائب عن فعله. نحو قول الشاعر:
قصراً في مجال الموت صبرنا فما ليل الخروض يُستطاع
الحالة الرابعة: اسم الفعل: نحو: حرار بمعنى الحمر، ودرّاك بمعنى أدرك.

ومنا قول الشاعر:
فحذر من أميد العرين خالبً

وقول الآخر:
وحذرُ أن ترضي معدة من يُلقى النيل ومعشق المعرى
وصيغة الأمر: تفيد إتباع الطلب على وجه اللزوم، دون حاجة إلى شيء.
لأن دلالة أصلية. لكن الأمر قد يأتي لإقاداة أمر أخرى بعدما الباق.

---
(1) آل عمران: 104.
(2) آل عمران: 7.
(3) الحشر: 94.
(4) آل عمران: 105.

209
وكشف عنها. ومن بين الأمور التي يخرج إليها الأمر وينبديها بواسطة القرآن ما يلي:

1- الدعاء. وذلك إذا كان الطلب من الأدنى للأعلى. نحو قول المسلم: ﴿إنا هب لنا من أزواجهنا وذرائنا قرة أعين، واجعلنا للمتقين إماماً﴾. ومنه قول الشاعر:

فامسلم أمير المؤمنين ولا تزل مستقلاً بالتصرف والتصرف.

2- الاقتراح: ويتوجه الأمر إليه إلى من هو في منزلة المتكلم، كأن يقول الطلب لزميله: أعرني كناك.

3- الارشاد: نحو قوله تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين﴾.

4- التحذير: نحو قوله تعالى: ﴿فأكوا بسورة من مثله﴾. وقول الفردءق:

أولاً أعبلك آبائي فجنى مثلهم إذا جمعنا يا جماعة الجامع.

5- التحقيبة والإهانة: ومنه قول أبي العلاء:

أرى العنقية تكبر أن تصادا، فمات من تطيب له عبادة.

6- الأمانة والأمر: ﴿اما أفعلوا ما شئت فإنه بما تعملون خبير﴾. ومنه قول الشاعر:

إذا لم تجف عاقبة الليلي، ولم تستمتع فاصمغ ما تشاء.

7- وما يخرج إليه الأمر من المعانق: ﴿تёмجب﴾. وذلك كقول شوق:

يصف قصر أن نصيوجد:

قُفْ بِذِي الْعَصْوٍرِ فِيمَ غَرَقُّ مُسَيِّكَاتٍ بعضها من الذُّعر بضَعًا.

(1) سورة الفرقان : 74.

٢١٠
ومنه قوله تعالى: ؟؟ أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يهتدون
سبيلاً ؟؟

8 - ومن المعاني التالية: كقوله عنترة
با دار عيلة بالجواهر تكلمًا، وعيسى صبًا دار عيلة قاسليًا
9 - الإباحة - كل ما تشاء، وابتكر ما تريد.
10 - التخبر: تروج هندا أو أختها، ومنه قول الشاعر:
عيش عزيزاً أو مثلي وتنت كريم بين طبق القنا وحنفي البشوب
والفرق بين الإباحة والخبر أن الإباحة هي جزء منها الجمع بين الأشياء مختلفاً.
11 - الإباحة والاتباع: نحو قوله تعالى: لا انظروا إلى تمره إذا
أثرك ؟؟
ولا نستطيع أن نحصر الصيغ التي تخرج إليها الأمر والتي تحددها المقامات .
لكن يرد إلى السياق، ويبدو إليها الطبع السليم، وهي تكفر في الشعر يتعدد
ورضف إليه دلالات وإيحاءات مختلفة. ولننظر إلى صيغة الأمر وما توحى به في قول
الشاعر:
كُلُّ ما الأفواه هل تكُنُّهمها
يمنع الأيدي أن تتجاوز صغرًا
خطموا الأفلام هل تحكمها
يمنع الأعيان أن تنظر ضعفًا
ففي الأمر ما نقص من التحديد والإمساك، وتبعنس المتجين من أن يقالوا من
الأحراز أو يوقعوا عزمهم الجبار عن الوصول إلى مدى الشوط. ونعني هذا المعنى

(1) الإسراء : 48
(2) الألعاب : 99
صيغة أخرى من صيغ الطلب هي الاستفهام الذي يعبر ويتقلل من شأن الأعمال التي يقوم بها أولئك المنجرون. كما يوصي بالبتيمس فيما يطلبون إليه من كسر إرادة الأخبار.

النوع الرابع من أنواع الإنشاء الطلبي: النهي:

ويوم طلب الكف عن شيء على سبيل الاستفهام. فهو مقابل الأمر. وله صيغة واحدة هي الفعل المضارع مع فلا النافية. وذلك نحو قوله تعالى: { لا تخف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والعقائد كل أولئك كان عليه منستولاً، ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرج الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً}. 

وقد كسر النبي عن أمر أخرى يكشف عنها السياق، ويعددها الموقف، وطبيعة من تصدر عنه صيغة النبي، ومن تصدر إليه تلك الصيغة.

إذا جاءت صيغة النبي من الأدنى إلى الأعلى أفادت الدعاء، وذلك كقوله تعالى: { فربنا لا تؤذانا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إسراً} كما حمله على الذين من قبلكا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ك(؟).

وإذا جاءت الصيغة من بسوار المتكلم في القدر والمثلة كانت للاتحاس.

وذلك كقول الشاعر:

إن دخلت الروح يوماً لا تلقني فإنا أحقو الزهر.
إن عشت القدر يوماً لا تلقني.
ومثل قولك لصديقك: لا تبرح حتى أعود.

(1) الإسراء: 30 - 26.
(2) البقرة: 286.
4 - كما تألق صيغة النبي للإرشاد: كان نقول لأخر: لا يضع جهده

لا يتعاف. وقول الشاعر:

إذا نطق السفية فلا تجسُّه فخُتر من إجابته السُكْكُوت.

5 - وتألق صيغة النبي للتبديد: لا تؤد واجبا. ولا تتبن عن غيك.

6 - التبييس: نحو قولك للأخر: لا تحاول في هذا الأمر. ومنه قول

الشاعر:

لا يدخنّك سمع السرباب ولا تأتي أمرًا إذا ما أحببت.

7 - التثبيت: نحو قول الحمساء:

أُعيِّن جَوْداً ولا تحمداً إلا ثقيلةً. يصخر النَّدَّي.

8 - التوبخ: نحو قولك: لا تدع غرك إلى الشيء. وأنت له تارك. ومنه

قول الشاعر:

لا ثقة عن خليق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيمٌ

السادة:

النوع الخامس من أنواع الإنشاء الطلي: البناء: وهو دعوة

المかつ إلى الإقبال بحرف ينوب عن فعل يمسي: أدعو - أو أقبل. وله أدوات


и حروف البناء على نوعين: موضوع لبناء القريب. وهو الهمرة وأی،

и موضوع لبناء البعيد وهو باق الحروف.
حين يستخدم كل من هذه الحروف فيما وضع له. أي أن ينادي بالهمزة أو أي القريب كأن يقول المرء لابنه الذي يجالسه: أي بني. أو يقول له: أبى. وأن ينادي من يعد عنه يا أو أي أو هيا. أو و. يكون الأسلوب قد جاء على ما يقتضى الظاهرة، لسياح هذه الأدوات غالباً ما يستخدم في غير ما وضعت له. إلا أنها تخرج عن المنى الذي وضعته له تعبر عن عكسه. ولا يكون ذلك إلا للكتيبة بلاغية اقتضت ذلك، ويجب البحث عنها. فمثلاً عندما ينادي بشر ابن عوادة ابنة عمه فاطمة وينبها مسيرة أيام يقول:

أنا اليوم لَا شهدت بيطن حبتي وقد لاقى الغريز أخاك بشراً.

يكون قد استخدم الهمزة الموضوعة لنداء القريب في نداء البعيد. وهنا تبحث عن السر البلاغي الذي دفعه إلى ذلك فقول إنه يشعرنا من خلال هذا الاستعمال بأن فاطمة قريبة منه، وكيف لا وهي تعيش في وجدانه، وتسكن في نفسهم، ومن نداء البعيد بأداة القريب إشاعاً بقربه من النفس وقربها منه.

قول الشاعر:

أسكن نعوان الأزكاء تثبتوا بألقكم في زوجي عيّ ر يكّ م.

وقد يحدث العكس فنادي القريب الدائم بالحروف الموضوعة لنداء البعيد، وذلك لفرض بلاغي يوضحه السياق وتكشف عنه. وذلك على نحو ما نجد في قول النبي يعتب سيف الدولة. وقد كان قريباً منه، أيربا لديه:

يا مَن يَعْرِج على ما نُفْرَقِهِمْ وُفَجَّئّنا كل شيء بعدم عندكم.

والكتيبة في هذا الاستخدام الإيجاع إلى بعد المنزلة وعولماً.
عندما يُلزم هذا ما توجه به إلى الله سبحانه وتعالى من النداء باستخدام الآية، وهي لداء البعيد، مع أنه سبحانه وتعالى منعنا تصدقنا قوله تعالى: في ما يكون من نجوية ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم. فنحن نقول: يا من يخطر الذنوب، يعفو عن السببات، ويعلم ما يفعل. ويقول الشاعر:

"با من يُرجِى للشُنَائِد كَلِهَا يا مَنْ إِلَى الْمُشْتَكِي وَالْمُفْرَعَ"

وفي استخدام هذه الأداة لزوم لأدب الخطاب مع الموال جل شأنه. وهكذا في كل موضع تبادل فيه حرف النداء وظيفته يجب أن نبحث عن الغاية والعناية من هذا الاستخدام. وتشير هنا إلى أن هذا النقل يكون داخل في البلاطين مما لو استخدم الحرف فيمعنى الذي وضع له، والى أنه بصورة عامة قد يخرج عن الغرض jedis الناشط إلى أغراض بلاغية. أى أنه لا يراد به طلب الإقبال، بل يراد به بمثاب من المعال الآتية:

1- التحصُر والتوجّع وإظهار الأمى واللوعة. وبأي ذلك في مواقف الحزن والزهاة، وذلك كقول الشاعر:

"يا قبر مَنْ كَيْف وَأَرْبَى جَوْدَهُ وقد كان منه اليوبر والبحر مَترَعَانَا"

وقول أمير الشعراء برء عمر المختار:

"يا أيها السيفُ المجسَدُ بالفَلاً يَكَسَّوُ السَّيْفُ عَلَى الزَّمانِ نضًاَةً"

وقول حافظ إبراهيم:

"يا درّة نُوعت من تاج واليداء فأصبحت جَلِيَاً في ناج رضوان"
وقول الآخر:
يا راحلًا أخلي الصبا وفضله لم يرخل
2- التمجد: كفلو شوق
أبا الحسن طال على عصرك العصر
وبلغت في الأرض اقصبى العمر
ومنه قول امرئ الفيس:
فيا لملك من ليل كان نجومه
بكل ممار النعيم شدته بين نهيل
3- الاعتصام: كفرله صلوات الله وسلامه عليه
وهلهم اغفر لنا
أيتها العصابة
4- النذة: كفرت الشاعر:
فواحجبنا كم يدعى الفضل ناقش
ووا أسفا كم يظهر النقص فناضن
5- الإغراء: كفرنا: يا بطل الميدان تقدم
ويا فارس الحلبة تقدم
6- الزيج والملافمة: كفرت بشير بن عوانة لفرسه حين جفل خشية من
الأمر:
تقدم ثم أحجم عنه مهاري
ما ملاذة فقد عشت مهترا
ومن قول الآخر:
أنا الذي متي النساب أقبح
تضح والشيب فوق رأسى
7- الاستفادة: كفرنا: واستصضاه:
وقول الشاعر:
يا للرجال ذوي الألباب من نفر
لا يبرح السفة المردى لهم دينا

١١٦
8 - التحير والذكير، وبكر في نداء الأطلال. وذلك كقول الشاعر:
أيا منزل سلمى أبين سلماك
من أجل هذا بكناها بكيساك

9 - التحبيب والتوعد. كقول شوق:
يا جارة الوادي طريت وعادني
ما يشبه الأحلام من ذكرائك

وقول الشريف الرضي:
يا ظبيه البان ترعى في خمايله
ليهتناك اليوم أن القلب مزعاك

10 - التحقيق: كقولك لآخر: يا قليم الطبع.
أسلوب القصر

من الأساليب التي على بها البلاغون ما يطلق عليه أسلوب القصر، وذلك لما يضيفه على الأسلوب من قوة التأثير، وجمال التعبير.

وكان أول من تناول بعض قضايا القصر الناقد الفذ عبد القهار الجرجاني، وذلك لأنه في معرض تناوله لقضايا النظم أشار إلى أن بعضها يفيد القصر أو التخصيص، أو نحو ما نجد في حديثه عن تقدم المسند على المسند إليه، أو تقديم بعض العلاقات الفعل عليه، أو على بعضها البعض. وقد أشارنا إلى ذلك بالتفصيل عند فتحينا عن التقدم والتأخير، كما بين عبد القهار أن تعريف المسند يفيد تصميمه بالمسمى إليه، أو يقصر عليه، إلا أن حديثه المستفيض في القصر ودلالاته، وما له من أثر في الأسلوب كان في تناوله للمسائل التي عرض لها في إجماعه ذلك لأنه يتعرض لما تتضمنه منه العني، وما تشركت به مع غيرها، وما تتفرد به كل أداة. وهو يستعرض أقوال النحاة من أمثال أبي عائض الفارسي من أن إذا تؤدي ما يؤديه النفّى والاستثناء، فهو ينقل عن النحوين (1) قولهم في الآية الكريمة: "فإذا حرر رئي الفواحش ما ظهر منها وما بطلت" إن المعنى ما حرر رئي إلا الفواحش، ثم يقول أبو عائض أنه قد وجد ما يصوب رؤيهم، أو ما يدل على صحته وهو قول الفرزدق:

"أنا الدائم الحاضر الدائم مندأر، إنما يدافع عن أخساه أن ما يئبه" 

(1) دلائل الإصبار : 314 ، 315 .

٢١٨
وأما كان الكلام لا يكون إلا موجباً أو منفياً، ولا يستقيم الإجابة حيث لا يقال. يدافع عن أحاسيبهم أنا، أو يقاتل عنهم أنا، فلم يبق إلا أن يكون المعنى ما يدافع إلا أنا، فحينئذ يفصل الضمير كما يفصل مع الفني.

ويذهب هذا المذهب أن إسحاق الزجاج حين يتناول قوله تعالى: في إما حرم عليك الميتة والدم، لا يرى النصب في الميتة هو القراءة، ويجوز: إذا حرم عليك. لكنه يختار أن تكون ما هي التي تمنع إن من العمل، ويكون المعنى ما حرم عليك إلا الميتة، لأن إما تأكل إنما يأكل بعدا، وفيما لما سواه. وقول الشاعر:

إذا يدافع عن أحاسيبهم أنا أو مثل

وأما يدافع عن أحاسيبهم إلا أنا أو مثل.

وبعد أن يستعرض عبد القاهر الجرجاني هذه الأقوال، والتي تستشف منها أن التحويلين يجعلون إما بمثابة النفي والاستثناء. هكذا مطلقاً ودون أي تفرع.

يجب عبد القاهر ينتمي - كيف يشتهى الفروق الدقيقة بين الأشياء، يقول:

دائم أنهم وإن كانوا قد قالترا هذا الذي كتبته لهم إما أنه لم يعنى بذلك أن المعنى في هذا هو المعنى في ذلك بعينه، وأن سبيلهما سبيل اللفظين بوضحان لمعنى واحد. وفرق بين أن يكون في الشيء معنى الشيء، وبين أن يكون الشيء الشيء على الإطلاق، ثم يأخذ في بيان ما بين إما، والنقاب والاستثناء من فروق. وأوها أنه لا يصح في كل موضع أن تضع النفي والاستثناء موضع إلا، وإذا يكون تبين هذه الفروق الآن من السابق لأوانه. لكنه هنا نشر إلى أن أول من تناول بعض مسائل القصر كان عبد القاهر الجرجاني، وذلك في معرض حديثه عن
الربط بإن، ثم تأوته، هذا الحرف حين تصل به [ما] وتكونه عن العمل، ولكنه لا يمكنك بهذا الفعل الذي يُفهم به الناحية، بل يعنى في بيان معان أخرى لها ولقد فتحت إشارة عبد القاهر الباب أمام متأخري البلاغين، وهم قد اهتموا بتراث البلاغة، وعمدوا إلى وضع المصطلحات له والترقيق عليه. وقد تعددت على أيديهم مصطلحات هذا الباب، كما تعددت على أيديهم مصطلحات أخرى.

تعريف القصر:

جاء في أساس البلاغة الوقشري (1)؛ قدص ر - قصرته حمسته، وهو كلاً المقصور الذي قصره قبده، وقصرت نفسي على هذا الأمر إذا لم تطمحل إلى غيره. وقصرت طرف، لم أرنه إلى ما لا ينبغي، وهن قاصرات الطرف قصرته على أزواجهم، وقصر السحر أرخاه قال حامٌ:

وأما إذا تمكن جارك غبي أن تهبح عنها بل تنم حسبها لا أزورها سبليتها خير وبرجع بعلها إليها ولم تقصر على مثنوتها وجارية مقصورة، ومقصورة الخطو، وقصيرة وقصيرة، وفروس تبصر.

مقررة.

فالمعنى اللغوي لامة قصر، يفيد فيما يفيده معي الحبس، وهذا ورد في منايس اللغة بالإضافة إلى عدم وصول الشيء مداه.

والمقصر في اصطلاح البلاغين: مصيص شيء بثبوة بطرق مختلف.

ومعنى ذلك أن القصر في المعنى الإصطلاحي لا يبعد عن المعنى اللغوي وهو حبس شيء على شيء، أو وقته عليه بحيث لا يعدان إلى غيره.

(1) جد 212.
ومن خلال التعريف السابق يتضح لنا أنه لا يلبث في أسلوب القصر من مخصص عليه. فأما القصر هو التي نوقعة عل غيره، فالقصور عليه هو الذي تقصر عليه غيره، ونوقعة عليه بحيث لا يتبعد عن سواه. فحين نظر إلى قوله تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول ﴾ يتضح لنا أننا نقصر عمدًا على الرسالة، لا يتعداه إلى غيرها من الصفات التي ينسبون إليها والرسالة مقصورة عليه.

أما الطريق المخصص الذي يليده في التعريف، فهو تعدد لسار البحث في القصر، حيث اعتمد البلاغيون بعض الطرق لأنها أكثر دوائرًا من غيرها، كما أن الأساليب التي تقيد شيئاً من التخصص كبير، وتبعية يدعو إلى تشمل البحث، وتصحابة ضبط مسائله. وعل هذا ما دفع البلاغيين إلى ما أثبتوه من قيد في التعريف، وهو قوله: ﴿بطرق مخصصة ﴾ وذلك حتى يخرجوا منه ما لم يأت على هذه الطرق. وإن أفاد التخصص.

ومن خلال التعريف الذي سبق، وجهود العلماء يمكن أن نعدد المسارات التي تنبه إليها البحث في أساليب القصر، فمن المباحث ما ينظر إلى غرض الكلام. ومنها ما ينظر إلى اعتبار حال الخاطب، ومنها ما يكون نظره إلى غرض القصر. وأيضاً يكون مخصصاً على الثاني، ومنها ما يكون النظر فيه إلى الطريق الذي تم القصر من خلاله...

أولاً: تقسيم القصر بالنظر إلى غرض الخاطب:

حين اتخذ عبد القاهر الجرجاني في الحديث عن ﴿إذا ﴿ ذكر أنها تفيد الكلام بعدها إلقاء الفعل لشيء، ونفيه عن سواه. فحين نقول: ﴿إذا حضر ﴿ إلهاً.
محمد ثبت الحضور محمد رئيسي عن غيره . وهذا الأمر لا يتوفر على هذه الأداة وحدها . فالنفي والاستثناء يفيد ذلك أيضا ، وإن اختفت هذه الإقادة في كل أداة عن الأخرى . ومن خلال النظر في هذا النفي ، ودرجة هموته أو عدم هموته . ينقسم القصر إلى قسمين :

القسم الأول : ويكون النفي فيه شاملا . أي أننا حين نقول : إنما محمد شاعر . نفى عن محمد أي صفة أخرى غير الشاعرية التي أثبتناها له ، وحين نقول : ما حضر غير محمد نفى أن يكون غير محمد في حضر . فالنفي هنا عام يشمل غير المقصور عليه . والقصر من هذا النوع يسمى حقيقا .

أما إذا كان النفي يتوجه إلى مقصوص ، أو معين . . كأن نقول : ما حضر إلا محمد بالنظر إلى أحمد أو علي مثل ، فإن هذا النوع من القصر يسمى قصر إضافيا ; ومنه هذا أن القصر الحقيقي هو ما يتوجه النفي فيه إلى كل ما عدا المقصور عليه ، إن القصر يختص به بحيث لا يتجاوزه إلى غيره مطلقا . و منه لا إلا

إلا الله ، وما معبود يحل غير الله ،

والقصر الإضافي : ما يختص فيه المقصور بالمقصور عليه بالنسبة إلى شيء معين يبحث لا يتعداه إلى ذلك الشيء ، وإن تعداه لنفسه . وذلك كأن نقول : ما شاعر إلا شوق ، بالنظر إلى حافظ مثل ، ... إننا في مثل هذه الحالة نقصر الشاعرية على شوق بالنسبة للحافظ بحيث لا تسحب الشاعرية عليه . ولكن يمكن أن تمدي شوق إلى مطران مثلا.

إن قصد المتكلم هو الذي يحدد نوع هذا القصر ، فإن كان يقصد نفى الصوم كان القصر حقيقا . وإن كان يقيد نفي الحخصص كان القصر إضافيا .

٢٢٢
القصر التحيقي والإدعاه:

ويتفرع البحث من خلال هذه القسمين من أقسام القصر إلى فروع.

القصر الحقيقي وهو الذي يكون النفي في شكله ما يكون الواقع الخارجي يصومه. مثل قولنا: لا خطيبي في البلد غير على، ولا يوجد بالفعل من الخطيب، غيره. ونحو الأمثلة التي سبقت والتي توقف الألوهية على الله في مثل قولنا: لا إله إلا الله. وقولنا: إنا الله وحده، ويسع هذا القصر تحققًا، أي أن النسبة الخارجية تطابق ما ذهب إليه المتكلم حقيقة.

وقد يكون الواقع الخارجي لا يطابق مثل قولنا: لا شاعر إلا شوق. مع العلم أنه يوجد شعراء غيره. لكننا نمز أن شوق هو الذي اكتمل له هذه الصفة، ومن ثم يقال في إسناها إليه وقصرها عليه. ويسع هذا النوع من القصر ادعاياً.

وتخلص من هذا إلى أن القصر بالنظر إلى عموم النفي وخصوصه يتسم إلى القصر الحقيقي والقصر الإضاف، والقصر الحقيقي إذا كان القصر يطابق فيه الواقع فهو القصر الحقيقي، وإن كان يختلف مع الواقع فهو القصر الإدعاً.

ومن القصر الحقيقي التحقيق قولنا: لا معبد بمعنى إلا الله. فإن العبادة الحنفية تتعلق به وحده، ولا تعداء إلى غيره من سائر المخلوقين على سبيل الحقيقة، وهي أيضاً تطابق الواقع. ومن القصر الحقيقي الإدعا قول الشاعر:

لا سيئ إلا ذو الفقار ولا كي إلا على

فهى البيت توجد صورتان من صور القصر. الأول لا سيئ إلا ذو الفقار، وفيها قصر هذه الصفة عليها، التي تشير إلى شجاعة. لكن من المعروف أنه يوجد من يصف بهذه الصفة سواء. لكننا نبالغ في الرفع بأنها
اكتملت فيه كما لم تكتمل لغيره. إن ما نزعمه من فكر هذه الصفة على المسمى
بذا الاسم ليس إلا من ياب المبالغة والادعاء.
والثانية: فكر صفة الفتوة على المسمى بعلي، لكن الواقع يقول هناك
كثيرون يفضلون الفتوة، فهى في الحقيقة ليست وقفاً على من سياء علية.
وليس وقفاً عليها إلا من ياب المبالغة والادعاء.
والقصر الإضاف: وهو ما سبق أن قلنا إن النفي فيه يتوجه إلى المختص:
أي أننا حين نقول: لا شاعر إلا شوق لا نقصد أن نفى الشاعرية عن كل
الشعراء نفياً عاماً ولكن نريد ذلك بالنسبة لحافظ أو مطران مثلًا.
وتقسم القصر الإضاف إذا ينظر فيه إلى اعتقاد المخاطب. فالخاطب قد
يعتقد أن الشاعرية ليست وقفاً على شوق وإنما يشاركه فيها حافظ ومطران. وقد
يعتقد أن هذه الشاعرية هي حافظ ومطران لسويش ونسته. وقد يكون صرداً في
نسبة هذه الصفة إلى واحد من هؤلاء الشعراء. ومن خلال هذا التصور ينتج لنا
من صور القصر الإضاف ثلاث صور:
الصورة الأولى حين نقول: لا شاعر إلا شوق من ينصور أن حافظاً
يشتركه في هذه الصفة. يسمى القصر هنا قصر الإفراد. أي أن القصر الإفراد
يوجه إلى من يعتقد الشركة. ومنه أيضاً: ما العقاد إلا كاتب برد به على من
يذهب إلى أنه كاتب وشاعر. يسمى هذا النوع قصر الإفراد لقطع الشركة التي
يعتقدها المخاطب.
الصورة الثانية: فيها يكون المخاطب متزاماً بين شيئين لا يقطع بواحد
منهما: وذلك نحو قوله: ما كريم إلا حام مما تردد بين فكر الكرم عليه أو على
عذرة بن الورد مثلًا: إن المخاطب لا يقطع بأيهما الكرم. ومنه أيضاً: ما على

224
لا ناجح لن يترد بثن نباحه ورموبه ويسى هذا النوع من القصر قصر
الطيب : فيقصر الطيب ما يكون الخاطب مرتداً فيه بين أمرين لا ي.bmp Böyle
منهما ، وتأتي صورة القصر لعين واحد منهما . سواء كانت صورة سماج
وصغرى ، كقولنا : ما كريم إلا حام . أو قصر موصوف على صفة ، وذلك
كقولنا : ما على إلا ناجح .

والصوره الثالثة : وفيها يكون الخاطب معقداً عكس الحكم الذي بيه
التكلم ، وكذلك كقولنا : إذا البرى ، زيد لم يعتقد أن زيد هو من بوجه إليه
الكلام ، وقالوا : إذا محمد كريم لم يعتقد أن عمه أبي خيل وابسر
القصر الإضافي قصر القلب ، لأن المنكلم يأتي بعكس اعتقاد الخاطب ، أو يقلب
قصده .

وقبل أن نتحدث عن الآفاق الفنيّة التي تتيحها أساليب القصر وصوره
المختلفة وأثبت ما ورد عن العلماء بشأنه . وما يكون بين طرخه المختلفة من اختلاف
في صور الأداء استكملاً ما ورد في هذا الباب من أقسام . بالإضافة إلى تقسيم
القصر إلى قصر حقيقي وإضافي . وما اتبعته إبناها . أن يضيف العلماء تسمين آخر
أحدهما يناظرون فيه إلى طرق القصر ، ثانياً : ينظرون فيه إلى الطرق
المستخدمة في القصر ..

أما تقسيم القصر بالنظر إلى طرفيه ، فهو إما قصر موصوف على صفة ،
أو قصر موصوف على صفة ، والمراة بالصفة في باب القصر ليس وقفاً على النعت
المروف في علم النحو ، بل يتباهى إلى كل وصف مفتوح يقوم بالغير ، ويقابل
الذات وقد يكون هذا بالفعل أو الطرف وأمجار والمجازر نقول : ما كريم
إلا محمد ، وما يقوم إلا علي ، وليس عندي غير كتاب ، وما في الدار إلا حسام .

270
ومن أمثلة قصر اللفظ على الموصوف ما سبق من الأمثلة. وقوله تعالى:

"وقد أنزلنا إليك آيات بنات وما يكفر بها إلا الفاسقون" في الآية الكريمة قصر لفظ الكفر على الفاسقين. وكأنها تخص هؤلاء الفاسقين دون غيرهم من الناس. لكن ذلك لا يمنع من أن يتصف هؤلاء الفاسقون بالصفات الأخرى كأتيان الموبقات، والإنساد في الأرض، وقطع الأرحام وغير ذلك.

وهذه الآية من القصر الحقيقي لأن الكفر كما قلنا وقف على هؤلاء لا يتعادل إلى غيرهم.

ومن قصر اللفظ على الموصوف نقولا: "لا إله إلا الله" فقد قرنا صفة الألوهية على الله وحده لا تتعادل إلى غيره، وهي من القصر الحقيقي الحقيقى، فالنفي فيها عام وشامل والسبة فيها تطابق الواقع ويصدقها. ومن هذا النوع أيضا قول الشاعر:

لا يعرف الشوق إلا من يُركبه، ولا الصباية إلا من يُعَنيها،

ومنه قوله تعالى: "لله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنا ولا يوم، له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنه إلا بإذنه، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يضيعون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسي السماوات والأرض، ولا يولد حفظهما، وهو العلي العظيم" (1) في هذه الآية تعدد صور القصر وأنواعه، فجد نصر اللفظ على الموصوف في قوله: "لا إله إلا هو" وقوله: "ولاء لا يطبعون بشيء من علمه إلا بما شاء" فله قصر معرفة أي شيء من علم الله سبحانه وتعالى. صغر أو كبير، على علمه سبحانه.

---

(1) البقرة: 282.
وهل هذه الصورة في النوع قوله تعالى: "يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يشعرون إلا لن ارتدى، وهم من خشيته مشفقون" (1) وهذه الآية تأتي في سياق نفي سبحانه ما زعم المبطلون من القول بأن الله سبحانه أتخذ ولداً. فيضرب الله عما قال هؤلاء. ربيت أن أتخذ عباداً مكرمين. لا يقولون إلا ما يقول ربيهم؛ وبعد أن يقول: إنه ملائكته الذين لا يحضرون ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمنون. بل أكثر من ذلك لا يشعرون لأحد ما لم يكن الله سبحانه تعالى قد رضى عن هذه الشفاعة. وله الآية السابقة تجد القصر عن طريق العطف في بل التي نفت الحكم عما قبلها، وأثبتت لما بعدها. فقد نفت أن يكون الله قد أتخذ ولداً. وأثبت أن أعبد عباداً مكرمين صنعتهم الطاعة والانقياد والتسليم والامثال، ثم يأتي القصر في الآية الثانية وهو من قصر الصفة على الوضوح فقيراً حقاً شأنه شأن القصر في الآية السابقة. وهي تصر الشفاعة على أولئك الذين رضى الله عنه، ورغب في العفو عنهم والتجارز عما يكون قد وقع منهم من الذنب الصغير التي لا تصدق في العقيدة.

ومن قصر الموصوف على الصفة. ما نجد في قوله تعالى: "وما محمد إلا رسول قد خلطت من قبله الرسل" فقد قصر عبداً على الرسالة. وهذا هو كثيراً كثيراً من الرسالة، لم يكتب له كما لم يكتب له غيره الخالدون، تصديقاً لقوله تعالى: "وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد، إلا من فهم الخالدون" (2) ومن قصر الموصوف على الصفة أيضاً قوله تعالى: "وما أنا إلا بشر" (3) فقد استندت الآية على صورتين من قصر الموصوف على الصفة. الأول: " وما أنا إلا بشر" حيث

(1) الآية: 28

227
قصر الرسول على البشرية لا يتجاوزها إلى ما يكون ملكا، والثانية قصر موصوف.

على صفا.

ومنه أيضاً: "أ ما المسيح ابن مريم إلا رسول الله فَتَمَّ وَقَفُّ السَّيِّد
على السلام على الرسالة لا يتعداه إلى غيرها من الصفات التي أطلقها بعض النصارى عليه، من كون المسيح إلهًا أو أنه ابن الله - تعالى الله عما يقولون - علوا كبيراً.

وأما جاء من الشعر في قصر الموصوف على الصفة قول عبد الله بن قيس الرقيات في مدح مصعب بن الزبير:

إِمَّا مِصَعْبٌ شِهَابٌ مِنَ اللَّهِ تَجْلَتُ عَن وَجْهِهِ الْفَلْسَاء
قد جعل الشاعر مصعبا كأمه نور ليس غير. وهذا البيت قد أثار حنق عبد الملك بن مروان ولم يقبل من الشاعر أن بمدحه بعد ذلك يقول:

يَأْتِلُوَّ النَّجَّاحَ فَوَقَّ عَمَّيْهِ على جبين كأنه الذهب.

وقال له: مُلْحِقَاتُ النَّجَّاحِ كأني من ملوك العجم، وتقول في مصعب:

إِمَّا مِصَعْبٌ شِهَابٌ مِنَ اللَّهِ.

ويره بعض الدارسين على هذا القول سريعاً دون أن يقفوا على الغاية منه. إنه يصور جوهر المشكلة التي يحدث حولها الخلاف، وهي قضية الخلافة. لقد أدرك عبد الملك أن الشاعر يسلم لمصعب بالخلافة بينما يساير القول بأن الأمويين قد حولوا الخلافة إلى ملك عضود.

٢٨٨
إن قصر مصعب على أن يكون نوراً من الله انشقت عنه الظلامة مدع يليل
بأمير المؤمنين وبخليفة المسلمين ... لقد كان عبد الملك يثير بأصابع الأحجام إلى
الشاعر. وأنه لا يخلص الرد للأمرين ولا يسلم لهم بهذا الأمر الديني العظيم.

القصر بالنظر إلى طرقه:

أشارنا في صدارة هذا القول إلى أن للقصر طرفاً كثيراً، منها تعرف المنداء
والمسند إليه. ومنها استخدام ألفاظ مثل: محمد حضر وحده، أو الجواد
فصحب. ومنها استخدام ضمير الفصل. لكن البلاغيين قصروا نظرهم على أربع
طرق هي:

أولاً: النفى والاستثناء:

مثل قوله: ما محمد إلا كريم. وقول الشاعر:

ما أنت إلا إصبع دميست في سائل الله ما لقيت.

وهذا في قصر الموصوف على الصفة، وفي قصر الصفة على الموصوف:
ما ذكي إلا على، ولا بطل غير خالد. وهذا من باب القصر الإضافي إذا نظرنا في
النفى إلى شخص، والادعاء إذا توجه النفى إلى الموصوم.

والمقصور عليه بعد النفى والاستثناء هو الواقع بعد إلا: ففى المثال الأول
المقصور عليه كريم، والمقصور محمد. وفي البيت الضمير هو المقصور والإصبع
الذي دمت هي المقصور عليه، أما في قوله: ما ذكي إلا على . فإن المقصور
عليه هو عل، والمقصور هو الصفة والذكاء. وفي المثال الأخير: لا بطل
غير خالد، المقصور هو البطولة والمقصور عليه خالد. ويظهر من المثال السابق
أن أدوات الاستثناء في العمل سواء.

229
ثانياً: القصر بإثما،

عرضنا أول الحديث في موضع القصر ما ذهب إليه أبو علي الشيرازي ووافقه عليه الرجاح في إفادته إنما للنفي والاستثناء، وقلنا إن عبد القاهر جاء بعد أن فراد الأمر بيانا، وعلى ذلك يكون إفادته إنما القصر، لأنها تفيد النفي والاستثناء، يقول عبد القاهر في هذه الأداة: واعلم أنها تفيد الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره، فإذا قلت: إنما جاء زيد: عُقِيل منه أنك أوردت أن تفني أن يكون الجائر غيره، فمعنى الكلام معها شبيه بالمعنى في قوله: جاعل زيد لا عمر، وبعد أن بين اشتراك إنما مع ولا، بين الفرق، بينما. ويأخذ في بيان ما بين إنما و وما ولا إلا من اشتراك. وسوف يأتي الحديث عن ذلك. ومن أجملة القصر بها قوله تعالى: إنما أومكم وأولادكم فتنة وثنا، عنة أجر عظيم.(1) وهي من قصر الموصوف على الصفة، وته قولنا: إنما شوق شاعر.

ومن فقر الصفة عن الموصوف قوله تعالى: إنما يخشى الله من عباده العلماء فإني الآية قصر في خصين الله على العلماء، وكأن هذه الخصية لا تتعدىهم إلى غيرهم لأنهم الذين عرفوا عن يقين. وبالنظر الصالح أن الواحد الخالق ولبعض القاهر الجرجاني بيان لأصل من أصول القصر، إنما من خلال حديثه عن القصر في هذه الآية. إنه يدده بها لبيان المصور والمصور عليه معها، وهو المؤمر، فاسم الله تعالى حين تقدم أفاد أن المراد بالاختصاص هم العلماء وأنهم الذين يخشون ربي لا غيرهم، لكن إذا تأخر اسم الله وصار الوضع: إنما يخشى العلماء الله، فسوف يكون اسم الله هو المصور عليه، ومتا هذا يكون في النفي والاستثناء فالقصر عليه دائما هو ما بعد إلا .

(1) مراجع: 101

230
ومن أمثلة قصر الصفة على الموجود مع هذه الأداة قول الفرزدي:

الراشد الحامي الزمان ونما الدفاع عن أحساسيما أنا أو مثل

ومن الأمور التي جعلت مصرا مثل ما، إلا جريح الضمير بعدها

منفصل، وقد سبق الكلام على ما قال النحويون في هذا.

ومن المواضع التي يحسن القصر فيها بإنما ما يكون التصد في الكلام إلى

العريض، على أن ما نجد في قوله تعالى: "فإذا يجيب الذين يسعنون" ففي الآية تعرض بأولئك الذي توجه إليه دعوا الحق، فيها ما فيها من الوصوح والبراهين وهم لا يستجيبون لداعي الحق، والآية تعرض بهم، وتذهب إلى أنهم قد كفوا السمع، ومن ثم لا تحقق منهم الإجابة.

ومنها أيضا قول تعالى: "فإذا يتذكر أولو الألباب" فليهن أن الحق

يحقق أصحاب العقول، أما أولئك الذين لا يتذكرون وين أديهم ما يدعو إلى

الذكر فكأنهم كفوا الألباب.

إذا كان العريض أحسن مواقع هذه الأداة، لأن الحكم بها معلوم

للمخاطب، فالمراد بها ليس إفادة المخاطب شينا هو معلوم له، بل يكون المقصود

التلوى إلى منى آخر.

مثال: العطف لا، أو ن، أو بل، أو ل، لكن،.

يوجد ثلاثة أنواع من أدوات العطف تشيد القصر هي ولا والمقصور

عليها هو الم튜وف عليه، أو هو المعادل لها بعدها. تقول: الكاتب المقداد

1

(1) النهج الواضح: 96.
لا شكرى. فالقصور عليه هو ه: المقصور عليه هو ه: المثال من قصر الصفة على الموصوف. أما قصر الموصوف على الصفة، فمثل قوله: الحكيم كاتب لا شاعر.
والمقصور عليه في ه: بل هو المطوف وهو الذي يأتي بعدها. فقال:
"والرواي الحكيم بل نجيب محفوظه". وهو من قصر الصفة على الموصوف.
أما قصر الموصوف على الصفة فمثل قوله: "الحكيم شاعر بل كاتب مسرحي".

والقصور عليه عند المطوف بل هو المطوف أيضاً. مثل قوله:
ما عبد الحميد شاعر لكن كاتب. ومنه قوله تعالى: "ما كان محمد أبا أحد من رجالكم و لكن رسول الله و خامم النبيين" والمثالان من قصر الموصوف على الصفة. فلى المثال الأول قسراً عبد الحميد على صفة الكتابة، وفي الآية قسراً محمد عليه أمن م ما كونه "رسول الله" و خامم النبئين.

رابعًا: تقدم ما حقه التأخر:

استقر في العريض أن هناك أموراً تقدم في الكلام على غيرها. فالمبتدأ يتقدم على الخبر، والفاعل يتقدم على المفعول.

والمفعول يتقدم على عامله. وهذا التقدم - الذي يبنى على غير الأصل - يفيد التخصص وقد سبقت الإشارة إلى هذا عند الحديث عن التقدم والتأخير.
والمقصور عليه في هذه الحالة هو المقدم. ومن أمثلة القصر عن طريق التقدم قوله تعالى: "لا إله إلا أنت\". فتقدم المفعول به: الضمير: قصر المبادرة عليه، وهو من قصر الصفة على الموصوف. وهو من التصرح الحقيقي أي نبعد وحيد لا غيرك. وإذا جعلناه من القصر الإضافي ونظرنا إلى اعتقاد المناطبي كان من الإفراد أن يظن الاشتراك كهؤلاء الذين قالوا إن الله ثلاث ثلاثة، وهو من قصر
التعيين لمن يتردد بين عبادة الله وغيره، وهو من قصر القلب لمن جعل العبادة لغير
الله.

أما قصر الموصوف على الصفة فمثل قولنا: عرى أنا. أي لا غير عرى إذا
كان القصر حقينياً، أو لا حني، أو تركي إذا كان القصر إضافياً.

ومن أمثلة القصر عن طريق التقدم، قول إبراهيم ناجي في قصيدة المودة:

آه ما صنع الله، يا ما هذا الطلس العابس أنت
والخيل المطرقة الرأس أنا، قد ما بيننا على الضنك
وبت.

قوله:

ركى الخليج للعاني، الطلل،
وطال الخليل للعاني، الطلل.
وأما جنوك كيما أستريح
كفربي آب، بين وادي المحن.
ورستا رحلت على أرض الوطن.

ففي البيتين الأولين نجد صورتين من صور القصر يمثل بها الشاعر حاله
وحالة هذا البيت الذي كان مأوى به أحباه عمار، يمتهن باليجة والسعادة،
وتكد النفوس تطور إليه شوقاً لكنه بعد أن يرحل أحبابه الشاعر عنه يتحول إلى
طلال عابس، أو يوقف الشاعر عليه العوس حتى يصبح حالة ملزمة له لانتفاذه.

والشاعر الذي كان يمتلك بالسعادة والبهجة، ويشتكي حين يأتي هذا البيت تعكس
الصورة عليه نفسه، فتحول إلى خيال مطرق الرأس، تعطله نفسه بالأمي
والمجرة. لقد أصبح إطار الرأس هو حاله التي لا يفارقها إلى غيرها.

والتي كانا يترددان من قبل في صور النمذجة والإشراق.

233
لقد قصر الملكان على الطلح العابس، وقصر نفسه على الخيال المطرق الرأس. والصورتان من قصر الموصوف على الصفة.

أما الآيات الأخرى فصورة القصر في البيت الثالث هي تقديم الجار والمجروح على الفعل والفاعل وعلي بابك، والرايغ: كيف كف الله عن غربى، فقد تقدم الجار والمجروح على الفعل والفاعل، ولكننا جمعنا بالأيات الثلاثة التي سبقتها حتى لا غرق الصورة الفنية التي أبدعها الشاعر، والتي لا تقل صورة القصر إلا جزئيتها من جزئيها.

أما الآيات ففيها يناغي الشاعر هذا المكان، ويذكر ما كان له في نفسه، وكيف كان يشفق عليه ويحنو، بأنه حين يشتده النصب فيجد عند النزهة والمهدوء. لكنه لم يحظ بهذا عندما جاءه هذه المرة على الرغم من طول الرحلة، وشدته المعاناة. لقد أراد أن يلقى إليه جمعته كما يلقى عليها الغريب العائد إلى أهله، ولكنهم، لقد تغيرت الأحوال، وتكرر الألف للفقه، ولم تصبح حياة اليوم كحياة أمس.

وحل القارئ إلى الفصل الذي تحدثنا فيه عن التقدم والتأخير، وشبه مجد أمثلة متعددة لأساليب القصر. وقمنا هناك بتحليل بعضها والكشف عن مواطن الجمال فيها تحقيقاً للنهج الذي أثرناه في دراسة البلاغة.

ويا بتحقيق القصر حين يتقدم الجار والمجروح كما هو في الأمثلة التي سبقتها من شعره ناجي، يحقق حين يتقدم الحال نحو ما جاء راكباً إلا عمداً، والتميز: ما طاب نفسه إلا على...
دقائق لباب القصر:

يفهم من الكلام السابق أن الطرق التي مضت تفيد تخصص شيء آخر.

روحه عليه بحيث لا يتعدى إلى غره إلا أن بين هذه الطرق أفران ودقائق توقف تحقيق البلاغة على معرفتها. وقد سبقت الإشارة إلى ما قام به عبد القاهر الجرجاني من النص على ما بين هذه الطرق. وذلك بعد أن ذكر ما أشار إليها التحال من إعفاء: إما: ما يفيد النيى والاستناد. فقال: أعلم أنهم وإن كانوا قد قالوا هذا الذي كتبه لك، فإنهم لم يروا بذلك أن المعنى في هذا هو المعنى في ذلك بعينه، وأن سبيلهما سبيل اللغتين موضعان لهذه وحيدة. وفرق بين أن يكون في الشيء معنى الشيء، وأن يكون الشيء الشيء على الإطلاق. ثم أخذ في التدليل على هذه القضية. وذلك من خلال الإيان بعض الأمثلة التي تصح فيها: إما: ولا يصح أن تستبدل بالنيى والاستناد. وقد كان هذا مدخل الشيوخ يتناول فيه أهم ما يكون بين طرق القصر الأربعة من الفروق وما تختص به كل أداة.

أول هذه الخصوصيات والفروق هو أن إذا: تأكل في الخير الذي لا يجهله المناطيب، ولا يدفع صحته. أى: أن تأتي الأكبر المعلوم أو ما ينزل منيلة المعلوم. فمثال ما هو معلوم قولة: إذا هو أخوك، وإما هو صاحب القدم، فمن المعلوم أنه يعرف أخوته ولا يجهلها، وعرف الصحبة ولا ينكرا. وإذا قال له هذا الكلام فربية لقيبه على أخيه، ودقعا للفضف من نفسه على صديقه.

وعلى هذا جاء قول أبو الطيب:

إذا أنت والد والاب القا: بطع أحياء من واسع الأنباء،

فلم يرد أبو الطيب أن يلزم كافورا به والد، وكافور لا يحتاج لذلك لأنه يعرفه. لكنه أورد بذلك ما يترتب على هذه الأبوة من صلات وبر، و مثل
ذلك قولهم: "إذا يعجل من يخشى الفوت، فمن الثابت الذي لا يجهله العقول.
أن من لا يخشى الفوت لا يعجل. وما جاء على هذا النحو في القرآن الكريم قوله تعالى: "إذا يستجيب الذين يسمعون". وقوله تعالى: "إذا أنت منذور من بخشاكما". وقوله تعالى: "إذا تنذر من أتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب".

وأما ما ينزل منزلة المعلوم فقول عبد الله بن قيس الزرقاء:
إذا مصعب شهاب من الله تقبل عني وجهه الظلماء.
قول عبد القاهر(1): ادعى في كون المدرخ بهذه الصفة أنه أمر ظاهر معلوم للجميع على عادة الشعراء إذا مدواهم أن يبدعوا في الأوصاف التي يذكرون بها المدرجوين أنها ثابتة لهم. وأنهم شهروا بها، وأنهم لم يروا إلا بالمعلوم الظاهر الذي لا يدفعه أحد. كما قال:
"وتعذبني أسماء سعد عليهم وما قلت إلا بالذي علمت سمداً.
وكما قال البهري:
لا أدعى لأي عملة فضيلة حتى سلمها إليه عبداً.
ثالثاً: على عكس الأمر في، إذا يكون في النفى والاستثناء، أي أنه يأتي للأمر بتكره الخاطف ويشك فيه. فإذا قلت ما هو إلا عجب، قلته لم يذكر الجهد عندك أو يشك في وقوعه. وبئره ما هو إلا شجاع، وما هو غير كريم. ومثل ذلك إذا رأيت قادماً من بعيد فقلت ما هو إلا محمد. فإن قوله هذا لم يأت إلا وصاحبه يتوهم أنه ليس محمدا وأنه إنسان آخر. وعنى ذلك أنه لا يصح أن

(1) دلائل الإسناد: 217، 218.
تقول للشخص ترققه على أخيه ما هو إلا أموك. وكذلك لا يصبح أن تقول في
إما أنت والد، ما أنت إلا والد. وهمداً كل ما كان معلوماً على الصحة
لا يجوز فيه النصف والاستثناء. أما إذا كان من الأمور المحتملة فتصبح أن يأكل النبي
والأستثناء بدلاً من إما. وهذا ما أثبته عبد القاهر في قول الشاعر:
إما مصعب شهاب من الله
فهذا ليس معلوماً على الصحة، بل هو إدعاء من الشاعر. فإن كان يzeńه
بالنفي والاستثناء يخرج عن حد المبالغة، وهم ما يتطلب المدح.
وقد يأتي في الكلام البيليغ ما يستخدم فيه النفي والاستثناء مع أن الظاهرة
كان يتبني أن يكون إما 4، لكن عند التدقيق يتضح أن ذلك كان لنكتة فنية.
ففي قوله تعالى: "إنا أنت إلا بشر مثلنا" ثورة أن تصدقنا عما كان يعبد
آباؤنا. جاءت الآية إن، وإلا، ولم يقل جل شأنه: "إنا أنت بشر مثلنا" لأن
الحوار أنهم بشر، وأن أحداً لا ينكر هذا. ويوقتنا عبد القاهر في النكتة في هذا
الاستخدام، وهى أن المخاطبين ذهوا إلى أن هؤلاء الرسل عرجموا عن البشرية
بادعائهم أنهم مرسلون، أو أن هؤلاء الرسل أخرجوا أنفسهم من البشرية فجاية
المخاطب بما يناسب ذلك. أما رد الرسول عليهم بقولهم: "إنا إنا إلا بشر
مثلكم" فقد جاءه فإن وما ها، لأن من حكم من ادعى عليه خصم الخلاف
في أمر هو لا يخالف فيه أن بعيد كلام الحضمر على وجهه، ويجبه به على هيئته،
ويعتبر كما هو. وما كان قوله تعالى: "فقل إنا أنت بشر مثلكم" في إثارة
كلام أمر النبي بـ "إنا أنت لا يجوز لأنه أمر غير منكر"، ولم يكن جواباً عن كلام آخر
على نحو ما سبق في الآية الأولى. وجملة الأمر إن كنا رأيت شيئاً هو من

(1) دلالي الأعصار: 368.

237
المعلوم الذي لا يشك فيه قد جاء بالنفي، فذلك لتقدير معنى صار به في حكم
المنكوب فيه، فمن ذلك قوله تعالى: "وما أنت بمستعمن في القيروان، إن
أنت إلا نذير" إنما جاء بالنفي والبديعات تزولا لحال النبي عليه الصلاة وسلم
من يظن أن في إمكانه أن يحول قلوبهم عما اعتقدت عليه من الكفر (1). لقد أراد الله
سيحاته أن يقول للنبي عليه الصلاة وسلم: إنك لن تستطيع أن تحول قلوبهم
عما هي عليه من الإياء، ولا تملك أن توقع الإمام في نفسههم، مع إصرارهم
على كفرهم، واستمرارهم على جهلهم، وصدفهم بأسماهم عما تقوله لهم،
وتلوه عليهم. واللائق في هذه الحال أن يجعل حال النبي عليه الصلاة وسلم
حال من طن أنه يقدر على ذلك، ومن لا يعلم على وجه البقين أنه ليس في وسعه
سوي أن يدبر ويغير (2).

ثالثاً: تقيد إما ما يقيد النفي والاستثناء من إيجاب الفعل لشيء
ونفيه عن سواء، وقد سبقت الإشارة إلى هذا. إلا أن إذا، إذا، نكبت عن النفي
والاستثناء لأنها تقيد الأمور معاً دفعة واحدة، وليس الأمر كذلك في النفي
والاستثناء. فحين نقول: إذا جاء محمد، فإن ما يعقل منه أنها تثبت المنهج
محمد ونفيه عن غيره. وهذا ما يتحقق مع النفي والاستثناء. ومعنى هذا أنهما
يتشكان في هذا القدر من الإقادة ثم تتميز إذا، إذا بإفادتها الأمور معاً.
ويفضل عبد الله: إذا، إذا، مرة أخرى على النفي والاستثناء هن، لأنها تجعل
الأمر ظاهراً في الذي ثبت له الفعل. ولا يحقق مثل هذا الظهور في النفي
والاستثناء (3).

(1) الساق: 318، 319
(2) دلائل الإحصاء: 319
(3) الساق: 320

238
العاطفة إنها تختلف عن العالي ما وربما للنور، فليس معنى هذا أنها تبقى الشركة في
الفعل، أي أننا لا نريد مثلاً في قولنا: الحديث محمد لا على أن نفسي عن على
المشاركة في الحديث، بل المراد أن نفسي أن يكون قد وقع منه هذا الشيء أصلاً.
لله noticias متحدثان بل متحدث واحد.
وحين نقول: الحديث محمد لا على، لا نقوله إلا إذا كان حديث قد وقع,
لكن الحديث لا يشير إلى مكان أو ظن أنه من علي مثله كان من محمد.
فحقنا له بقولنا: الحديث محمد لا على القضية، ومحمد أن الحديث كان من
فعندما نقول: إذا الحديث محمد، لم يكن الغرض أن نفسي أن محدثاً الحديث معه غيره.
إذا الحديث منه وردة لم يشارك فيه أحد، ولكن قد كانت شبهة في أن الحديث غير
محمد رفع الكلام هذه الشبهة، وكذلك تفيد العبارة أنه كان متحدث. فنحن
لا نقولها حتى يكون قد بلغ المخاطب أن قد تحدث محدثاً ولكن المخاطب يظن أنه
غير محمد كم كمل مثلاً، فأعلناه بالعبارة أن الحديث محمد لا غيره.

خامساً: لا يجامع اللفظ [ بلا ] العاطفة اللفظ والاستثناء فلا يصح أن
نقول: ما شاعر إلا شوق لا حافظ، لأن شروط اللفظ بلا العاطفة إلا يكون منفياً
قبلها، لكن اللفظ بلا经过多年 إذ يجامع للله، وبعض التقدم، فيقال مثلاً: هب إذا أنا
طالب علم لا تأجر، وقد إذا أنا عرقي لا عجمي، كما يقال في التقدم: محمد
أكرمت لا علياً، وعيلة الجواز في رغبة الطريقين أن اللفظ فيها مضمون.

سادساً: دلالة الحصر في طرق القصر - غير التقدم - بالوضع. أي أنها تفيد
الحصر بالوضع أما دلالة التقدم على الحصر فإنها هي بالفهوم والنطق. أي أن
الطرق الأخرى تفيد الحصر بدلاتها الوضعية. فلا العاطفة موضوعة للنفى بعد الأنبات. ويل ولكن، موضوعتان للإنبات بعد النفى، وذلك مفيد للقصر. ومثل ذلك في النفي والاستثناء. فإن حرف النفي موضوع للنفى، وحرف الاستثناء موضوع للإخراج من هذا النفى. وهذا مفيد للقصر، وكذلك إذا موضوعة للقصر وضعا تضمنا معا ما وإلا على نحو ما سابق. لكن التقديم يفهم من النفي من خلال النفوذ والفهم. فحين أقول: عرّف أنا، يفهم المخاطب هذا التشخيص، وإن لم يكن على علم بأن التقديم يفيده.

الإيجاز والإطاب والإتسائة

من الأمور التي عنى بها البلاغيون ما أطلقوا عليه الإيجاز والإطاب، وذلك لأنهما دخلتا بالبلاغة كبيرة، وهما مما يدخل في بلاغة التركيب. ولقد كان أكثر ما نذروها فيه الإيجاز، فقد خصه أبو عثمان الجاحظ بأحاديث كثيرة، وناق عليه أمثلة متنوعة، وقالوا يدخلون بالإطالة والإيجاز، والكلام الذي كالوجي والإشارة من مثل قول أبي دؤاد بن حبيس الإداة:

يَمُونُ بِالْخِطَابِ الطَّولِ وَتَأْرِيقَهُ رَحْيَ المَلَاحِجِ مَخَافَةَ الرَّقَبَاءِ

فما مدع الإطالة في موضعها والإيجاز في موضعه.

و قالوا في الإيجاز ودَهُبْ الْعَمَلِ فِي الْأَلْفَاظِ الْبِسِيرَةُ تُونِقَتُ ثَانِيَةُ 

ما زلت بعذك في هم يجيش به لا أكثر القول فيما يحضون به إلى تذكرت قللي لو سهبتهم

ومدحوا أعراة بالإيجاز فقالوا: يضع الهواء موضع اللقب، وربما يكون قد قال هذا القول قائله من قول دريد من الصحة:

مَا إِنْ رَأَى وَلَا سَمَتَ بِهِ فِي النَّاسِ طَالِيٌّ أَذِيَّ جَرْبٍ مَّتِبَّذِلًا تَبَوْلُ مَخَاطِيْٰثُ يَضْعُ الْهَمَهَ مَوْضُعَ اللَّفْقِ

241
وإذا كانوا قد أشاروا إلى القول في الإيجاز ومدحه، فليس ذلك على الإطلاق، فإن من المواضع ما لا يليق به أو يناسبه غير الإنساب في القول والإطالة فيه. فكما تتطلب مواقف الإيجاز، ويفضل فيها المساة الدالة، ويحذف فيها فصول القول. تتطلب مواقف أخرى غير ذلك. لأن هذه الإطالة قد تكون تلبية لحاجات نفسية أو عقلية.

وأن الإيجاز والإطالة من الأمور النسبية التي لا تخضع لمقياس دقيق، ولا نجد لهم حدا ثابتا يمكن القياس عليه، واعتادنا على كل وقت. إنهما كما سبق يخضعان لطبيعة المواقف، وضرورةها ومتعلقاتها، ومن يوجه إليه الحديث فيما. وقد خص ذلك السكاكي (1) فقال: "أما الإيجاز والإطالة فكلهما نسبيين لا يتسر الكلام فيما إلا بترك التحقيق، والبناء على شيء عرفي، ومعنى ذلك أنه لا يمكن وضع تعريف تحقيق، ولا بد من التسهيل في القول. ومن ثم اتخذ السكاكي كلام أوسط الناس الذي يعبرون به دون زيادة أو نقص نقطة يمكن الانطلاق منها، فما قل من الكلام عنها، وأدى الفائدة كاملة كان إيجازا، وما زاد عنها وحقق نفس الغاية كان إطالا.

فإن الإيجاز - عنده - هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعرف

الأوساط.

والإطالة: هو أداءه بأكثر من عباراتهم.

(1) من خلا العلوم، 120.

٢٤٢
وأما دمنا قد عرفنا الطرفين الإيجاز والإطاب. فما توسطهما. وكانت
اللغائة في على قدر المعاني لا تزيد عليها أو تنقص عنها فهو المسأواة.
والمؤن في بلاغة هذه الأمور، والاعتقاد بها أمران: الأول موافقته لخال
المخاطب كما أصلفنا القول. والثاني ألا يكون المعنى قاصراً .. أو كانت الزيادة
لا تفيد: إذ ذلك لأن النقص في الكلام قد يكون سبباً في خلل يضيء، وليس بلاغة
بطلي بها . على نحو ما نجد في قول عروة بن الزين:
عجبتهم إذ يقولون نفوستهم ومقتهم عند الوُقى كان أغلظاً
فالمعنى: عجبتهم إذ يقولون أنفسهم في السلم، وعندما ترك ذلك
أصاب المعنى خلل، ومثل ذلك قول الحروت بن حزرة:
العشب خير في عظلا في التوك من عاش كذا
فقد أراد والعبش الناعم خير من العشب الشاق، لكن المحذوف هنا كان
قلساً، وأحيل بالمعنى. وقد يأتي الكلام فيه زيادة لا نائدة منها، أو قد تكون
مفسدة للمعنى. وهذا نصو على أن الإطاب هو زيادة في الكلام لفائدة.
وأما جاءت فيه زيادة لغير فائدة قول الشاعر:
ولألفي قولها كاذباً ومينا
فإن الكذب هو الميل والذء كلهمتاه كانت تُفضى عن الأُخرى.
وأيضاً إحداهما أفضل من أخاهن حتى تكون أولى منها بالبقاء.
وقد تكون الزيادة حشواً .. وهو على ضرين:
الأول: يفسد المعنى، وذلك كقول أبي الطيب المشن: 242
ولا فضل فيها للشجاعة والندى، وصبر الفتي لولا لقاء شعوب
والمعنى الذي يرده أبو الطيب: أن لا فضل للشجاعة أو الكرم لولا معرفة
المرء أنه سوف يموت. وهذا الأمر يصلح في الشجاعة. لأن الشجاع لو علم أنه
خلف في الدنيا لم يخشى الهلاك في الإقدام، فلم يكن لشجاعته فضل، لكن الأمر
يختلف في الكرم، لأن حرص الناس على المال لأنهم يستمرون به في الحياة، وهم
لا يفرون حينئذ في الموت. ولو فكرنا فيه هان عليهم الماء وبدلوه. وقد لمس
هذه الحقيقة طرفة بن العبد، فقد أيقن أنه سيموت، ومن ثم عليه أن ينقف المال
ويتبناه فقال:

ألا أبى هذا الزجاجرى أحضر الوغى، فإن كنت لا تستطيع ذفع ميسى
فدعني أبادرها بما ملكت ببدي.

比利 هذا قول مهيار الدليمى:

فكل إن أكنك وأظاهم أحسان، فلا الود ببيقى ولا الآكل

ومن الزيادة التي لا تفسد المعنى. قول زهير بن أبي صلاب:

 وأعلم علم اليوم والأمس قبله، ولكنني عن علم ما في غضن
فكلمة قبله زائدة. لكنها لا تفسد المعنى. ومثل ذلك قول الآخر:

ذكرت أخرى فعاودني صداغ الرأس، والوصيب.
فكلمة الرأس حشو لأن الصداغ لا يكون إلا في الرأس. لكنها لم تخل
بمعنى. و مثلها قول شوق:

ويجمعنا إذا اختلطت ديار يان غير مختلف ونطق

244
الرادي بالكلمتين هو اللغة واللسان، وفي بيت شوق عيب آخر، وهو أن
البيان أفضل وأكثر دلالة من النطق.
والوقوف على ما يكون فضلاً في الكلام يمكن الاستفادة عنه، لأنه لا ينسى
المتى كيف يفكر من المواضع التي لا يثبت الوقوف عليها إلا من كان ذا حس
مرهف، وذوق مدرب له بصر الكلام ومواقفه. وقد ليس الأمر على بعض من نظر
في قول الشاعر:
ولما قضتمن من منى كل حاجة
وشدت على دهم المهارى رحالة
أجرىنا بطراف الأحاديث بينا
فهذا من الكلام الذي لا يحمل كبير معنى، أو أن ألفاظها أكثر من
معانيها، لكن عبد القاهر الجرجاني تداول هذه الأيات، وكشف عن خصوبة المعنى
فيها، وأنها تعلّى، بالإيجاز الذي هو أصل بلغة الشعر، وأمس رجاء ب(1).

أقسام الإيجاز:

يقسم البلاغيون الإيجاز إلى قسمين: إيجاز قصير، وإيجاز حذف.
والقسم الثاني من الإيجاز الذي هو إيجاز الحذف يحدثنا فيه، واُل أنواع
المفرد والبلاغة في الفصل الذي تحدثنا فيه عن الحذف. ونرى أن نتحدث هنا عن
القسم الثاني من الإيجاز وهو إيجاز الفصيرة.

و هذا النوع من الإيجاز يمثّل فيه التراكيب بالمكونات، وحصل من المعاني
ما لا يفيده اللغة بأصل وضعها، إن العبارة فيه تكون ثيقة، لا تفي غيرها من

(1) أسرار البلاغة: 30 - 31.

485
العبارات بدلاتها من غير يبطل القول، والزيادة فيه. ولعل ما ذكره الجاحظ في
كلام الرسول ًسيف ًيكشف لنا عن بعض جوانب هذا النوع من الإيجاز. لقد قال
أبو عثمان في وصف كلام الرسول ًسيف ً: ًكلامه ًسيف ً، هو الكلام الذي قل
لفتحه، وكبر منه، وتحطمت حواسه، وأنثر جوانبه. ًوقد قال ًسيف ً:
أثبت جوامع الكلام. ًوأما جاء من كلامه على هذا النحو: دعا ًسيف
لأبي سلمة عند موته: ًلله يرفع درجه في المهددين، وأعلنه في عقب في الغابرين
لنا وله بارض العالمين ً.

وكثر من آيات القرآن الكريم يتحقق فيها هذا النوع من الإيجاز. فمن
ذلك قوله تعالى: ًفمن جاء به موعظة من ربه فاتهى فله ما سلف ً.
يقول ابن الأثير: ًقوله: ًفله ما سلف ًمن جوامع الكلام، ومعناه أن
خطاياه الماضية قد غفرت له. وتائب الله عليه فيها، إلا أن قوله: ًفله
ما سلف ًأبلغ، أي أن السلف من ذنبه لا يكون عليه إما هو له ً.(1)

ومنه قوله تعالى: ًفمن كفر فعله كفره ً. قوله: ًفله
كفره ًمن جوامع الكلام أيضاً لأنها تحمل كل ما يترتب على الكفر من العيش في
الضلال، ومخالفة الأوامر والنهى، والمصير الذي ينتظر مثل هذا الذي كفر
بمثله ونسبة به.

ومنه أيضًا قوله تعالى: ًإن الله يأمر بالعدل والإحسان، وإيتاء
ذكرى القرن، وبنى عن الفحشاء والمفسد والبغاء يعظكم لعلكم تذكرون ً.

وقول ابن الأثير: ًفهذه الآية من جوامع الآيات الواردة في القرآن
الكريم. ويسوق رواية عن النبي ًعليه ًسلام: ًأنه عليه الصلاة والسلام قرأها على الولد

(1) الملل الساير: القسم الثاني ٢٢٨
ابن المغيره. فاقتصر الله وطلب من الرسول ﷺ أن يعيدها، فلمّا فعل قال الوليد: إن له خلافة، وإن عليه طلاء، وإن أعلاه نشر، وإن أسفله مغدق، وما هو يقول بشر.  

ومن ينظر في هذه الآية يجدها تأمر بالذات أمور وتنبي عن ثلاثة... فأول ما تأمر به العدل، والعدل كما يقال أساس الملك. فلكي ملك يقوم على الجزء زائل، والعدل يحقق الأمن بين الناس فلا ي funcionários على دوامهم وأعراضهم وأموالهم. وبالعدل تسود المحبة والطمأنينة. والخلق عند آدم عليه السلام ينتحلون إلى تحقيق العدل، لأنه يستل سلمان الفتوح، ويرفع منها البغضاء.

والآمر الثاني الذي تأمر به الآية والإحسان، هكذا مطلقاً ليس لأنه إلى المرء، وليس نواة مبينا من الإحسان والإحسان إلى الناس يعتقد في قلوبهم اهبة، ويخلى بينهم أحسن العلاقات. قال الإمام الشافعي:

أحسن إلى الناس تستعجل قلوبهم فطالما استعود الإنسان إحسان.

إن إحسان المرء إلى من أحسن إليه لا يجعل له فضلاً، فهو يزيد جميلاً عليه. لعن منيرة الإحسان تظهر عندما يحسن المرء إلى من أساء إليه. وفد قبل: إله أحسن إلى من أساء إليه تكن أحسن الناس، ولا يوافق الإحسان عند عمل ما... فكل ما جلب الخير للناس، وكل مساعدة تقدم من يحتاج إليها وكل عمل طيب بهذه المرء هي من الإحسان. بل إن إماحة الأذى عن الطريق من الإحسان، والأمر الثالث: إنا ذي الغرفة: وذلك من كلمة الرحم التي أكد عليها القرآن الكريم والسنة المطهرة. ومن أقرب إلى المرء من أهله وذوي أرحامه، ويربهم ويرحيم إلىهم حتى وإن لم يحسنوا إليه، وقد رسم الفقه الكندي ما يجب أن تكون عليه العلاقة بين المرء رذوي قرباء. حين قال:
يعانيني في الدين قسومي وإنسا
وفيها يقول:
وإن الذي ينفني وين بي أبي
إذا أكولوا لهم وفرت لحومهم
وإن هؤلاء هويته لم ينف
وإن ضيعوا غيبي حفظت غيابهم
وإن رجعوا طيرا يحسن سرئ
ولا أجمل الحق بشكل عليهم.
وإن قل ملي إن تتابع لي غيابي
هم جل مال إن تتابع لي غيابي.

ثم تناول الآية ثلاثة من التواهي:
وقولوا: ما يأتي في النهي الإلقاء:
الفحشاء، ويتضمن الكبائر، إنها عظام الذنوب، والفساد.. كأنها وشهاده الزور.
وعقوب الزائدين، وفي الفحشاء، ما فيه من حكر على مرتكبها وعلى غيره. ويقول لنا
الحديث، حين تناول أنواع الفحشاء أو الفحشاء، وما يتزبد عليها من الأضرار.
وحسبا القول بأن الفحشاء تكرهها الفطر السليمة، ويجفاناها الأخوين من الناس.
والمنكر كل ما أثكره الناس، وما أنكره الشرع حين لم يصل إلى الفاحشة...

ولم يكن المنكر منكراً إلا لأنه يخالف الطبع السليم، ولا يقبله ذوي العقل.
والله تعالى. التجري في الأرض، والاستكبار، واعتقابة إليه وخيبة على صاحبها.
ولا آية، فالله لا يتركه، ويرفع رفعاً فسخ تدور عليه الدائرة، والأيدي التي
رتفعت وصفقت بغية وظلمه، ودعائه، ستكون أول الأيدي التي تتحطه، والتاريخ
البشري حافل بالعديد من الدفاة، سواء كانوا من الحكام أو المنكرين، وعلي رأس
هؤلاء وأولئك فرعون.. فقد ينفي في الأرض وجعل إلهها شياه. فأوحه الله أخذ
عزيز مقدراً.

248
وعلى الجملة ... تتناول الآية الكريمة أسماء النضال، وآراؤه الرذائل، وكل ذلك يأتي في كلمات قليلة. ولعل هذا النوع من الإيجاز الذي هو كالجملة الدالة كان من الأسباب التي جعلت القرآن الكريم يستمعي على النزهة والنقل. كما أنح إلى ذلك علماًنا الأقدمون.

وحين نتكلم عن هذا النوع من الإيجاز لأبد أن نشير إلى ما أبلغ به علماء البلاغة - بعد - عبد القاهر من تقريع الأقسام والترديد فيها.

وعلى سبيل المثال، عبد بن الأثير يطلق على النوع الذي أسفلت القول فيه: الإيجاز بالتقدير، ويعبر بأنه ما ساوى فيه لفظه مباحة(1) ولا بعد ذلك من الإيجاز عند جمهور البلاغين. بل هو في الواقع ما أطلقوا عليه مصطلح المساواة. ولكن من خلال ما عرضنا بتضح لنا أن هذا القسم من الإيجاز، لأن المعاني فيه ثرة وكثيرة. وعلى أية حال فإن النظراء إلى هذه الأمور نسبية. وقد أشار إلى ذلك السكاكي على نحو ما أسفرنا القول. وإذا كان ابن الأثير يعلم ما سبق من الإيجاز بالتقدير، أو هو من المساواة، فما الإيجاز بالقصر إذن؟

إن ابن الأثير يحمل هذا النوع من الإيجاز على قسمين:

القسم الأول: ما دل لفظه على عقلات متعددة. وهذا يمكن التعبير عنه بمنتصف فظه وم قعدها.

والثاني: ما يدل لفظه على عقلات متعددة، ولا يمكن التعبير عنه بمنتصف فظه وق عدها لا، بل يستعمل ذلك(1).

---

(1) المثل الساطر: القسم الثاني 319. 219
ولا يخفى ما في كلام ابن الأثير من الخلط والاضطراب. إذ كيف يدل اللغظ على مجملات متعددة... أي تعدد معانيه، ويمكن التعبير عنه بجملة أمثلة؟ إن الوعد بالأقسام هو الذي ذهب ابن الأثير ومن جاء بعده إلى مثل هذا. وربما كان ما وجده ابن الأثير من التفاوت في التعبير، وفي تلبيثه إلى المعاني من بين الأمور التي دفعت إلى هذه الأقوال. فمن المعلوم أن بعض العبّارات تدل على معاني أكثر من ألفاظها... لكن هناك عبّارات تكون أكثر منها في الدلالة والمطال. وقد حاول البلاغيون المقارنة بين بعض العبّارات المرجوة وفصلوا بعضها على البعض الآخر... فقول العرب: القتل أنفى للقتل، من العبّارات التي تنتمي بما يطلق عليه إيجاز القصر... لكن قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ولكنكم في القصص ﴿، أكثر إيجازا منها، وأكثر عتابا، وأخصب تعبيراً. وقد بين البلاغيون فروعا بين الآية الكريمة وقول العرب.

وعل الأجداد في تربية اللونق، والرجوع بالبلاغة إلى ميدانها، أن تتجاوز عن هذا التشكيق في الأقسام والتفرّع فيها. وتقدم لنا الهالة والدارسين من النقاد الأدبيّة ما نراه كشيئًا يحقق الغايات التي نطمح إليها في الفروض البلاغية...

فمن الأمثلة التي لا خلاف فيها من إيجاز القصر قوله تعالى: ﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن أمر بعيد بهم. فاضروهم لьяسرا فضايئ، فأت carreraهم قومه وما هدى ﴿. فعبارة وما غشيهم، وأضل فرعون قومه وما هدى ﴿، تعمل وراءها من المعاني ما لا تفيده عبّارات مبسطة وألفاظ متكررة. ويقول عنها ابن الأثير إنها من جوامع الكلم التي تستدله عليها قلتها بالمعاني الكثيرة، إن غشيهم من الأمور الهائلة والخطوب الفادحة لا يعلم كنها إلا الله، ولا يحيط به غيره (1).

(1) المثل الساكن: ٣٣١.
ثم يسوق ابن الأثير فسما آخر يجعله من الإجاز بالقصر، أو بعبارة أخرى هو الإجاز بالقصر. ويرى أن هذا القسم من الإجاز لا يمكن التعبير عنه بلفظ أخرى غير ألفاظه بحيث تكون مماثلة لهذه الألفاظ وفي عندها. ويجعله أعلا طبقات الإجاز مكاناً وأعوزها إمكاناً. ولا يوجد في كلام بعض البلاغاء إلا شاذاً نادراً. وكأنه يقول لنا أن مثل هذا النوع من الإجاز لا يصل إليه قدرة البلاغة إلا في القدرة. ولا نجد كثراً إلا في القرآن الكريم. ثم يقول عليه قوله تعالى:

{ولكم في القصص حياة} وياخذ في بيان ما اشتملت عليه من المعاني على طريقة البلاغين.

وعله يجعل من هذا النوع من الإجاز ما صاغه أبو تمام في مثنا الآية السابقة وهو قوله:

{وأخحك كي تغمدون أسيافكم}.

وإن الذم المعتز يجرسه الدم

ويرى أن هذا البيت أفضل مما قالت العرب في نفس المعنى: {القتل أفضى للقتل}.

ومن هذا النوع أيضاً ما يروي من جواب ممن بن زائدة حين سألته أبو جعفر المصور قائلاً: {أيها أحب إليك}. دولتنا أو دولة بي أمية؟ فقال: ذاك إليك. فقوله: {ذاك إليك} من الإجاز بالقصر الذي لا يمكن التعبير عنه بغير ألفاظ كثير. لأن ما قصد إليه ممن من هاثين الكلمتين هو أن حب دولتكم أو كرهها موكول بحسن سياستكم للرعية، وقيامكم بأمر الأمة، وإشاعة العدل والاستقرار فيها. وإن الناس سيحبون دولتكم إذا زاد إحسانكم على إحسان بني أمية، وسيكون الأمر بالعكس إن قل إحسانكم عتهم.
ولا فجع عند السكانى والنحبي أتربع أو أقبص ما ذكر
ابن الأثير.

٢ - والمتساوية:
هي ما سارى اللهو فيها المنهى ... وقد أشارنا إلى أن ذلك من الأمور
النسية وأنه منظور في كلام الأوساط. ويمثل له الخطيب نقلا عن السكاكى
بقوله تعالى: { ولا يحيق للذكر السوء إلا بأهله }، وقال تعالى: { فإذا
رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث
غيره }، ومنه قول الديباجي: قايل كأيبلل الذي هو مدركى وإن خلت أن المتناى عنك واسع

٣ - الإطلاب:
لم يغفل علماء البلاغة عن النظر إلى النفس الإنسانية بوصفها البيضوج الذي
ينتفق منه الأدب، وتفيض منه الخواطر والأحاسيس مصورة مملوكة بما جال في
خاطر الأدب وألح عليه، ومن ثم صوره وعبر عنه - كما أن هذه النفس هي التي
يرجع إليها الأدباء والمبدعون إداعهم بقصد تنقل الأحاسيس إليها. ومن ثم كانت
وقفات البلاغيين عند كثير من الأمور التي تجرب النفس الإنسانية وتاجها.
وسوف يتضح لنا اهتمام البلاغيين بالنفس وما يتحرك فيها من خلال
ما تعرضه فيما أطلقوا عليه الإلطاب، وفي باب آخر من أبواب البلاغة أطلقوا
عليه اللفتات، ولكن ليس معنى ذلك أن تنادهم لأمور البلاغة الأخرى لم
ينظروا فيها لهذا الأمر الذي يمثل خصوصية من خصوصيات الأدب.
وسوف نجد لهذا النفس، والتمكن من النفس، ودفع التوهيم الذي يسبق
إلى نفس الملقى، وغير ذلك من الأسباب التي يذكرونها للإلطاب. يقول
الخطيب في الإطباء: وهو إما بالإيضاح بعد الإيام لوى المعنى في صورتين
ختلتين، أو ليمكن في النفس فضل ممكن، فإن المعنى إذا ألقى على سبيل
الإيام والإيام تكشف نفس السامع إلى معرفه على سبيل التفصيل والإيضاح
فتوجه إلى ما يرد بعد ذلك، فإذا ألقى كذلك ممكن فيها فضل ممكن، وكان
شعورها به آمن، أو لتكمل اللفظ بالعلم به {1}.

والإطباء لغة: مصدر أطلب في كلامه إذا بالغ فيه، وطول ذيله، وفي
اصطلاح البلاغيين: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، ويتخرج القدر لفائدة
الطول وال허نأ فكل منهما زيادة لا تؤدي إلى فائدة.

ويفرق البلاغيون بين التطويل وال허نأ بأن الزيادة في التطويل غير معلومة.

وذلك على نحو ما تجد في قول الشاعر:

لا حمدًا هند وأرض بها عند
وهند آتى من دونها النأى والبعد
فأحد اللفظين النأى والبعد، ينضى عن وجود الآخر وليس أحدهما أول

من نظيره وال허نأ زيادة معينة. ويقسمها البلاغيون إلى قسمين:

الأول: حشو يفسد المعنى، أي هو زيادة تكون عبأ على المعنى،
رحدث فيه خلافا. ومن هذا النوع قول أنس الطيب المعنى بريغ غلام
لأبي دولة:

ولا فضل فيه للشجاعة والندى، وصير الفن لولا لقاء شعوب
قلائي الذي يريد أنه لا خبر في الدنيا للشجاعة والصبر لولا الموت.

ذلك لأن الشجاعة كانت فضيلة من الفضائات بسبب الموت، وأنها قد تؤدى

{1} الإيضاح: 111 - 112

253
إليه، والمعنى في هذا جيد. لكن الشاعر أضاف كلمة "الندي" وجعلها فضيلة بسبب الموت. والموت يجعل البذل سهلاً. وجعل الإنسان غير حريص على المال. وقد نس طرفة من العبده هذا حين قال:

"إنه كنت لا تستطيع دفع مئتي فدعني أبادرها بما ملكت يدي.
إن كلمة "الندي" في بيت المنتب من الحشو المفسد، على الرغم من محاولة بعض الناس فسخها، وركبوا الشعل.
والقسم الثاني: حشو غير مفسد. وذلك نحو قول أبي الحبال الهذلي:
ذكرت أخي فعاودنى صداع الرأس والوصب.
فذكر كلمة الرأس مع الصداع حشو، إذ لا يكون الصداع إلا في الرأس، لكن ذلك لم يحدث أي خلل في المعنى. ومنه أيضاً قول أبي عدى:
نحن الرؤوس، وما الرؤوس إذا سكت في الجد للأقوام، كالأذناب، فكلمة "الأقوام" حشو، لأنها لا تعطي فائدة. وإن كانت غير مفسدة للمعنى.

ويكتب الشعر بألقاء مثل: (لمعرفة) أصبح - أسى - يا مأهلي.
ورغم ذلك من الألفاظ التي يستعين بها الشعراء لإقامة الزمن الشعرى، أو إتمام قانية، ومنها جاء منها قول الشاعر:
ما أحسن الأيام إلا أنها (يا مأهلي) إذا مضت لا ترجع.
وقيل أى تمام:
أقرأ (لمعرفة) بحكم السيف، وكانت أحق بفضل القضاء.
وعلى الرغم من أن النوع الثاني من الحسن لا يؤثر على المعنى إلا أنه عليه، ويعتبر أن يخلو منه الكلام. إن وجود أي من النوعين يجعل الكلام عن حيز الكلام الفصيح. خلاف الإطارات الذي يعد من البلاطات إذا صادف محله، وقعد موضعه. وهو لا يأتي إلا للكتابة فنية، ولا يقصد إليها المتحدث قصدًا. إنه ليس تكاءًا لائحة ورقة أو قافية، بل هو أمر يقضيه المعنى ويخصه، إنه استجابات حالات نفسية، ومتطلبات للمقام، ومرايا لمقتضى الحال. وتعتد القول في هذه الاعتبارات والملاحظات التي يكون الإجابات من أجلها.

أولاً، قد يأتي الكلام أول الأمر فيما، ثم يأتي بعد ذلك واضحاً. والعلة في هذا أن يأتي الكلام في صورتين مختلفتين فيكون له بذلك فضل تمكن في النفس، واستقرار فيها. فالكلام إذا ألقى أول الأمر فيما ذهبت النفس فيه كل منحوب، واستشرفت إلى ما يزال هذا الإجابة، فإذا جاء الكلام بعد ذلك واضحًا تمكن في النفس، وكان شعورها به ألم. انظر إلى قوله سبحانه: فأرضينا إليه ذلك الأمر. جئت كلمة الأمر مهمة تعار النفس فيما ترسي إليه. فإذا جاء بعد ذلك قوله تعالى: فد أين دار هؤلاء مقطوع مصيره؟ كان له من الروعة والحسن والقبول، فالتكلم في النفس ما لم يكن له قبل أن يأتي بذلك الصورة الواضحة. وفي مثل هذا الموضع نوع آخر من الحسن، وهو الجمع بين المنافذين. وهو ما يدخل في علم الجمال.

ومن هذا النوع أي الإيضاح بعد الإivamente بابه د عم وبيس، على رأي من جعل المقصوص بالملاح خيراً لمبدأ عمله.

ويضاف إلى الحسن الناتج عن الإيضاح بعد الإيماب في باب نفسه، حسن آخر يأتي من وجهين.

255
الأول: إبراز الكلام في معرض الأخذ من وجهة
واختصاره من آخر، وهو حذف المبدأ في الجواب.
والثاني: ما أشرنا إليه من الجمع بين المناقشات، فقد جمع ذلك من
وجهين: الإيضاح والإيضام، والاختصار والإطباء.
وقد يكون مجيء الإطباء عن طريق الإيضاح بعد الإيضام لسبب آخر ...
هو عدم إقادة العلم بالشيء، دفعة واحدة قد قصد أن تكون لذتها مكتملة...
وسيضحى ذلك أن إقادة العلم بالجهد دفعة واحدة لا يحصل به كل اللغة. لأنها لم
تقدمه أم، لكن إذا جاء الأمر به شيء من الإيضام تشرف النفس إلى معرفته
فبجعلها بذلك لذهار ... ولكن بصياً أم ما يفيض بالأمر من إيضام وغموض
إذا جاء التوضيح، أو إذا حصل لها العلم به حصلت لها لذة أخرى، واللذة عقب
الألم أقوى من اللذة التي لم يتقدمها أم.
ومنه ما يطلق عليه مصطلح: التوضيح، وهو أن يأتي في عصر الكلام(1)
بمنى مستر باسمين أحدهما معروف على الآخر إذا جاء في الأمر: وبشيبين آدم،
ويجب فيه خصصتان: الحرص وطول الأمل، ومنه قول الشاعر:
سفنت في ليمل شيبًا بشعرها، شبيبة تعلّتها بفيزي رقينًا
فما زالت في ليلين: الشعر وظلمة، وهمسين: من جمهور وجهب
ويجب بهذا المعنى قول شوق:
رخلت في ليلين، شعرك المعين، عرفت كالمسي البور: فماك

(1) انظر مبدأ الإيضاح: 134، وذهب الشيخ عبد المال محصل إلى أن الفقيد يعمر البيت ليس
بشيء، وقد يأتي التوضيح أول الكلام ووسعه أيضاً، وأقبل إلى هذا الرأى.

206
نمن التوضيح أيضا قول أبي عبادة البحترى:

لَا مَهِينًا يَذْهَبُ الْأَرْذُكَ تَشَابِهُ أَعْطَفُ قَضَائِنِهِ وَتَمَدُّدُ

فِي ْحُلِّٰقٍ ْجَنًّا وَرَوْضَ ْفَالَّقْسِيَ وَذِيَةُ ْيَنِيُّ رُوُّشِي ْبُرُودُ

وَسَقَرَّ فَمَالِئَتُ عِينُ رَأِيْحَا وَرَدًا وَدَجْتِي وَرَدَّ عَسَدُ

فِي الأَيَّاتِ الْأَوَّلَيْنِ جَاءَ بَلَانُتِ لِيِلَيْنَ وَجَاءَ بَعْدَهُ بَنْيَ مَفْسِرِ بَأْسِيِّنِهِ

شَرِّ عَتَالَةُ وَجَاءَ بَشِمَيْنِ رَفُّهُ بَقُولِهِ: ْخَرُّ وَجَهُ حِبْبٍ وَقَبِيَت شَرٌقُ

لِيِلَيْنَ: ْشَرِّ يِلِدْجِي وَأَلْمَأَرُ يُضَخَّ لِأَيَّاتِ الْبَحْتَرِيِّ

ثَالِثًا: مِنَ الْإِطَابُ: جِمَهَةُ الْخَاصُ بَعْدَ الْعَالِمِ

وَهَيْنِ بِأَقِمِّ الْخَاصِ بَعْدَ الْعَالِمِ تَكُونُ النَّافِئَةُ مِنْ وَرَاءِ ذلِكَ إِلَهَارٌ مُزِّيَّ في

الْخَاصِ تُظْهَرُهُ وَكَأَنَّهُ جَسَدٌ قَافِمُ بَذَا تِهِ. وَذَلِكَ عَلَى نِعُمَهَا نَعْبَدُ فِي قَوَّلِهِ تَعَالَ: ۖ مِن

كَأَنَّ عِلْمَنَا لِلَّهُ وَمُلَائِكَتِهِ وَرَسُولُهُ وَجُهَّلُ وَمِيْكَالُ فَإِنَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلُّكَافِرِينَ

فَيُعْدَ أَنَّ ذُكْرَ الأَيَّةِ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الْعَمَومِ ذُكْرٌ مِّنْ بَيْنِهِمْ جُهَّلُ وَمِيْكَالُ عَلَى

الْبَلَّامِ.

وَمِن ذُكْرِ الْخَاصِ بَعْدَ الْعَالِمِ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَ: ۖ مُّنِبَكَ مِنْ كَمِّ أَمْ دُعُوٍّ

إِلَى الخِيرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمُعْرِفِ وَيَهْيَهُ عَنِ المُنْكَرِ (۱) فُرَّ لِقَالَةً إِلَى الْخِيرِ تَشَمَّل

الأَمْرَ بِالمُعْرِفِ وَتَهْيَهُ عَنِ المُنْكَرِ . لَكِنَّ الأَيَّةِ ذُكْرَهُمَا بَعْدَ الْعَالِمِ لِبَيْنَ أَمْهَتِهِمَا فِي

صَلَاحِ الْأَمْمِ وَإِسْتِقْمَالِ أَمْوَهَا.

وَمِن هَذَا النُّوَجُ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَ: ۖ هَفَّ حَفَظُوا عَلَى الصُّلُوْاتِ وَالصَّلَاةِ

الْوَسُطِى وَقُومُوا لِلَّهٍ ۚ قَائِتِنَ ((۲).

٢٥٧

(۱) الْعَمَّارَ: ۱۰۴
(۲) الْفَيْجَةَ: ۲۳۸
ثالثاً: ومن الإطباق أو التكرير:

وتأقث التكرير - بالإضافة إلى ما يكون له من قيمة موسيقية - لنكهة. كنتاكيد الإذان في مثل قوله تعالى: "كل سر فعلمون، ثم كلا سوء تعلمون" وقد يكون مجرد التأكيد. كأن تقوم لصاحبك: كم مرة نقصتك، كم مرة جبت إليك، كم مرة خالفت النصيحة.

وتأقث التكرير لزيادة التثبيت على ما ينبغي التعبئة في ذلك إلى تلقى الكلام بالقبول. وذلك على نحو ما نجد في قوله تعالى: "وأى من ذكر كتم لأيامه جزاء، إن الفجر ضار، وإن الظهر ضار وإن الفجر ضار" {هود: 95}.

وهو يتأقث بما فيه خيهم، وقيل: هذا مجدده في قوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم وهو يدعو أبيه: "أيا أبتي لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا، يا أبتي إنا أصحابك أن يسك عذاب من الرحم فتكون للشيطان ولا يكrene} {الكهف: 23}.

وقد يأتي التكرير لتحديد المتعلق على نحو ما نجد في قوله تعالى في سورة الرحمان: "فأيآ آللإ ربي أكذبَناك ربك تكذبان" فقد عدد الله فيها نعمةه، وذكر عقب كل واحدة منها بالآلهة التي لا يكذبها إلا كثر كثرة عيد. وقد جاء قوله تعالى: "فأيآ آللإ ربي أكذبَناك ربك تكذبان" لتثبيثه على لطفه تعالى، وعزم نفسه وألائه ربيين ما أصدى للمخلق، وتكون فاصلة بين كل نعمة وأخرى. ويشير إلى لطفة في هذه السورة، وهو أن الفرض من ذكر هذه الآية عقب كل نعمة يختلف عن الفرض من

(1) غثر: 249
(2) ميم: 42 - 47

108
بجنبها عقب الأخرى(1). ثم يرد على ما قد يكون من الاعتراض بأن هذه الآية جابت عقب ما ليس بعمة كما في قوله تعالى: "لرسول عليكم شواذ من نار وحاس فلا تنتصراะ". وقوله تعالى: "هذى جهنم التي يكذب بها المجوس بطولون بينها وبين جميع آن وتجواب عن ذلك أن جهن والعلاب وذكرهما وإن لم يكونا من ألى الله ونعمه، فإن ذكرهما ووصفهما على طريق الزجر عن المعاصي والتغيب في طعامات من ألا ثلاثة تعالوا.

ومن التكرير في القرآن الكريم الذي جاء لغاية. قوله تعالى: "وويل بومثل للمكذبين" لأنه سباحته ذكر فصامًا خلفًا وتفعل كل قصة بهذا القول. وكأنه يقول: "وويل من يكذب بهذه القصة، وفل هذا إشارة لعظم الجرم ل كل قصة على حدة.

وكا جاء التكرير في القرآن الكريم لغايات ونكت عليه جاء كثيرا في الشعر. وعما جاء تروي حسنًا قول أبي الحسن الموسوي في نصيدة طويلة بقوله فيها: أبا إسحاق الصلاع:

أعز على بأن أراك وقد خلت من جميتك مجالس الفوار. أعز على بأن أراك بمثل متشابه الأمجاد والورود. أعز على بأن تفارق ناظرك لعان ذلك الكوكب الواقب.

وتقول إبراهيم ناجي في نصيدة المودة:

رفق القلوب يجعل كالدَّيِّن. وأنا أهتف باقلب المي. فيجب الدموع والمسى الجريج لما عدننا ليتَ أنَّا لم نعد.

(1) مثة الإضافات: 136.
لما عدننا، أو لم نطمو الغرام، وفرغنا من حنين وألم بسلام ورضينا سكون وسلام واتبنا لفوارغ كالفناء.

رابعاً: الإ phúس.

ومن الإطلاع ما يطلق عليه والإفيال وهو نعم البيت بما يفيد نفثة، يتم الكلام قبلها وقد يكون الإتان بها لزيادة المبادلة والتأكيد، على نحو ما نجد في قول الخمساء:

إذن صخرنا لتأتيه المهدا به كأنه علم في رأسه نار.

فقولها: في رأسه نار، فإفيال أثر إفادة مبني هو المبادلة والتوقيت.

وكان المعنى يتم دون ذكره. فلو أنها قالت كأنه علم لأفاد ذلك الظهور والهداية، وكيف لا يكون الجيل العال المرتفع هادياً... لكنها أضافت لذلك قولها: في رأسه نار.

ومن الإفيال، ماتكون الكتة فيه تحقيق الشبيهة، وذلك كقول

المرء الفقي:

كان عيون الوحش حصول خبايا، وَأَرَكِنَا الجزء الذي لم نُقْصبه.

فلا يذكر الشاعر كلمة، لم يكتب لاما، ما اختل المعنى أو نقش. لكن جيدها، أي التشبيه، وأظهر منه لأن الجزء حين يكون غير منقول يكون أشبه بالعمر، وقيل لفظه زهور.

لكن: كان فتات العين في كل منزل، تزرُن به حب الفنا لم يحطم.
فقد ضحى الصوف الأحمر بحب الفنا. وحقق التشبه لا يم إلا بقوله: "لم يطم، لأن حب الفنا أحر من الخارج وأيض من الداخل. ومنه أيضا قول امرئ القيس:

حملت رديفياً كان مبتئاً ستاً له، لم يصقل بذخان، وقيل لا يختص هذا النوع بالشعر فNERA في غير أيض، ويُقىون هذا القياس

تعله: "إِنْ اتَّبَعْتُوا الَّذِينَ اتَّبَعوا نَفْسِهِمْ وَهُمْ مُهْتَدِونَ "(1).

غامضا: الطويل:

ومن الإطاب عما يطلق عليه: "الدليل". وهو تعيبي الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها للتوكل.

والدليل قسمان: قسم تستقل الجملة الثانية بمثابة. وهذا خرج غير المتل وجملة لا تستقل بمثابة، ومن ثم لا خرج غير المتل لعدم استقلالها بإفادة المراد.

فمن القسم الأول: وهو الذي خرج خرج المتل لأن الجملة الثانية يقصد بها حكم كل منفصل عن الجملة الأولى. قوله تعالى: "بَلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَكَّىَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهْقًا" فنن الراضين أن قوله: "إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهْقًا" ينجز جميع المتل إمكاني استقلالها عن الجملة الأولى.

ومن هذا النوع قول الجملة:

تَؤُرُّ قَنِينَ يُطْمِتُ عَلَى الْحَمِيدَ مَاَلِعَّةُ وَمِنْ بِعْثِ أَمْمَانَ المَكَّيَّ يُحْمِتُ "

(1) بين: 21
ومنه قول النابغة:

وَأَمَّثَ بِمَسْبِقِ أَحَبًا لا تَقُلُهُ

على شعبى، أي الرجال المهدوب.

والقسم الثاني من التذليل ما لا تستقل فيه الجملة الثانية عن الأولى. ومنه:

قول أبي الطيب:

فَما يَقُولُ لَشَيْءٍ لِثَّث ذلِك لِلَّيْلَةُ

طمس الأماني صرعي دون محليه.

وقوله:

وَماَحَاجَةَ الْأَطْفَاكِ حَوَلَتْ فِي الْدُنْيَا

إلى قمر ما واجد لَكَ عادمَهُ.

وقول ابن نباه السعدى:

لَمْ يَتَّقِ جَوْدُك لِشَيْءٍ أَوْمٍّهُ

تركى وأصْحَبُ الدنيا بلا أميل.

سادساً: التكمل:

ويسنى الاحتراس أيضاً. وهو أن يؤَّل في كلام يوهم خلاف المقصود.

بما يدفع هذا الإبهام وهو ضربان: ما يأتي وسط الكلام نحو قول الشاعر:

فَسَقَّ دِيْازُكَ غَيْرَ مُفْسِدَهَا

صوب الربيع ودية. نُصِبِي.

فإن الشاعر دفع بقوله: غيّر مفسدها: ما قد يوهم بأنه يدعو على الديار.

لا لها.

وقوله قول كثير:

لَوْ أن عَرَّةَ خَاصِمَتْ هُمْها الضحي

في الحسن عند مُوقَّفٍ لَقِضَى لَهَا

222
فقوله: ۰ موقٍ، تكمل.

وصن فول الشاعر:

صبنا عليها - ظالمين - سائغنا - فطارت بها أبد سراع وأرجح
فقوله: ۰ ظالمين، تكمل لدفع ما قد ينتهي من أنتم ضربا خيلهم لأنها لم
تكون كريمة وأنها كانت تستحق الضرب.

 quoi ما يأتي في آخر الكلام. فذكر قوله تعالى: فسوق يأتي الله بقوم
يجيبهم يجيبه أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين (1) فإن الآية الكريمه
او اقتصرت على وصفهم بالذلة على المؤمنين أوهم ذلك أن ذاتهم لضعفهم، وأنها
صفة لازمة لهم لا تقارنهم نجايت يقوله: فبيعه على الكافرين (2) لدفع هذا
التوهم.

وأما جاء من الاحتراس لدفع توهيم خلاف المقصود، وكان مجيءه في آخر
الكلام قول ابن الرومي فيما كتب به إلى صديقه له: ۰ إلي وَلْيَكُمُ الذَّي لا يزال
تقاد إليك مودته عن غير طمع ولا جزوع. وإن كنت لدى الرغبة مطلبا، ولدى
الرتهب مهرباً.

ويكمل أن يكون في هذه العبارة أكثر من احتراس.. الأول يدفع به أن
بكون انتقاده له ارغم في عطاء أو رهبة من عقاب... وبين هذا الاحتراس أن
هذا الانتقاد دافعه الصداقة والمحبة.

ومن هذا النوع قول الشاعر:

رَسَحَت بِدِينِي بالعَجِّ نَعْنَى شَكْرِي يُؤوَّل
وما فوق شكرى للشكر مزيد

(1) المادة: ۰۵۴.
وكذا قول كعب بن سعيد الغنوي:

حيثما إذا ما الحلم زين أهله مع الحلم في عين العدو مهيب

يقول صاحب الإيضاح مينا ما يضيفه التكميل إلى المنه، وما يدفعه من توهم غير المراد: فإنه لو أتى الرجل إلى وصفه بالحلم لأورهم أن حلمه عن عجز.

فلم يكن صفة مدح فقال: إذا ما الحلم زين أهله فأزال هذا الوهم.

ومن هذا النوع أيضا قول السماوئ:

وما مات من سيد في فراشي ولا طل منا حيث كان قبطي.

فلو أتى الرجل إلى وصف قومه بأن أحدا منهم لم يمت إلا خيلة، لكان ذلك موه ما أنهم ضعفاء. فلم يذقهم لا تضيع دماؤهم أزال هذا الوهم.

سابع: التميم:

وهو أن يؤخ في كلام لا يفهم خلاف المقصود بفضيلة تقيت نكتة.

كلمته في قوله تعالى: "ربي ضمن الطعام على جبه" أي مع جبه. والضمير للطعام أي مع إشباعها والجواهر إليها. ومنه قوله تعالى: "ولا المال على جبه". وقوله تعالى: "لئن تلوى البر حتى تنفقوا مما تغيرون".

وبه قوله الشاعر:

إلى على ما تزين من كبير أعرف من أين تؤكل الكبسا.

وقول زهير:

من يلتق يوماً على علاته قرماً.. يلبس السماحة منه والندى حلقاً.

أي من بلق هرما على أي حال.

264
ثانياً: يكون الإطاب بالاعتراف:

وهو من دقيق التعبير، وأحد طريق الانتقاد فيها.

وهو أن يؤدى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى يجعله أو أكثر

لا يصل ما من الإطاب للكلمة. وهذه الكلمة ليست مما سبق ذكره في باب

التكامل.

والنكتات الفنية التي يأتي الإعتراف من أجلها تكون على النحو التالي:

1 - التنبيه والتظليل. كقوله تعالى: "وَمِنْ نَفْسِكَ نَفْسٌ مُّبِينَةٌ" (1) فقد دل الاعتراف (سبيحاته) على تنبيه الله وتعظيمه عن أن

يكون له صنم من خلقه.

2 - التخلي في نفس الشاعر. كقوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ نَفْسُكَ" (2)

فأذن في خلافها، والله خرج ما كنت تكتبون، فذكرنا اضرابه ببعضها (1) .

قوله: "وَوَلَّاهُ خَرَجَ مَا كَتَبْتُ مَنْ كَتَبَ" اعتراض لتقرير أن تدافع

بني إسرائيل ليس نافعا في إخفاء عملهم وكذبهم، لأن الله سبائحه وتعليل الذي

يعلم كل شيء سيظهره مهما فعلوا.

3 - التصريح بما هو مقصود. وذلك قول كثير:

"لَوْ أَنَّ الْبَلاَحِينَ وَأَنْتَ بِنَفْسِكَ رَأَوْا كَطِبَّ الْيَبْطَالَا" (3)

فلكيرو، يتحدث عن نقل صاحبته في إتلاف ما يريد منها، لكنه يفردها في

البلح، وبين أنها تعطي المثل والقدوة في البلح، فإن البلحين لا رأوها لتعلموا

(1) السحل : 57.
(2) السحل : 72.
منها كيف يكون المطال. ولو أقصر 6 كثر، على هذا القول لكفى... لكنه أطنب في القول، وجاء بقوله: "وأت منهم" ليخصها بالذكر، ويصرح بما هو المقصود من الكلام.

4 - الدعاء: وذلك كأن تقول: "وجبت إليك - أطل الله عمرك - لأحدث مكع في أمر هام". ومنه قول المتنبي في الدعاء:

"وتعتبر الدنيا احتقار مُجرِب يرى كل ما فيها وما عاشاك - فائياً فإن قوله: "وحاشاك - اعتراض. وهو يدعو له بألل لن يكون بما يبني في هذه الدنيا وهو من الدعاء الحسن في موضعه.

ومن الاعتراض بالدعاء قول عوف بن علم الشياح:

"إن اليابين - وَلَعَظْتُها - فقد ألوحت سُنيعي إلى ترجمان فهو يشكو ضعف صمه الذي أصبح يفتاح إلى معين. وذلك بسبب العمر الطويل الذي بلغ ثمانين عاما. لكنه يأتي بين كلامه باعتراض فيه دعاء له مثبه بأن يبلغ من العمر مثلا بلغ.

5 - التبيه - كقول الشاعر:

"واعظم - فعلم المرء يقعه - أن سوّف يأقي كل ما قدرًا فجملة - فعلم المرء يفتعه - تبيه للمخاطب على أمر يعيب له المرة.

وقد يكون للتبية على أمر غريب. على نحو ما جاء في قول الشاعر:

"إلا مجندة يدعو وفي اليأس راحة ولا وصلة يدعو لنا نذكّاريه".

276
فإن نوره : وفي المجر راحة، جاءت لتزيل الشعور بأن هجر الحبيب،
أحد مطلوبيه لأن ذلك من الأمور الغريبة، والجملة الأولى : فلا هجره يبدو :
نشير بذلك،
ويأتي الاعتراف أيضاً لخصيص أحد الملوكين بزيارة التأكد في أمر عقل
بعما، وذلك كقوله تعالى : ووصينا الإنسان بالذات - جعله أنه ونهام
علي وحنا وفصوله في عامين - أن اشكر لى ووالديك إلى المصير فقد
جاءت الآية لتوصي بير الوالدين والإحسان إليها. ثم جاء الاعتراف ليؤكد ذلك
بالنسبة للأمام الذي انفرد بحمل وما فيه من منجة، والإرضاع.
ويأتي الاعتراف بين الكلام الواحد ليحقق المطابقة مع الاستطاع.
على نحو ما يظهر في قول الشاعر:

وعفوف قليب لأي رأيت آهية - يا جنتي - لأرى في جهنمًا
فالشاعر يتحدث عن حركة الجو، والمعاناة التي بلاتها في حبي، وهو
يشكو لها هذا الأمل الذي كان بسببها، إن النار تشمل في قلبه، والهيب في هذا
القلب يمثل جههم وقد جاء الاعتراف به، يا جنتي، لتحقق غابتين: أن
تعطف عليه وتخفف من معاناته. وأن تحدث مطابقة بين كلمة جههم إلى
جاءت في آخر البيت وفي المطابقة ما فيها من حال التنافض.

كما يأتي الاعتراف خلال كلام واحد، يأتي بين كلامين متشابهين معنى.
وذلك نحو قوله تعالى : إنا أفطن من حيث أمركم الله إن الله يحب التواجدين
وبحب المتطهرين، نسأكم حرب لهم فأتوا حربكم أني شعمكم (1). فإن

______________________________
(1) البقرة: 242 - 243.
قوله: {فَقُولُوا إِنِّي نَسَئُكمُ حَرَثَ لَكُمْ} البقرة 39. فأتوه من حيث أمركم الله. وهذا بين أن المكان المقصود بالإتيان هو مكان الحرم، ليدل على أن العرض الأصل من المباشرة ليس قضاء الشهوة، وإنما طلب النسل.

ومما جاء من هذا القبيل، وكان فضلاً أكبر من جملة قوله تعالى: {فَقُولُوا إِنِّي نَسَئُكمُ حَرَثَ لَكُمْ}. قالت رابطة وضعتها أنت - والله أعلم بما وضعت، وليس الذكر كالأثني - وإن سيتها مريم، وإن أعذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم، فإن قوله تعالى: {وَاللَّهُ أَعْلَمُ مَا وَضَعْتُ} ليس من قول أم مريم.

ومع أنه أيضاً قوله تعالى: {إِنَّمَا أُرِيَ الْجَاهِلِينَ نُصْبًا ؛ وَإِنَّكُمْ بِاللَّهِ أَعْلَمُ} ليس نصباً من الكتاب. يشترون الضلالة ويريدون أن تضموا السبيل - والله أعلم بأعدائكم، وكفى بالله ولياً، وكفى بالله نصيرًا - من الذين هادوا يحرون الكلم عن موضعه {20}.

إذا جعلنا من هذين، بياناً للذين أوتوا نصيباً من الكتاب، لأنهم يهود أو نصارى، يكون قوله تعالى: {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفِيَّ بِاللَّهِ وَلِياً وَكَفِيَّ بِاللَّهِ نَصِيرًا} اعتراضًا. وإن جعلنا من هذين، بياناً لأعدائكم، يكون قوله تعالى: {وَكَفِيَّ بِاللَّهِ وَلِياً وَكَفِيَّ بِاللَّهِ نَصِيرًا} اعتراضًا.

الإطابع بعض ما سبق:

ونقد يأتي الإطابع على غير الطريق السابقة. أشار إلى ذلك صاحب الإيضاح، وغيره من البلاغين لكننا نؤثر أن نأتي بما ذكره ابن الأثير في المثل.

(1) آل عمران: 24.
(2) النساء: 44 - 46.

الإطابع: 268
السائر حول الإطلاع، وذلك لأنه يشير إلى بعض الأوجه التي ذكر البلاغيون أن الإطلاع ياقت عليها، ولم تكن من الأمور التي سبق القول فيها مفصلاً، ولكن الأمثلة التي ياقت بها وتنوعها، وكشفها عن الأسرار الفنية والأسلوية فيها، وذلك يمشي مع ما نطمئن إلى تحقيقه من خلال الدروس البلاغية.

وباب، ذي بدء بقسم ابن الأثير الإطلاع إلى قسمين: ما يرد في الجملة الواحدة، وما يوجد في الجمل المتعددة. وهو يجعل النوع الثاني أبلغ لأن المجال يسع في إبرادة.

أما القسم الأول الذي يوجد في الجملة الواحدة. فقوله: إنه يرد حقيقة ومجازاً، فلما ما يرد حقيقة مثل قولهم: رأيته بيني، وسمعه بيذني، وقبضته يبدى، ووقتته بقئي، وغذى ذلك. ومثل هذا يظن في أن به زيادة لا حاجة إليها. فالرجلة لا تكون إلا بالعين والسمع لا يكون إلا بالذن، والقبض باليد، والرطب بالقدم. لكن عند التدقيق ليس الأمر على هذا النحو. لأن مثل هذه الأحوال لا تأتي إلا في الأمر: يعظم مثاله: ويعز الوصول إليه فيؤكد الكلام فيه على هذا الوصف دلالة على نيله والحصول عليه. ومثله قول أبي عادة البحري: تأمل من خلال السجف والظرى بعينك ما شرست ومن سقان تجب الشمس الضاحية تدنو بشم إلى من الرحيق الحسرون.

إن الحضور في هذا المجال، والشراب فيه، والشراب من يسعى من الأمور العظيمة التي لا يحظى بها كل واحد، ولم كان الشاعر قد نال هذا الأمر، ويريد أن يطلب عديده عليه جاء به على هذا النحو من الحسن، وطالبه بأن ينظر بعينه. إن هذه الزيادة لم تكن عبباً على المعنى، وإن كانت من قبل الحشو الذي يجلب ليقم الوزن، أو ينحث القيامة. بل هي زيادة مقصودة للغاية، ولم تأت لم تحقق.

٢٩٩
من هذا القبيل أيضا قولهم تعالى: «فَذَلِكُمْ قُوَّالِبُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ» إنما قالوه أفراء عظيم وهذه جاء على هذا النحو من التعليم الذي أحدثه كلمة بأفواهكم.

وفي القول المتفرى في حديث الإنك ، وما فيه من عظم النزرة ، نأتي الآية الكريمة على هذا النحو. فقول الله: «إِذْ تَلَقَّونَ بِالسُّبُلَاتِ»، وقولون بأفواهكم ما ليس في قلوبكم وتحسونه هيبا وهو عند الله عظيم (1).

ويسوق ابن الأثير أمثلة متعددة مما جاء في القرآن الكريم ، وبين الفتوى الذي سوّغ المجيء بها على هذا النحو أو ذلك. فمن مثل قوله تعالى: «ما جعل الله لرجل من قلبيين في جوفه وما جعل أزواجكم اللاتي يظهرون منهن أمماتكم ، وما جعل أدعياءكم أبناءكم ، ذكلم قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل» (2). و مثله قوله تعالى: «فخبر عليهم السقف من فوقهم» (3). وكذلك قوله تعالى: «فإذا نفق في الصور فى فتحة واحدة ، وحملت الأرض والجبال فذكتنا دكة واحدة» (4). و قوله تعالى: «فأقرأني اللات والعزى ، ومنا الثالثة الأخرى» (5) لكن ابن الأثير بعد أن بين اللطيفة التي اقتضت تأكيد النحسة والدكية وهو أن الأمر كان عظيما مهولا لكنه كان سهلا بسرا على الله يفعل فيه ومضى نبضة واحدة ، ودكة واحدة. يذهب إلى بيان لطيفة أخرى ، بل لطيفة الثالثة الأولى من الأول ، وهي مراعاة التناسب والتوازن والتوافق بين الآيات ، والحق أن ابن الأثير يولي هذا التوافق أهمية كبيرة ، ويعتبر إليه ما في النظم من الحسن والطلاقة . يقول:

(1) البقرة : 16- 14 .
(2) الأعراب : 44 .
(3) النحل : 19 - 20 .
(5) السج : 26 .
ابن الأثير بعد فراقه من بيان العلة الأولى: ووها ها نكتة لا بد من الإشارة إليها.

وذلك أن ننظر في قوله تعالى: { تفخمة واحدة } و { دكة واحدة } ف negera

ولعل تعالى: { ومنا الذائقة الأخرى } فوجدت ذلك غير مقص على

ما تقدم. وسأببه بيان شاف أقول: إن قوله تعالى: { ومنا الذائقة

الأخرى } إذا جيء به توازن الفقر التي تزامت السورة كلها عليها وهي:

{ والجيم إذا هوى } ولو قيل: { أقرأ اللات والعزى ومنة } ولم

يقبل : { الذائقة الأخرى } كلاً الكلام عبارا عن الطلاء والحسين. وكذلك

لو قيل: { ومنا الذائقة الأخرى } من غير أن بقال { الذائقة } لأنه نقص في الفقرة

الثانية عن الأول. وذلك قبيح، وقد تقدم الكلام عليه في السجع لكن التأكيد في

هذه الآية جاء ضمناً لتوازن الفقر وبعدها {

وأما { تفخمة واحدة } و { دكة واحدة } فإما جيء بلفظ الواحدة

فيهما. وقد علم أن الن phủة هي واحدة، والدكة هي واحدة - لمكان نظم

الكلام. لأن السورة هي { الخاتمة } جارية على هذا النهج في توازنها السجع،

ولو قيل: { تفخمة } و { دكة } من غير واحدة - ثم قيل بعدهما: { فيغمد}

وقت الواقعة } كلاً الكلام مثيراً عتاباً إلى تمام. لكن التأكيد جاء فيما

ضمناً وبعدها { } ومن الواضح أنه يعود على النسق اللغفي، ويعتبر الأهمية

للسجع. وذلك ينضح في غير موضوع من كتابه.

وأما ما يرد في هذا النوع من المجازي ما يكون في الجملة الواحدة. فمثل

 قوله تعالى: { فإنها لا تعنى الأبالصر } ولكن تعنى القلوب التي في

-------------------------------

(1) المثل سابع - القسم الثاني: 249

(2) السابق: 250

271
الصدور (1) فذكر الصدور في الآية، لأن الكلام جاء على غير المعارف والمألوف، لقد أتى الناس وعرفوا أن المعنى يكون في الأبعاد، وجميعه في القلب جاء على سبيل التشبيه والملل، وليس على سبيل الحقيقة. وحين أريد إثبات غير المعارف احتاج إلى مثل الريادة التي جاءت (2) ويبكيه ابن الأثير على قيمة هذا الموضوع وما له من أسرار وكلابية في علم البيان، وما ينفرد به من رؤية التصوير وجاله وما يقدم من المجاسن واللطائف. يقول: ها هذا موضوع من علم البيان كثيراً ما همته، وفرة لطائفه، والمجاز فيه أحسن من الحقيقة لمكن زيادة التصوير في إثبات الوصف حقيقي للمجازى، وفيه نقي الحقيقة (3).

القسم الثاني: وهو ما يكون في الجمل:

ويتعالى ابن الأثير أهمية لهذا القسم، فهو عليه أبلغ ما فيه من اتساع مجال القول، مما يتيحه من سبيل التعبير. ويذكر أنه يشتمل على أربع أربعة:

الأول: أن يذكر الشيء ويؤل في مبان متداخلة. إلا أن كل معنى يختص بخصوصية ليست للآخر. وذلك كقول أبي قاسم:

طقعت إلى الرأيّين هياستهُ وآثاث متأمل السخاب المستبر
بين مشهورة، وصامعة يُبكّر، وإحسانٌ أغرِّ محجبٌ

وأبو قاسم يتحدث عن ممدوح له من كثرة، وأن هذه المذن قطعت إلى
الشاعر المسافات، وصارته ولم تكون مشبهة قليلة بل كانت لكفءها قد جعلت

_________________________
(1) الهج: 116.
(2) المثل السهري - القسم الثالث: 350.
(3) السياق: 352.

277
الساحب المأمول يبت مني ويجتر. وقد قال الشاعر في أول الأمر: "وهي تشمل الصناعت والإحسان. لكنه أراد الانتهاء والتزيع والإيمام بالتدية، فذكر لكل منها صفة. فالمالمة مشهورة، والصيحة بكر، وإحسان أغر عجل. ولو لم يذكر هذه الصفات لكان الأمر من قبل التكرير. وينبغي أن يكون الشاعر أن هذا النوع أحسن أنواع الإطابق وألفطها، وأن أبا تمام قد استعمله في شعره كثيرا. وأنه مختلف عن غيره من الشعراء. يقول:

سُجِّيَّ سجّيّةٌ تضفي ضيوفهُ ويرجحُ مُرجِيحٌ ويسأل سائله

الضرب الثاني: ويسعى النفي والإثبات، وهو أن يوق بآمن منفيا ثم يذكر بعد ذلك متيما، أو يأتي متيما ثم يأتي بعد ذلك منفيا. ومن الضرورى أن يكون في أحسه زيادة عن الآخر، ولا تعود ذلك رجوعاً. والفرز من ذلك تأكيد المعنى المقصود. فما ذكر منفيا ثم جاء متيما قوله تعالى: "لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاجدوا بأموالهم وأنفسهم، والله علم بالمتين، إلاما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، وارتات قلوبهم فهم في ربيهم يترددون". واعلم أن هذا الصرح من الإطابق فائدة كبيرة، وهو من أوكلا وجوزيه، إلا أن أرى أنه قال: "لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاجدوا بأموالهم وأنفسهم". ثم قال: "إما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ؛ فهذا في ذلك سواء، إلا أنه زاد في الثانى قوله: وارتات قلوبهم فهم في ربيهم يترددون". وولا هذه الزيارة لكان حكم ماتين الآتين حكم التكرير وهذا موضوع ينبغي أن يتأمل، وعليه ورد قوله تعالى: "الم، غلبت الروم في".

(1) الآية: 44 - 46.
(2) المثل الساعر، القسم الثاني: 252.
أدى الأرض وهم من بعد غلتهم سيغلبون في بضع سنين الله الأم من قبل، ومن بعد، ويومنذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو المعزيز الرحيم. وعد الله لا يخالف الله وعده، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا، وهم عن الآخرة هم غافلون (1) . فقد نفت الآية العلم عن أكثر الناس، ثم أثبت لهم العلم بظاهر الحياة الدنيا وكأنهم علموا وما علموا. كما يقول ابن الأثير، وليس يخفى ما أضاف في الجزء الثاني.

الضرب الثالث: وهو أن يذكر المعنى كاملا لا يحتاج إلى زيادة. ثم يضرب له مثالا من التشبيه وذلك كقول البخاري:

ذات حسن دو استعادت من الحسن إليه ما أصابت مزيدا في كالشمس بحجة، والقضيب اللدن قلدا، والرُّم طرفا وحيدا.

ففي البيت الأول تمام المعنى لأنه بين وصيدها الفائدة في الحسن، ولو أنها طلبت مزيدا لما وجدت زيادة إلا ما عندنا، وهذا يaturdays تحده كل شيء جميل. إلا أن المتتشبيه مزية أخرى تفيد السامع تصويرا، وتحيله لا يحصل له من البيت الأول وتحدهى (2).

ومن هذا الضرب قوله أيضا:

تردد في خلقتي إمؤذن، مهما طلعته مرجي وباسما نهينا فكالسيف إن جئت صارحاً، وكالبهري إن جئت مسكيناً.

---

(1) الروم: 1-5.
(2) الأمل السائر - الجزء الثالث: 352.
فاليت الثاني يدل على معتقد البيت الأول، إلا أنه زاده تحقيقا عن طريق الشبه.

الضرب الثاني: يقول ابن الأثير إنه الضرب الذي يستغرق فيه معاني الفرض المقصود من كتاب أو خطبة أو قصيدة. ويرى أن هذا الضرب أصعب الضرور لما يتفرع إليه من فروع كثيرة من المعاني. وفيه يتفاوت أرباب النظام والنظر، كما أنه لا يتوفر عليه كل أحد ولا يستطيعه كل من أراد. وجعل مثال هذا النوع ومثال الإيجاز مثال جميل ومفصل؛ ويشير إلى ما سبق من ذكره وذكر الإيجاز والتطويل. ويرى أن هذه الأمور الثلاثة مصنفة مفصل يصل إلى ثلاث طرق، ثم يورد عليه أمثلة من خلال وصف بعضها ذي فواكه متعددة، وتبيين هذا الضرب.

---

(1) المثل السابع - القسم الثاني: 250 وما بعدها.
التحول في الأسلوب

ويشمل على:

۱- الألفات.
۲- البادل في الأفعال والصيغ.
۳- أسلوب الحكم.
الأنواع

ويقال إنه شجاعة العربية. فقد زعموا أن العربية تفرد بهذا النوع من الكلام دون غيرها من اللغات. وقد يكون مثل هذا القول في حاجة إلى تحقيق ودراسة مقارنة بين اللغات المختلفة ليتنظر ما إذا كانت لغة أخرى غير العربية تأخذ بهذا النوع من الكلام. وأبا كان الأمر نفسه الشجاعة إلى العربية لأنها تحمل مثل هذا النوع من الكلام دليل على قيمته من الناحية الفنية وأثره في الأداء.

ويرى ابن الأثير أن الألفاظ: هو خلاصة علم البيان التي حوطها يبندان،

ويليها تسعد البلاغة، وعها يعمن.

ولقد كان الزمخشري أسبق من ابن الأثير في تناول هذا الفن من فنون الكلام. وبيان ما يُحسنه من آخر نفسي، وما يكون له من شأن في مجال التأثير في المجتمع. يقول في تعليقه على قول الله سبحانه وتعالى: إنه تعبد وإياك نستعين فإن قلت لم عدل عن نظف الفية إلى نظف الخطاب؟ قلت: هذا يسمى الألفاظ في علم البيان. وقد يكون من الفية إلى الحزاب، ومن الخطاب إلى الفية. ومن الفية إلى الكلام. وبعد أن يمل هذه الأمور يذكر ما فعلاه:

امرأة النسي في قوله:

نطالب كثي بالأنسائد، وموت الأب، فيسمى العالى الأربد، وتخيره عن أبي الأستود، وذلك من نيا جامعائنا

279
إذ الفتح فيها أمر الزهير ثلاث مرات: و ذلك على عادة افتقانهم في الكلام وتصريفهم فيه. ولأن الكلام إذا تل من أسلوب إلى أسلوب كان أحسن نظرية لنشاط السامع وإيقاظاً للإنسان من إجرائه على أسلوب واحد. وقد مثّل ذلك موقفه بوائد(1). وتبنى هذه العبارة كنه هذا الأسلوب. وأنه أحد طرق العرب في الأفتقان في الأسلوب لذبح الانتهاء وإيقاظ النفس وتحريرها لقبول ما يلقى إليها. وإيقاظ النفس وطريقةها، وبحث النشاط فيها غامرة من الغابات التي يسعى إليها المتحدث. وقد سببت الإشارة إلى شيء من هذا. لكنها هنا تظهر بجلاء في كلام الزقزوق. كما تبين هذه العبارة أن حالات التحول وإن شاركت في الأصول العامة التي أشارنا إليها فإن كل حالة منها لها خصوصية تفرد بها عن غيرها.

وإذا كان البلاغيون يتوقفون على الآثار الفنية التي تكون لهذا النوع من الكلام، فإنهم يختلفون حول مفهومه، والأمور التي يتحقق فيها. فجمهور البلاغين يقصره على الانتقال من إحدى الاتجاه الثلاث: الحكائية، والخطابية، والغوية إلى الأخرى. والزغشي من بعد السكاكي، وابن الأثير يثنون عليه، ويجعلونه الانتقال من أسلوب إلى أسلوب أو حتى التعبير عن نحو لم يكن حسب ما يقتضيه الظاهرة. وقد سبق أن ذكرنا في صدارة هذا الكلام ما ذهب إليه الزغشي. وهو أن نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب في نظرية لنشاط السامع وإيقاظ له.

ولعل تعرف ابن الأثير هذا النوع من التركيب يزيد القضية جلاءً ووضوحاً.

(1) الكتب: ج1، ص 11.  
380
فحقيّة الالتفات، مأخوذة من النُّفَات الإنسان عن بينه وشُجاعه، فهو يقبل بوجه رقعتة كما، وراء كذا، كذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة، لأنه ينقل فيه من صيغة إلى صيغة. كانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعل مضارع إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى مضارع، أو غير ذلك، بما يأتي ذكره مفصلاً (1)。

ولا شك أن مذهب ابن الأثير ومن قبله الزمخشري، وما يفهم من كلام السكاكى. أكثر اتساعاً في هذاباب، ذلك لأن مذهب الجمهور يقصرباب الالتفات على ستة أمور: الالتفات من الفنية للكلام، والخطاب، والتلفات من الكلام اللغية والخطاب، والتلفات من الخطاب اللغية والكلام. لكن مذهب الزمخشري، وأبن الأثير يدخل أمور أخرى كانتقال من الضمير إلى الظاهر، والظاهر إلى الضمير، ومن إحدى صيغ الفعل: الماضي والمضارع إلى الآخرين، وغير ذلك مما يعد تحولات في الأسلوب.

كما أن مذهب الجمهور يشترط أن يكون قد سبق الكلام في إحدى الصيغ وينقل إلى غيرها على نحو لم يكن يتوافق السامع، أو يتفاوت السامع. فلا يدخل في ذلك جوهر الكلام على غير ما يتعلق الظاهر ابتداء، فمثل قول الشاعر:

إلى عينك العايشي أتاكا مقرا بالذنوب وقد دعاسي
لا يعد من الالتفات عند الجمهور، لأنه لم يسبق الكلام وتم التحول عنه.
بينا هو من الالتفات عند الزمخشري وأبن الأثير والسكاكى، لأنه جاء على

(1) المثل السائر: القسم الغامض - 167 – 168.
خلف مقتضى الظاهر، فقد ذكر الإسم الظاهر (عبدك) والمقام مقام
تكلم (1).

وبقبل أن نتناول أنواع اللفظات - المتفق عليها - وبعض الأطراف الأخرى
نشير إلى المحاولة التي ذهب إليها الدكتور محمد مندور من إبادحة الخروج على
القواعد المألوفة لإمساك الأسلوب نوعاً من الجدة والطلاقة. وقد استشهد على
ذلك بعض ما جاء في القرآن الكريم من أساليب تخرج عن ما يقتضي السياق.
إلا أن الدكتور مندور هم نفدها من الخروج على المألوف من قواعد اللغة. إن
أصل الفكرة التي حاول الدكتور مندور إتبها صحيح. وصحيح أيضاً أنه لا بد
من البحث عن السبل التي تخرج الأسلوب عن رذابه، وتستميل النقوس إليه،
وتنشطها إلى تلفيقه. وأحسب أن ذلك يتحقق في أسلوب اللفظات.
والآن نتناول صور اللفظات وأحاول الكشف عن الخصائص الفنية التي
توجد في كل صورة من صورها.

أولاً: الرجوع من اللفظة إلى الخطاب:

ويتحقق ذلك في قوله تعالى: ﴿الحمد لله رب العالمين، الرحمن
الرحيم﴾، مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين﴾.
فقد تم الانتقال من اللفظة في الآيات الأولى إلى الخطاب في قوله تعالى:
﴾إياك نعبد وإياك نستعين﴾. يقول ابن الأثير: فإنه إذا عدل فيه من
الفية إلى الخطاب، لأن الحمد دون العبادة، آلا تراك تحمد نظرك ولا تعبده؟
فلما كانت الحال كذلك استعمل لفظ (الحمد) لتوسطه مع الفية في المثير.

(1) المراجع الأخرى: ٣٠٤ و ٣٠٤ وما بعدها.
قال: (الحمد لله) ولم يقل الحمد لك، ولما صار إلى العبادة التي هي أحسن الطاعات قال: (إياك نعبد) شاطب بالعبادة إصرارًا بها، وتقرأ من عرف اسمه بالانتهاء إلى حدود منها (1).

ورغم أن الزهري عد استدراك لدور الافتراض. واكتسب حراسة في توضيح هذا موقف. فعلى الرغم مما يذهب إليه ابن الأثير من زعم بأنه أدرك ما لم يدرك الزهري ، مجد الأمر على خلاف ذلك، بل تجد ابن الأثير يشير على خطيه جل الله، وبابنه.

إن ابن الأثير يسوق قول الزهري في التحليل للإفتراض من الغيبة إلى الخطاب، وجعله ما لم يره، يقول: (قال الزهري رحمه الله) إن الرجوع من الغيبة إلى الخطاب إذا استعمل للتفن في الكلام، والانتقال من أسلوب إلى أسلوب، تطية لنشاط السمع، وإيقاظا للإسفاهاني إليه، ثم يحاول الانتقال ما ذهب إليه الزهري ويقلل من قيمته. ويأتي إلى القول: وما أعلم كيف ذهب على مثل الزهري مع معرفته بفن الفصاحة والبلاغة (2).

والحق أن الزهري (2) بين الخطوط العامة، والقواعد الأساسية لفن الانتقال في الأساليب لكنه لا يقصر عن أن لكل موضوع خصوصية ينفرد بها عن غيره مع اشراك المواضع كلها في تطية نشاط السمع، وإيقاظ الإسفاهان حديثه. وأن هذا النوع هو من قبل التفن في الأساليب. يقول الزهري معلقاً على بعض صور الافتراض: ووالذي على عادة اختراعهم في الكلام وصرفهم فيه.

______________________________
(1) المصدر: الطبق الثاني، 170.
(2) المصدر: الألفانج: 99، 11.
(3) المصدر: الكتابة، ج1، 11.
ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظاً للإلهام إليه من إجتهاد على أسلوب واحد. وقد تخصص مواقعه بفوات. وربما اختص به هذا الموضوع أنه لما ذكر الحقائق بالحمد وأجرى عليها تلك الصفات العظيم، تعالى العلم بعلوم عظيم الشأن حقيق بالذات، وغاية الجموض والاستعانت في المهمات، فخواف ذلك العلم المصير تلك الصفات. فقيل: إنك يا من هذه صفاته تخصص بالنداء والاستعانت لا نعم غيرك، ولا نسميه. ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة إلا به (1).

ومن أملة الإلتفات من الفضي إلى الخطاب قوله تعالى: «اذ أراء وذل ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للقريني، الذين يؤمنون بالله وقيمون الصلاة وما رزقاهم ينفقون، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يبكون، أولئك على هدى من رحيم وأولئك هم المفلحون » إلى قوله تعالى: «فيا أبا الناس اعبدوا ربيكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون » (2).

ففي الآيات الكرية عدد الله فرق المؤمنين والكافرين والمنافقين، وذكر من صفاتهم ومصير أمرهم، وما أعد لكل فرقة منها من الجزاء. قاله من صفاتهم: الإيمان بالله وإقامة الصلاة، والإنفاق مما رزقهم الله، وهم يؤمنون بما أنزل علي محمد عليه السلام، ويؤمنون بما في كتبه، وพวกهم بالآخرة يبقون لا شك فيه ولا ريب، وجمعنا تلك حالهم تكون على الهدى، وآمن إلى فلاح.

(1) الكسرى: 1441
(2) البقرة: 1-111.
والكافرون: عميتم أمامهم المسالك والسل، وأناها على كفرهم، ولم
تعد دعوة الحق تؤثر فيهم، إن الله سمحته و تعالى قد عجل فيهم سبيل الإدراك،
فلؤهم قد ختم عليه فلا يصل إليها الهدى، وعلى أثوابهم مثل ذلك الحلم،
أو عليها كما على الأعيان غشاوة، أي أغطية تبيضها، وفتح أي شيء من الوصول
إليها، ولما كان هذا شأنهم، كان جزاؤهم في الآخرة العذاب العظيم.
وللمنافقون: تذكر الآية أحوالهم، وما يكون منهم. فهم يقولون شيء،
يتفنون ضده. يقولون بالإيمان، وفي قلوبهم الكفر. ويسعون ذلك خداعًا،
عندما يروسل وحجة المؤمنين. وهم في حقيقة الأمر يلدهون أنفسهم. ثم
تذكر الآيات صفات أخرى لمؤلاء المنافقين.
منها أن قولهم مريضة، والله قد زادهم تنافاتهم مزرا، وأنه يكدبون
ويفسدون في الأرض ويزعون أنهم يقيمون فيها الصلاح، ويشكون المؤمنين
بالسفن، ومهمهم، لم ينكاهم وجهلهم لا يعرفون الصواب من
الخطأ... إن المنافقين مراوغون. ولمثاقل الله، كما كانت تلك صفاتهم، وغيرها لما جاء في
الآية. كان جزاؤهم... الحسران المبين، والتخطيط في الضلال، والمذاب الأليم
الذي أعد الله لهم، وهبهم أن يفظروا به، أو ينجوا من قسوته. وبعد أن تكشف
الآيات صفات كل فرقة، وما أعد لها من الجزاء. تلتهم وتوجه إليهم
بالخطاب في قوله تعالى: "لا أبدي الناس إعبدا ربيكم". والرغشري يعد
ما سبق أن قرره من غير نفسه لأسلوب اللفاتات، وما كان هذا الموضوع منه من
خصيصاً، فاللفاتات فن من الكلام جزء فيه زهق النفس، وخروج من السامع.
وشأنته كان دائماً طاحنك عن ثلاث بحضر الحديث. وتعدله لما قام به من
أعمال، وما بدير من شيء العمل حتى إذا وصلت إلى بيان كل ما صدر منه

285
علمت بخاطرك إليه. وقالت له: أتمنى قلبي أن تتخلى عن مثل هذه الأمور الفاسدة وتوجه إلى ما فيه الجدير، لئك حين قلت مثل ذلك: دعه بالتفاوت فجعلني تنهيك. واستعذت إسهامك إرشادك زيادة استدعاء، وأوجدته بالآلات من النفس إلى المواحلة، هازاً من طبعه ما لا يجده إذا استمررت على نفس النفس. وهكذا الاختنا في الحديث، والمروج منه من صنف إلى صنف يستفتح الآذان للاستياذ ويعيش النفس للقبول و(1).

وأما جاء في الانتقال من النفس إلى الخطاب ما قاله المتنبي في آخر قصيدة:

يمده فيها ابن العميد في البربر مطلعها:

جاء نوبررنا وأنت مزارد
ووزرت بالزمر Брاءة راءة

وفيما يقول:

والذي عدننا من المال والحب
فعبيلة بأربعين مهاراً
كل مهر مبادئه إرشادة
أرباً لا براء فيما يزاوله
مرتب كثيروف الجيدا جيداً
فارطيها فإن قلباً تناعا

وأبو العطب كان يبنيه بهذا العيد المسمى بالبربر. ومن عادة الفرس فيه أن تحمل الهدايا إلى الملوك وهذا يحمل الملحن هدايا إلى ابن العميد قصيدة من أربعين بيتاً. يزعم أنه قلب الفكر وأداره ماذا يحمل إلى موحده. في مثل هذا اليوم، وكل الهدايا إنما هي هباته وعطاءه. لم يجد إلا تلك الغرر، حمل كل بيت منها مهرة، وهو الفتي من الخليل. وقد تلفت أبو العطب في الوقت، بالعدد عند الأربعين لأنها العمر التي يقال إن المرء إذا تجاوزها اختفى في أحوال.

(1) الكشاف : ٦٧١.
جسمه وتصرفا ونقص عمداً كان قبلها. وقد أراد المتني أن تضاف سنوات بهذا العدد إلى عمر ابن العبد.
وقد عقد ابن الأثير هذه الأيتام من إحسان أبي الطيب. ورأى احتجاجه بالوقف عند الأربعين بأنه من الحجج الفريضة.
ثانياً: الوجو من الخطاب إلى الغيبة:

وذلك على نحو ما نجد في قوله تعالى: "فَحُتِي إِذَا كَتَمَ فِي الفلك وُجِينِ جَمِيع طَبِيعَةٍ وَفَرَحَوا بِهَا جَاءَهَا رِيحٌ عَاسِفِ، وَجَاهَأَهَا المَوْجُ مِن كَلِّ مَكَانٍ، وَظَلَّلُوا أَنْهَمَ أَحْيِي بِهِمْ دَعَوَّا اللَّهِ مَتْعِلِصِينِ لِلَّذِينَ لَنْ أَتْبَعَنَّهُمْ مِنْ هَذِهِ لِتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاَعِرِينَ"(1) ونافيحة هذا تحول أنه يذكر حالتهم لم يجعله يعجب من صيعهم وكأنه يدرط كل عاقل يغيره بهذا التكرار المتكرر لينفره منه، ويجعله يستكبر ويستقبله.

إن خصوصية الالتفات من الخطاب إلى الغيبة التي وقف عليها جار الله الراغشري، هي نفس الخصوصية التي ذكرها ابن الأثير. ولا تكاد عبارة الأخيرة تختلف عن عبارة الراغشري(2). لكن يجب الإشارة إلى أن مقتضيات الأحوال ومناسبة المقامات قد تكشف عن أمور أخرى. وتشير إلى أعراب غير تلك التي تجدنا في غيرها. فإذا كان الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في الآية السابقة للمباغة، كأنه يذكر لهؤلاء ليعجب منهما، ويسدني الإنكار والتقصي، فإن الإنصراف إلى الغيبة قد يكون في مقدم المدع والثناء مدد وعظيم شاء، وكأن المتكلم بروى الأمر للآخرين تعجب واستظاما. وهذا ما يكشف عنه الراغشري.

---

(1) يونس: 27.
(2) المنلل الساحر: القسم الثاني، 178 ، الكشاف: 60، 27.
في قوله تعالى: "فَإِنَّمَا آتٍّمٌ من زكاة تزيدون وجه الله، فأولئك هم المضفعون". فالألفاظ هنا كأنه قال ملاككم وخصى خلقه فأولئك الذين يزيدون وجه الله بصدقهم. هم المضفعون. فهو ألمدح هم من أن يقول: "وَفَاتِمُ المضفعون".

علينا في الألفاظ إذن أن نلاحظ الأسس العامة التي تحدث عن التحول بالأسلوب من طريقة إلى آخر، ثم نبحث في كل انتقال عن النكتة التي أدت إليه. مسترشدين بالمقامات وحالات النفس، والأعراض التي يصاغ لها القول. وقد تبين ابن الأثير إلى أن الانتقال بالأسلوب إلى حالة ما قد يأثر للغاية وعكسها. يقول ابن الأثير في هذا: "والذي يعنى أن الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، أو من الغيبة إلى الخطاب لا يكون إلا لفائدة أقصته، وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب، غير أنها لا تخدع، ولا تضطرب بضاعت. كن يشار إلى مواعظ منها، لبقاس عليها غيرها، فإننا قد رأينا الانتقال من الغيبة إلى الخطاب قد استعمل لتعظيم شأن المحاطب، ثم رأينا ذلك بعينه وهو ضعٍ الأول - قد استعمل في الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، فلمنا حينئذ أن الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجري على وقفة واحدة، وإنما هو مقصر على العناية بالمبنى المصوود، وذلك المبنى يشبع شما كثيرة لا تتحصر، وإنما يرقى على حسب الموضوع الذي ترد فيه (1).

وذاك أعدل الكلام يقال ليس في هذا الموضوع فحسب، بل في كل موضوع من مواضيع البلاغة. إن المبنى، والمقام، والغبية المرجوة من الكلام، وغير ذلك أمور تحدد الخط الذي يجب أن يكون عليه الكلام.

______________________________
(1) المثل البشير: الفضل الثاني. 170.

288
ومن الانتفاض من الخطاب إلى الغيبة قوله تعالى: { إن هذه أمتكم أمة
واحدة وآئنا نزلكم فاعبدون، وتقطعوا أمرهم بينهم كل إيذانا راجعون } (1)
ففى قوله تعالى: { وتطوعوا } تحول من الخطاب إلى الغيبة. وقد كان مقتنع
السياق أن يقول: وتطوعتم لأن قال: { أمتكم } وآئنا نزلكم وهم
للمحاطب. وقد أدى هذا الانتقال من الخطاب إلى الغيبة إلى أنه سبقائه يشهر
هم وما فعلوه، وكأنه سبقائه يذيعه إلى آخرين ليطلعهم إلى ما فعل هؤلاء من
قيد الأفعال، وما قاموا به من وديع الأعمال. يقول ابن الأثير: { الأصل في
{ تطوعوا } تحولتم، عطنا على الأول } إلا أنه صرف الكلام من الخطاب إلى
الغيبة على طريقة ( الانتفاض ) كأنه يرى عليهم ما أفسدوه إلى قوم آخرين،
ويبيح ما فعلوه منهم ويقول: { ألا ترون إلى عظيم ما ارتكت هؤلاء في دين الله
 تعالى } فجعلوه دين الله فيما بينهم قطعاً { وذلك تمثل لاختلافهم فيه } وتبانهم;
ثم وردهم بعد ذلك بأن هؤلاء الفرق المختلفة إليه برجمون، فهو جمازهم على
ما فعلوا { 2 }. 

ثالثاً: الرجوع من الخطاب إلى التكلم:
على نحو ما جاء في قوله تعالى: { واستطقوه } رجكم ثم توبوا إليه وإن
رى رجيم وودود { فقد عبرت الآية عن الذات الكبيرة بأسلوب الحجاب
ه } رجكم } { ثم عدلت فعبرت عنها بأسلوب التكلم } إن رجيم

ومن هذا النوع قول الشاعر:
طِلَّحَبَكَ قُلْبَيْنَ في الحسان طرَوب
تَمْيِضُ القَلَبِ بِحَسَنِ الْكَشْفٍ
بِكَلَّفَيْنِ لَيْلٍ وقد شَفْتِ أَنْفُقَاهُ
عادت عواوين بيننا وحُطْبُ

(1) الأبيات: 42 - 43
(2) المثل السائر: القسم الثالث
168

889
قنى اليت الأول يجرد الشعرى من نفسه شخصه يخاطبه. ويقول: ذهب بك وأطلفك قلب مولع بالحسن. في وقت ذهب فيه عهد التصامى، وحل محله المشيب. وهو يكلفك ما لا طاقة لك به، ولا قدرة لك عليه... إنك تكلفك هوِل ليلي وطلبيا، وقد أبدعت ينهاك الشقة، وراز الخلف... وفرقت بينكما الأحداث والخدوب. وكان متضى السباق أن يقول في اليت الثاني: «يكلفك لكي يكون على نهج الأزول (طلبا بك) لكنه عدل عن ذلك إلى الحديث عن نفسه ليبين أنه المعني بهذا.

رابعاً: الرجوع من التكلم إلى الخطاب:

على نحو ما جاء في قوله تعالى: «وَمَا لَكَ مِن أَعْيَنِ الَّذِى فَطَرَنَّ إِلَيْهٔ تَرَجَعُونَ» فقد عنيت الآية الكريمة عن الذات الأصلية بطريق التكلم (الذي فطرين) ثم التفت إلى الخطاب في قوله: «إِلَيْهِ تَرَجَعُونَ». وفي هذا الانتفاس إشعار لهؤلاء أنهم سيرجعون إلى الله، وأنه سوف يجنبهم بأعمالهم. وفي هذا تخذير لهم من الخلافة لما أمر به.

ومن هذه الحالة من حالات الانتفاس أن المكلم من المتكلم إلى الخطاب ما جاء في قوله تعالى: «يَا عِبَادِي لَا تَرَونَ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ يَمْلِكُ مَعَهُ عَزْىٍ وَخَوْفًا» دل على ذلك، وهو يقل الخطاب في بيان الغلبة من هذا الانتفاس: وقد يعدل المتكلم إلى الخطاب غلبا بالإقبال على الخاطب ومواجهة زيادة اللوم والإنكار، ويتمثل بالآية السابقة. ثم يقول: «وَفِي الإِخْبَارِ عِمْراً فَطَرْتَهُ نِعْمَتَيْنِ» ثم يقابل عليه الخاطب دليل على زيادة الإنكار، كمن يشكو إلى الناس جناه حتى عليه، ثم يقبل عن الجاني إذا حمي في الشكاية مواجهة له بالتوضيح وإزالة الحجة والتحذير (1).

(1) الكناف: 260.
خامساً: الالتفات من التكلم إلى الله:

ذلك نحو قوله تعالى: {يا عبادي الذين أسرقوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنب جميعاً، إنه هو الغفور الرحمي} (1)
قد بدأت الآية الكريمة بمخلبطة العباد حيث أضافهم الله إلى نفسه، تأكينا لعبادته عليهم، وطلب منهم أن لا يقنطوا. لكنه عدل عن الخطاب إلى الله في قوله: {من رحمة الله} وكان مفتى الظاهر أن يقول: لا تقنطوا من رحمة.

ومن ذلك الصف من العدل قوله تعالى: {فهم والكتاب المبين}. إننا أنزلنا في ليلة مباركة إذا كنا متدرين فيها، يفرق كل أمر حكيم. أما من عندنا إذا كنا مرسلين: رحمة من ربك {2} والطيفة في هذا الالتفات أن عظمة الروية والرمية السابقة ت قضيان إرسالك بهذا الكتاب المبين، والعلم المحيط بكل الأشياء اقتضى أن يكلوك برحمة، وتعظيمه، فلا تتخشى أحداً من أعدائك {3}.

ومنه أيضاً قوله تعالى: {إنا أعطيناك الكروت فصل لربك وأخر} {4} فقد كان مفتى الظاهر أن يقول: فصل لنا، لكنه انتسل إلى الغيبة لكان الروية وعظمتها، وما يجب لها من الانتقاد والطاعة.

سادساً: الالتفات من الغيبة إلى التكلم:

وعليه قوله تعالى: {فغضبن من سبع سناوات في يومين، وأوحى في كل سماة أمرها، وزينا السماء الدنيا بصبحة وحفظاً، ذلك تقدر المميز العلم} {5}

(1) الدخان: 1 - 5
(2) الكشف: 4423
(3) نصلت: 12

291
ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿وَللهِ الَّذِي أُرِيَ الْرِّيحَ فَنَفَسَاهُ حَسَبًا فَسَقَاهُ إِلَىٰ بَلْدِ مِئَتٍ ﴿(1) وقد ورد في القرآن الكريم التحول من الغية إلى التكلم ثم التحول من التكلم إلى الغية في قوله تعالى: ﴿سَبِحَانَ الَّذِي أُمِرَ بِيَوْمِيَ بِحَضْرَةِ الْمَسَاجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكَنَا حُولَهُ لَنِيبًا مِنَ آيَاتِنَا ﴿(2). وقد جاء الانتفاس من الغية إلى التكلم في الشعر الجيد على نحو ما نجد في قول أبي طالب:

وَرَكَّزُ بِبَيْنِ الرَّكَابِ زَجَاجًا
فَقَدْ أَكَلَّهُ شَرِّهَا غَرَّةٌ
إِذَا آبَاهُ ﺞَُّدُّ ﻓَرَّ ﻓِوْلِدَ ﻓِي
وَالْمَرْجَامُ ﻳَنْفُذُ ﻤَسَاءَ آمِنٍ

كَانَ بِهَا ضَغْنًا ﻋَلِيَ ﺑِكِلٍّ جَانِبٍ
إِذَا ﺑُلْجِرَ لَا ﻓِي أُبَاءِ ذِينٍ
فَقَدْ هَانَالُ تَلْقَى ﻣَوْضُوعًا ﻣِنْ ﺑُكَبَرْت
لَا يَقِفُ التَّحْوَلُ ﻣِنْ أَسْلَوْبٍ إِلَىٰ آخَرٍ ﻋَنْدَ ﺍﻟْأُمُورِ ﺑَالْبَلَاغَةٍ، إِنْ كَانَتْ هَذِهُ

الْأُمُورُ مُوْضِعٌ إِجمَاعٌ ﻋَنْدَ عِلْماءِ البَلَاغَةِ

إِذِ ﺑِلَا تَحْوَلُ ﻣِنْ أَسْلَوْبٍ إِلَىٰ آخَرٍ ﻋَنْدَ ﺍﻟْأُمُورِ ﺑَالْبَلَاغَةٍ.
ومن بين هذه المواضيع:

وضع الظاهر موضوع المضمّر:

وأما جاء على هذا النحو قوله تعالى: ﴿وَأَيُّهَا النَّاسُ إِلَيْكُم مَّآمِرَتُهُمُّ الْأَمۡيَّةُ الَّتِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ كُلَّمَاتِهِ وَتَابِعِيهَا لِلَّهِ﴾ (الأعراف: 1). فالآية في أية تتحدث على لسان الرسول ﷺ، وهو يقول: ﴿إِلَيْكُمْ فَأَمِنُوا ﷺ﴾ وكان الظاهر يقتضي أن يكون الحديث في عدنها ﴿فَأَمِنُوا ﷺ﴾ لتكون عطفًا على قوله: ﴿إِلَى الرَّسُولِ ﷺ﴾ لكنه سبحانه عدل بالحديث عن البكلام، وضع الاسم الظاهر عليه: ﴿فَأَمِنُوا ﷺ﴾ ورسوله ﷺ الذي كان العدل إلى الظاهر من أجل أن يجري عليه الصفات التي أجريت. وليست أن الذي يجب اتباعه والإيمان به هو هذا الشخص الذي وصف بأنه النبي الأمى، وأنه الذي يؤمن بالله وكلمه. سواء كان هو أو سواء من الرسول. وقد لخص ابن الأثير سبب هذا العدل في أمرين: الأول منهما: إجراء الصفات عليه. والثاني: الخروج من عينا الحسب لنفسه.

(1) الأعراف: 158.
(2) لتال السائر: القسم الثاني: 179.
التبادل بين الأفعال

ومن التحول في الأساليب، أو الانتقال من أمر إلى آخر لنكية بلاغية ما
نجد من وضع صيغة من صيغ الأفعال مكان الأخرى: ولم يجعل ابن الأثير هذا
الانتقال طلباً للتوسع في الكلام فحسب، بل جعل لأمر وراء ذلك، وسوف
حاول الوصول إلى بعض هذه اللطائف:

أولا: الوجوب من الفعل المستقبل إلى الأمر:

ويتم هذا تخليماً من أجرى عليه الفعل المستقبل، وتخليماً من أجرى عليه
فعل الأمر. وذلك كقوله تعالى:  قَالَ مَاء طُور مَا جَنِتُ بَيْنَهَا وَمَا نَجَّيْتُ بِآدَمَيْنَ عَنَّكَ وَمَا هُمُ الْمُرْتَبِكَينَ: إن تقول إلا اعتراض
بخصوص آمنة بسوء، قال إلى أشهد الله، وأشهدوا أن برئها ما
تشركونهم.  

فالسياق الذي يقتضيه ظاهر الحال أن يقول:  وأشهد الله وأشهدكم، لكن
الآية عدلت عنه في قول ورد عليه السلام ليظهر أن إشهدوا رب العزة على
البراءة من الشرك يختلف عن إشهادهم، فبينا إشهاد الله صحيح فإن إشهادهم
لا يعدون أن يكون نوعاً من السخرية واتهمهم.

ثانيا: بأن الوجوب من الفعل الماضي إلى الأمر:

والذى نحو قوله تعالى: قل أمر رئ بالقسط وأقيموا وجهكم
عند كل مسجد، وادعوه من خلصين له الدين: لئية الخصوصية هنا

(1) 131 - 65.
كالموضوعية في الرجوع من المستقبل إلى الأمر، بل الأمر مختلف، لأنها هنا تكون لتحقيق الأمر وتوكيده في النفس، فإن الصلاة من أوكر الفرائض التي فرضها الله على عباده، فأمر بها سبحانه بعد قوله: "أمر رئي بالقسط" ثم أتبعها بإخلاص النية وهي من عمل القلب.

تالى: الإخبار عن الماضي بالمستقبل:

ويبعد ضياء الدين بن الأثير على أنه ليس كل مضارع جاء جواباً للماضي كان له حظ من البلاحة. فهناك إخبار بالمستقبل عن الماضي ليس من أمور البلاحة، لأنه في الحقيقة ليس إخباراً بمستقبل عن ماض، وإذا هو مستقبل دل على عين مستقبل غير ماض، ويراد به أن ذلك الفعل مستمر بالوجود لم يمض(1). يمثل ابن الأثير هذا النوع بقوله تعالى: "إن الذين كفروا وصدرون عن سبيل الله"(2) ودين أن عطف المستقبل على الماضي، لأن كفرهم كان ووجد لابن الأثير، ولم يستجدوا خلال كفرها ثانية، وصدامهم متجدد على الأيام لم يمض كونه، وإذا هو مستمر مستأنف في كل حين(3). وجاء من هذا الضرب أيضا قوله تعالى: "لأم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة"(4). وقد كان مقتضى الظاهر أن يقول: فأصبحت الأرض، لتنبأ مناسبة لأنزل. لكنه عدل عن صيغة الماضي إلى المستقبل لإعداد استمرار أمر المطر زماناً بعد زماناً، وردناً بعد آخر. وذلك كأن يقول: أنعم على نبات فازروه وأغدو شاكلها. ويشير ابن الأثير أيضاً إلى حسن هذا الموضع ودعو إلى تأمله. لذا الدول فيه ليس لأمر يبلغ، أو نكتة بريدها المتكلم وعندما إليها.

كما تجد في النوع الآخر الذي يكون الإخبار فيه عن الماضي بالمضارع لاستيادية الصورة التي حدث بها الفعل، وإعادتها أمام العين ماثلة كأنها لا تزال

(1) الآية 124، التفسير 54-55، (2) الالب: 184، (3) الألف السبأ: الفقرة 65-64، (4) الآية 184.
مستمرة تحدث، يقول ابن الأثير: «أعلم أن الفعل المستقبل إذا أتى به في حالة الإخبار عن وجوه الفعل كان ذلك أبلغ من الإخبار بالنفع الماضي، وذلك لأن الفعل المستقبيل يوضح الحال التي يقع فيها، ويحتضر تلك الصورة، حتى كأن السامع يشاهدها، وليس كذلك الفعل الماضي» (1). فهى قوله تعالى: «وَاللَّهُ الَّذِى أَرْسَلَ الْرِّيَاحَ تَتَفَكَّرُ سُحَابَاهُ فِي سَفَنَهَا إِلَى بُلدٍ مُّبَتِّحٍ، فَأَحْيَاهَا بِالْأَرْضِ، وَالْفَزْرَ مِنْ ذِلِكَ حَكَابَةُ الحَالِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا إِثْرَةُ السَّحَابِ إِلَى الْبَلَدِ الْمُؤْتِرَةُ» (2).

وأعربية هذه المخوصية إلا في فعل يكون فيه نوع من التعبير، والخصوصية، كحال غريبة أو أمر من الأمور التي تهم المشاطب، نحو ذلك.

والذي جاء من هذا الأسلوب ما ورد من حديث الزبير بن العوام - رضى الله عنه - في غزوة بدر. فقد قال: «أسلمت عيدة بن سهيل العاص، وهو على فرس، وعلى له أبنته كاملاً لا يرى إلا عيناه، وهو يقول: أنا أبي ذات الكوس، وفي يد غزرة فأطلع بها في عينه، فوقع، وأطلق برسو على عده، حتى غرقت العزيزة معغقة». والزبير يحدث عن فارس عليه درع سابقة لا يظهر منها غير عينيه، وهو مغر بقوته دال بها. والزبير يمسك في يده العزيزة وهي مثل نصف الريح، وفيها ستان كستان فطنته بالعزيز في عينه فأسقطه. ثم أخرج العزيزة من عينيه وقد قفعت. والصورة عجيبة، فمن ثم أراد الزبير أن يبعثها حية أمام الأعين، فعدل عن صنيعة الماضي، إذ لم يقل: نطلعت بها في عينه. وإذا قال: فأطلعاه.

(1) المثل السائر: القسم الثاني 181
(2) فاطر: 98

296
ومثل هذا الاستحضار للصورة العجيبة نحده في قول تأبّط شرا حين زعم

أنه النبي ﷺ وناراً. فقال:

وإلى قد لقيت الغول عهيد فقلت: إلّا أن يصّن أينKF R ظنهاة

فشلت شدة غيّرها فأهّرة

فخرجت كلاً بليدين للجبران

قلت: نعم. فقلت لها رؤيّداً

فلم يرّكّب ملكها عليها لأنظراً مصّبها ماذا أثارت

إذا عينان في رأس قيصر

كرؤى المهر منقووق اللسان

وساقاً خذله، وسراءً كليب

وتأبّط شرا يقدم لنا صورة لمحركة عجيبة له. انظر فيها على خوارق

حيح، له هيّة تثير الرعب والفزع، إنه شيء لم يمر من قبل أمام عينيه. ولما كان

تأبّط شرا قد أبل في المعركة بلاء حسناً، أراد أن يتّبع صورة المعركة حبة نابضة

بالحركة مائولة أمام العين، فعطف المضرع، فأضربها على الماضي لتحقيق هذه

الغاية.

ومن العدول عن الماضي إلى الماضي لأستحضار الصورة. قوله تعالى:

فذاك ومن معظم حرمات الله فهو خير له عند ربه، وأحلت لكم

الأئمة إلا ما ينال عليكم، فاجتنبوا الرجس من الأئمة، واجتنبوا قول

الزرور، حفرو لله غير مشركون به، ومن يشرك بالله فكأنما تحرك من

السماء فتخط له الطور، أو غرى به الريح في مكان سحيق»(1) فقد

(1) المجل: 230-31
عندما الآية قوله تعالى: ۗ فِي خُطُطِ الْطَّيْرِ، أو مَهْوَى مَهْوِیۡهِۡ عَلیٰ خَرٍّ. وإِنَّا
كان العدول من الماضي إلى المضارع، لاستحضار خطف الطير إياه أو مَهْوِیۡهِۡ الرِّجۡلِ
ۗ۱(1).
رابعاً: الرجوع عن المستقبل إلى الماضي. أو الإيحاز عن الفعل المضارع بالفعل
الأرض على خلاف ما يقضيه ظاهر الحال: 
والنكتة في هذا ما يكون فيه من التأكيد على تحقيق الفعل ووجوده ونتظر
إلى تلك الغاية من خلال قوله تعالى: ۗ وَيَوْمِ يُفْقَرُ فِي الصُّورِ، فَقِيرٌ فِي
السماوات، ومن في الأرض،(2) فقد أخبره الآية بالماضي، وقيل: عن
المضارع يفزع: وذلك لتُأكيد وقوع الفزع، والإشارة بأن ذلك واقع لا منع.
لأن الفعل الماضي يدل على أن الفعل قد حدث.

ومن هذا الصنف من الكلام قوله تعالى: ۗ وَيَوْمِ نَسَبِ الجَبَالَ، وَتَرْعَى
الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً(3) فقد قال سبحانه: ۗ وَحَشَرْنَاهُمۡ بَعْدَ قُولِهِ: ۗ نَسِبَۢ ۡۡۡ، وَتَرَىۢ، وُهَمۡ مَُسْتَبَلَانۡ. لِيُلَدِّ
عِليَّةَ الْحِشَر وَوُقَوعهُ، لِقَطْعِ الْطَرِيقِ عَلیٰ مِن يَنْكَرِهِ وَلَا يَوْمِنۡهُ بِإِنَّ الْحِشَر
يَقُولُ أَوَلَا، ثُمَّ يَأْتِي بعده البروز ورؤيته، وتُسِيرُ الجِبَالَ.

ويجري هذا المجرى - أي الإيحاز عن المستقبل الماضي - الإيحاز عن الفعل
المضارع باسم الفعال، وإذًا بما ذكرناه كجزء من الفعال مما في الماضي. ومن
هذا النوع قوله تعالى: ۗ إِنَّ فِي ذَلِکۡ لَا يَلِدُ: مِن خَافِعٍ عَذَابِ الْآخِرَةِ، ذَلِکّ:

(1) البقرة : ۱۸۴
(2) البقرة : ۸۷
(3) الكهف : ۴۲
يوم مجموع له الناس، وذلك يوم مشهود، وفإنَّه إنما آثر اسم المفعول
الذي هو (مجموع) على الفعل المستقبِّل الذي هو (يجمع) لما فيه من الدلالة على
ثناء معنى الجمع ليومه. وأنه الوصف بِهذه الصفة (1).

أسلوب الحكم:

ومَا يُتَقُبِّر على خلاف مقتضى الظاهر ما أطلقوا عليه أسلوب الحكم. وهو
تلقى كلام المتلاطف بغير ما يترقب، وإجابة السائل بغير ما يطلب بتنبِّيل سؤاله
منزلة غيره إِشارة إلى أن ذلك الجواب الذي يجاب به هو الذي يجب أن يسأل
عليه.

ومن خلال هذا التعرف يتضح لنا أن ما أطلق عليه أسلوب الحكم يضمن
صارونين:

الصورة الأولى: أن يتحدث المتلاطف وهو يريد معنى من المعاني، يقلقه
الأخر يضيف ما يريد، يثبته على أن الثاني هو الأول والأليم به، على نحو
ما روى عن (2) القبَطِي: (أحد الحجاج) . وكان قد ذكر المهاجر بسوء، بلغ
ذلك الحجاج، وحين أحضَّر بين يديه قال له الحجاج: (أحلَّنكنّك على الأدعم،
يريد أحلَّنكنّك في القائل. يقول: القبَطِي: مثل الأمير يحمل على الأدعم
والأشباه. يعني: أن مثل الأمير يحمل على الحال. وزاد ذلك بإضافة الأشبة.
لقد أبرز وعيد الحجاج لي معرض الوعيد. جمل كلمة على معنى لم يرد الحجاج
أو يقصد إليه. وهذا قال له الحجاج: (ه وَلكَ إِنهُ لِمَدِيدٍ) فقال (القبيطي): لأن
يكون حديثاً عن من أن يكون بليداً. فحمل كلام الحجاج مرة أخرى على غير
ما أراد .

(1) هود: 103
(2) القمي السائر: 186.
من هذا القبيل قول ابن الحجاج البغدادي:
فقد أراد أنه قلت من خلال كبره طلبه وتكره بعده. فكان الحساب أنه
أتى كاهل صاحبه بالآياء والنعم. وأراد الأول الإبرام يعني المال فحمله
على إبرام عهد الموعد وإحکامها.
ومن هذا النوع قول ابن نبأة السعدى:
أتت تشتكى عندي مزاولة القرى، فقد رأت الضيافان يتحون منزلي
قلت: كأني ما سمعت كلامها.
فالمرأة هنا ضائقة بالضيافان لكرائهم، فما يذهب فواع إلا يأتي آخر. لهذا
جاءت تشكر الرجل ما تعلته من المشقة والنصب، وقد رأت طائفة منهم تنحه
تحو بينه. لكنه يقابلها بغير ما توقع فقد كانت توقع أن يعتذر لها أو يخفف عنها،
لكنه يتجاهل الأمر كله، وينطليها طالبا منها الجهد والتعجيل بالقرى فهؤلاء من
الضيافين، وكأنها تسبرهم وتعبد.
الصوره الثانية: أن يسأل سائل عن أمر فيجب بغير ما يتوقع. وذلك يتقلل
سأله منزلة غير تعبير له على أن ذلك هو الأحق بالسؤال عنه. وذلك على نحو
ما جاء في قوله تعالى: (1) أسألونك عن الأهلة. قل هي مواقت للناس،
والحج (1) فسألهم كان عن سبب اختلاف القمر، وظهوره في أشكال مختلفة.

(1) البقرة : 189 .

٣٠٠
وكان مقتضى الظاهر أن يجابوا عن السبب في ذلك، لكنهم أجبوا ببيان الحكمة والعرض من هذا الاتحاف.

ومن هذا النوع أيضاً قوله تعالى: "فَسَأَلْنَكَ مَا يَفْقِهُنَّ". قل ما أنتفقم من خبر فParents والذين والذين والذين والذين والذين في السبيل؟ 1). فسأله عن نوع ما ينفقون أو مقدار ما ينفقون. وكان مقتضى الظاهر أن يكون الجواب: "أنفقوا ذهباً أو فضيّاً أو إبلًا أو مسناً، أو أنفقوا هذا المقدار أو ذلك. لكن الجواب كان على غير ما توقعوا حيث ينفق لهم المصارف التي يجب أن يكون الإتفاق فيها.

وليس النحو في الأساليب، والانتقال من أمر لآخر رفقة على المواصفات التي سبق ذكرها، فهناك مواضع أخرى كالقلب، وهو جمل جزء من الكلام مكان آخر، مع إثبات كل حكم لآخر.

لكن ذلك كله مشروط بتحقيق فائدة في الكلام، وإكسباه نوعاً من الخلابة، وإستالة التعين إليه، أو التأثير على المتلقى. وإطلطبه بالحديث عن نحو مثير موقفه، كما أنه من الضروري عدم اختلاف اللالة أو غموض المعنى، لأن البلاغة لا يمكن أن تتحقق إلا عند أمين اللبس.

والحمد لله أولاً وأخيراً.

الدروحة: رمضان المبارك 1412 ه
المصادر والمراجع

1 - أساس البلاغة: جار الله الزغبي.


3 - الأسس الجمالية في النقد العربي: د. عز الدين إسماعيل. الفكر العربي. 1955.

4 - الإيضاح: الخطيب القرني. دار الجيل - بيروت - لبنان.

5 - البرهان في وجه البيان: الزركشي.

6 - بنية الإيضاح لتلخيص المقاتح: عبد المتعال الصعيدى.

7 - البلاغة تطور وتاريخ: د. شوق ضيف. دار المعارف.


9 - البلاغة الواضحة: على الجاسم - مصطفى أمين.

10 - البيان والبيان: أبو عثمان الجاحظ. ت: عبد السلام هارون.


12 - البيان في المعالج والبيان: شرف الدين الطبيب. ت: د. توفيق الفيل.

عبد للطيف لطيف الله - منشورات جامعة الكويت.

13 - تلخيص البيان في مجازات القرآن: الشريف الريماي. محمد عبد الخبي.

حسن - القاهرة - 1955.
14 - التصوير الفني في القرآن الكريم: سيد قطب
15 - خصائص التراكيب: د. محمد أبو موسى - مكتبة وهبة - القاهرة
16 - الخصائص: ابن جني
17 - دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني - د. محمد عبد المنعم خفاجي - القاهرة - 1969 م
18 - دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني - محمد محمود شاكر
19 - دلالة التراكيب: د. محمد أبو موسى - مكتبة وهبة - القاهرة
20 - ديوان إبراهيم ناجى: المجموعة الشعرية - بيروت
21 - ديوان أبي تمام: بشرح الخطيب - محمد عبد عزام - ط 3 - دار المعارف - مصر
22 - ديوان الحترى: ت: كامل الصيريف - دار المعارف - مصر
23 - ديوان حامد طاهر
24 - ديوان عمر أبو بريدة: المجموعة الشعرية - بيروت
25 - ديوان على محمود طه: المجموعة الشعرية - بيروت
26 - الطراز: بيبي بن حمزة العنوي - المقتطف - مصر - 1914 م
27 - علوم البلاغة: محمد مصطفى المراغي
28 - عيار الشعر: ابن طباطبا - طه الحاجري - بالاشتراك - 1906 م

304


31 - فن القول: أمين الحواري - الفكر العربي 1947 م.


33 - القيم الفنية المستحدثة في الشعر الإسلامي: د. توفيق الفيل - منشورات جامعة الكويت.

34 - الكامل في اللغة والأدب: المبرد - م المعارف - بيروت.

35 - الكشف عن حقائق التسجيلات وعيون الأقوال في وجهة الناويل: أبو القاسم جار الله عموود بن عمر الخوارزمي - الجلبي - مصر.

36 - النهاج الواضح للبلاغة: حامد حمود.


38 - الموجز في تاريخ البلاغة: د. مازن المبارك - دار الفكر.

39 - مفتاح العلوم: أبو يعقوب السكاكيني.

40 - مقدمة ابن خلدون دار الشعب - مصر.

42 - الموازنة بين الطالبين - الآمدي : الحسن بن بشر - ت. سيد صقر

43 - نزهة الألباب في طبقات الأدباء - ت. محمد أبو الفضل إبراهيم - نهضة مصر.

44 - نظرية الأدب : ربيع وليلك - ت. صفاء خلوص.


46 - الكت في إعجاز القرآن : الباقلاني. ت. محمد خلف الله.

47 - نصوص أدبية - دراسة تحليلية : د. توفيق الفيل - د. مصطفى النحاس.

48 - ينجة الدهر : العالي. ت. محمد عيسى الدين عبد الخميد - مكتبة السعادة - القاهرة.

49 - الوسطية بين المشي وخصوصه : الفاضل الجرجال - ت. محمد أبو الفضل ط. 4 - الجلبي - القاهرة.
فهرس

1 المقدمة
2 تهيد في بيان ماهية علم المعاني ومجالات البحث فيه
3 الخير والإنشاء
12 الإسناد الحربي - صدق الخير وكذبه - أغراس الخير
14 أضرع الخير وما يجب لكل ضرب منها
19 المجاز العقلي ( التجوز في الإسناد )
26 أول من نه على هذا النوع من المجاز - العلاقة في المجاز العقلي
31 هل يجب أن يكون لكل مجاز حقيقة - صور من المجاز العقلي في القرآن الكريم
40 والشعر

أحوال المسند إليه

الذذف وبلاغته - حدف الخرف - حدف المسند إليه والمسند - حدف الفعول
47 به - حدف جواب الشرط - حدف الجملة - حدف الجمل
ذكر المسند إليه - تعرف المسند إليه بالسمير - باللسان - بالإشارة وواصل الوصول
90 - بالألف واللام - بالإضافة

التقديم والتأخير

الأصل في التقديم الاهتمام - أنواع التقديم - ما يفيده التقديم
110 تقديم المسند - تقديم متعلقات الفعل - التقديم في فعل وغير
130 أحوال المسند

ذكر المسند - بمجيء المسند فعلًا - بمجيء المسند اسمًا - البلاغة في هذا وذلك
141 تعريف المسند وتكريمه

307
أحوال متعلقات الفعل
الفصل والوصل
تعريفه. دقة البحث فيه - أهميته - مواضيع الفصل - مواضيع الوصل ...... 100
الإنشاء
أساليب الإنشاء - الإنشاء غير الطليبي - الإنشاء الطليبي - أنواعه ...... 193
1- التثنى - تعريفه - خروجه على مقتضى الظاهر ..... 195
2- الاستفهام - تعريفه - أدواته - الاستفهام باطمة - الاستفهام بـ هـ ..... 199
بقية أدوات الاستفهام - خروج الاستفهام على مقتضى الظاهر ..... 209
3- الأمر - تعريفه - صيغ الأمر - خروج الأمر على ما يقضيه الظاهر ..... 212
4- التثنى - تعريفه - صيغه - خروجه على مقتضى الظاهر ..... 212
5- البناء - أدواته - خروجه على مقتضى الظاهر ..... 212
أسلوب القصر
تعريفه - أقسامه بالنظر إلى غرض الخطاب - القصر الحقيقي والقصر الأدوات ..... 218
طرق القصر - القصر بالنفى والاستثناء - القصر بـ إذا - القصر بأدوات النفى والعمف ..... 229
الإجاز والاتهام والمساواة
1- الإجاز - تعريفه - أنواعه - بلالته ..... 241
2- المساواة - تعريفها ..... 252
3- الاتهام - تعريفه - أنواعه - بلالته ..... 252
التحول في الأسلوب
الألغاف - تعريفه ..... 279
الرجوع من الغيبة إلى الحطاب - الرجوع من الحطاب إلى الغيبة ..... 282
الرجوع من النكل إلى الحطاب - الرجوع من الحطاب إلى النكل ..... 289
الرجوع من النكل إلى الغيبة - الرجوع من الغيبة إلى النكل ..... 291
308
البادئ في صيغ الأفعال

الرجوع من الفعل المضارع إلى الأمر ............................................. 294
الرجوع من الفعل الماضي إلى الأمر ............................................. 294
الرجوع من الفعل الماضي إلى المضارع ...................................... 295
الرجوع من الفعل المضارع إلى الماضي ...................................... 298

أسلوب الحكم 299
كتب المؤلف

1. فنون التعريب السياسي
2. من كتابة النقد والبلاغة
3. نصوص أدبية بالاشتراك مع دراسة تحليلية
4. الشجاعة في البيان تحقيق بالاشتراك مع
   أ. عبد الطيف لطف الله
5. الفصاحة ميلهمها تبعها الجمالية
6. القيم الفنية المستحدثة في الشعر السياسي

تحت الطبع:

1. من أدب الكفاية والمنادمة بشير البرذوني
2. الموازنات الأدبية في تاريخ النقد العربي

رقم الإبداع بدار الكتب 321/ 1991
4-361-242-977: ISBN

مطبعة العراقية للأوست
24 ش زمران - السريانية الغربية - جيزة
To: www.al-mostafa.com